الفوز الكبير في أصول التفسير

وبذيله

فتح الخبير بما لا بدّ من حفظه في علم التفسير

للإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ١١١٤-١١٧٦هـ

إعداد وتعريب وتقديم

محمد أنور البدخشاني

شيخ الحديث بجامعة العلوم الإسلامية
علامه يوسف بنوري تاؤن كراتشي

www.islaminsight.org

الفوز الكبير

في

أصول التفسير

وبذيله

فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير

للإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ١١١٤-١١٧٦هـ

إعداد وتعريب وتقديم

محمد أنور البدخشاني

شيخ الحديث بجامعة العلوم الإسلامية
علامه يوسف بنوري تاؤن كراتشي

www.islaminsight.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

الحمد لله الذى وَصَفَ كتابه بأحسن الحديث وأصدقه، وجعل كلماته تامّة بالصدق والعدل، فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد فى الدنيا والآخرة، وهو على كل شىء قدير، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، الذى جاءه الله بالحق وأحسن التفسير، فجعل كلام ربّه أحسن الكلام وعلّمه الأنام، فصلّى الله تعالى وسلّم عليه عدد خلقه، وزنه عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، وعلى آله وصحبه، والراسخين من علماء أمته إلى يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

أما بعد: فإنّ علم التفسير الذى بدأ الله تعالى به هو أوّل العلوم الإسلامية وجودًا، وأفضلها مرتبةً، وأرفعها منارًا، وأنفعها تناولا، ورأسها ورئيسها، وأصلها وأساسها، ودليلها ونبراسها، ولعلماء الإسلام فيه جهود ومساعى، ولهم فى مناهجهم وأساليبهم طرق ومناحى، وفيه تأليفات قديمة وجدد. ولأجلّة علماء الهند مساعى جميلة فى تفسير كتاب الله وشرح سنّة رسوله لا يسع تفصيلها هذه المقدمة الموجزة.

وللإمام ولى الله الدهلوى تحقيقات ومقالات وشروح فى هذين الموضوعين، وخاصّة فى علم التفسير الذى لا يجترئ لتعاطيه إلا من فاق فى

العلوم العربية بأنواعها، وبرع فى العلوم الإسلامية أصولها وفروعها، فإنه بالفارسية ترجم القرآن الكريم بالفارسية لغة الدولة والشعب آنذاك، وسمّاها "فتح الرحمن" فى ترجمة القرآن، ثم كتب بالفارسية رسالةً فى أصول التفسير مقدمةً لترجمته، سمّاها "الفوز الكبير فى أصول التفسير"، وكتب بالعربية رسالةً ثانيةً فى غريب القرآن وأسباب النزول، وسمّاها "فتح الخبير فيما لا بد من حفظه فى علم التفسير"، وجعلها بابًا خامسًا (للفوز الكبير) وبما أن اللغة الفارسية قد تُرِكَت، وأخذ موضعها اللغة الأردوية استثقل بل تعذّر على العلماء والمحصّلين فهم اللغة الفارسية وقراءتها، فأخذ العلماء فى ترجمة هذه الرسالة الفذّة الجامعة (لأهمّ أصول التفسير وقواعدها) من الفارسية إلى العربية، ولكن (١) للأجنبية من لغة الرسالة (٢) ومن كثرة الأخطاء المطبعية للنسخ الفارسية (الأصل الفارسى) (٣)وقلّة المناسبة بالتفسير وأصوله وقع فى التراجم العربية تسامحات وأغلاط وأخطاء علمية[١].

حتى وصل الأمر إلى تعذّر وصعوبة فهم المراد، وقلّة الاستفادة منها، فاستهديت الله تعالى واستوفقته مشمّرًا عن ساق الجدّ وساعد الجهد، فترجمت "الفوز الكبير" إلى العربية.

ومن الناحية الأخرى الباب الخامس "فتح الخبير" لم يكن قابلا للاستفادة من كثرة أغلاطه المطبعية وأخطاءه الكتابية، وكان المأخذ الأساسى للمؤلف فى تأليف "فتح الخبير" كتاب التفسير من الجامع الصحيح للإمام البخارى، فراجعت إلى المأخذ "كتاب التفسير من صحيح البخارى" بكامله، واستقيت من "معالم التنزيل" للإمام البغوى أيضًا فى بعض المواضع، فصارت الرسالة (مع بابها الخامس) بحمد الله تعالى قابلة للإفادة والاستفادة، وصالحة للقراءة.

---

(١) وكلّ مترجم لاحق يقول فى حق المترجم السابق: مثل ما قلتُ، ويتّضح صدقه بعد مطالعة الكتاب وتقابله مع سوابقه، فتنبّة.

الإشارة إلى بعض الأخطاء فى التراجم السابقة

(١) ترجم صاحب التهذيب (القرن) فى الخطبة بـ "الجيل" مع أنّ (القرن) المعتبر فى مفهومه الاتصال الزمانى، والمعتبر فى (الجيل) هو الاتصال الشعبى والقبائلى.

~~(٢) استعمال (الإبلاغ) فى محل (التبليغ) فيه ضعف بلاغى ومخالفة عن كلمة اصطلاحية منصوصة (ربّ مبلّغ أوعى من سامع).~~

(٣) واستعمل (وهلمّ جرًّا) فى موضع (هكذا وهكذا) فإن الأوّل يستعمل فى التوالى بين الأمور المتصلة التى يتعلّق بعضها ببعض بوجه من الوجوه كالعلل ومعلولاتها، والمعدّات التى يتوقف وجود الثانى على عدم الأول، وأمّا هكذا وهكذا ليس كذلك.

(٤) ترجم المترجم (درمانده) بالضعيف مع أن معنى (درمانده) هو الفقير المحتاج الواقع على باب أحد سائلا عن شىء، نعم أن الضعف من لوازمه، ولكن السياق والسباق يؤيد إرادة الملزوم؛ لأن المؤلف يظهر حاجته إلى العلم برواية ألفاظ القرآن ودراية معانيها.

(٥) (چون برين فقير درى از فهم كتاب الله كشادند) ويقول المترجم: "لما فتح الله تعالى علىّ بابًا من فهم كتابه" فاستعمل فى صلة (فتح) كلمة (على) مع أنه ورد فى الحديث «وافتح لى أبواب رحمتك» أى تأتى صلة (الفتح) اللام دون (على).

(٦) يقول المؤلف بالفارسية: "خواست كه بعض نكاتِ نافعه كه در (تدبّر) كلام الله ياران را بكار آيد" فترجم المترجم بقوله: (خطر ببالى) فيه خطا آن: الأول ترجمة (خواستن) هو الإرادة والعزم الصميم دون الخطور على القلب، والثانى أنه جعل صلة (خطر) (الباء) مع أنّ صلته هى كلمة (على) وفى الحديث النبوى "ولاخطر على قلب بشر" وكذلك ترك معنى لفظ (تدبّر) ولم يترجمه بشىء، وكان المناسب أن يقول: "أردتُ أن أجمع بعض النكات التى تنفع الأصحاب فى تدبر وفهم معانى كلام الله"، واكتفى بهذه الستة من أغلاط وأخطاء تهذيب ترجمة

منير الدمشقى أوّل مترجم للفوز الكبير بالعربية وهذه أخطاء لغوية، وأمّا أخطاءه العلمية فأكثر.

(٧) ويقول مهذّب ترجمة منير الدمشقى فى السبب الحامل على التهذيب: "فلما انقضى عصرها (عصر اللغة الفارسية) بالهند أحسّ عالم هندى بحاجة البلاد، فترجمه (الفوز الكبير) إلى اللغة العربية، وأخفى اسمه، ونسب تلك الترجمة إلى الشيخ محمد منير الدمشقى، ولكن كان فى الترجمة هجنة وسقط وغموض وتسامح فى مواضع عديدة، وكانت الحاجة ماسّةً إلى تهذيب الترجمة" فهذه هى حال أصل الترجمة، وقد شاهدتم حال التهذيب فى الديباجة.

الأخطاء الواقعة فى ترجمة الأستاذ سلمان الحسينى الندوى

(١) ترجم السيّد الحسينى فى الخطبة لفظ (كمترين امتيان) بقوله: (على أصّغر أفراد أمته) مع أنه ليس معنى (كمترين): القلّة والصغر فى أجزاء الجسم، وإنما معناه الحقارة من قلّة العلم وضعف المرتبة التمييز من قلة العلم وضعف المرتبة وما زاد بعده من التميز وهو (منزلةً) لا معنى له هنا؛ لأنّ الصغر من صفات الجسم، والمنزلة من صفات المعنى، وكذلك كان المناسب تقديم قوله: (عظيمة وفيرة) على قوله: (على أصغر أفراد أمته) كما هو الظاهر.

(٢) فى أصل الكتاب (آنحضرت ﷺ قرآن را تلقين فرمود به قرن اول) وقال السيّد المترجم (لقد تلقّى الجيل الأول منه القرآن): وليس (التلقّى) من صفة الداعى (النبى ﷺ) وإنما هو من صفة الجيل الأوّل، فبدّل (التلقين) الذى هو صفة النبى ﷺ (بالتلقّى و(القرن) بالجيل مثلصاحب التهذيب.

(٣) وترجم (درمانده) مثل سابقه بـ(العبد الضعيف).

(٤) وكذلك معنى قوله: (از روايت ودرايت آن) أى من رواية قراءته ودراية معانيه) فترك ترجمة هذا المركّب الإضافى.

(٥) وقد مرّ أنّ صلة (فَتَحَ) إنما تكون اللام دون (على) وهو أيضًا جعل صلته(على).

(٦) أصل العبارة: (چون برين فقير درى از فهم كتاب الله كشادند) فبدّل المترجم لفظ "فقير" الدال على الحاجة والتواضع بلفظ "عليّ" الدال على العلو والغنى، وأسقط المضاف لفظ "فهم" من كتاب الله وذكر بابًا فقط وكان المناسب أن يقول: "فتح الله لى بابًا من فهم كتاب الله".

(٧) وفى ترجمة (خواست كه) قال مثل سابقه: "خطر ببالى" بدل لفظ (أردت أو عزمتُ) وجعل صلة "خَطَرَ" اللام عوض "على".

(٨) وأصل العبارة فى صـ٣: (بايد دانست كه معانى منظومهٔ قرآن خارج از پنج علم نيست، ويقول فضيلة الأستاذ الندوى فى ترجمته لهذه العبارة: "ليعلم أن المعانى التى يشتمل عليها القرآن لا تخرج عن خمسة علوم"، والترجمة المؤدية معانى الكلمات هى: ليعلم أن المعانى التى تدل عليها نظم القرآن وألفاظه المتسقة المرتّبة لاتكون خارجة عن العلوم الخمسة.

(٩) ثم فى أصل العبارة (علم أحكام از واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام) فترجم الأستاذ الفاضل كلمة (از) التى تأتى للبيان بمعنى كاف التشبيه، فقال: كالواجب والمباح إلى قوله: والحرام.

(١٠) وفى الأصل: (خواه از قسم عبادات باشد يا معاملات يا تدبير منزل يا سياست مدينه) فترك المترجم لفظ "تدبير المنزل".

(١١) وفى الأصل: "وتفصيل اين علم بر ذمّهٔ فقيه است، أى مسؤول هذا العلم هو الفقيه، والمترجم يقول: ويرجع تفصيل هذا العلم وشرحه إلى الفقيه.

(١٢) وفى الأصل الفارسى صـ١٢ (مثل إثبات ولد ونكاح وجزء) ﴿ما اتخذ الله صاحبة ولا ولدًا﴾ وفى الترجمة العربية (ترجمة منير الدمشقى) و (ترجمة الفاضل الندوى كإثبات الولد والبكاء والجزع).

المباحث الهامّة (فى أصول التفسير) الّتى أشار إليها الإمام ولى الله الدهلوى

١- العلوم الخمسة المنصوصة (من علوم القرآن).

٢- انحصار مخالفى القرآن فى أربع فرق من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين والردّ عليهم بأساليب مختلفة مناسبة.

٣- الغرض الأساسى من نزول القرآن الحكيم، هو تهذيب نفوس البشر من بدو وحضر، وعرب وعجم، وأساليبه العجيبة فى إلقاء هذا الغرض.

٤- بيان أسباب خفاء معانى نظم القرآن لغير العرب الأول وطريق إزالته.

٥- إراءة المأخذ الصحيح والمرجع الموثوق به فى شرح غريب القرآن وطريق شرحه وما يلزم فيه.

٦- بحث الناسخ والمنسوخ الذى هو من أصعب المباحث التفسيرية.

٧- البحث فى أسباب النزول واختيار الطريق الوسط فيه، وتقييد كل آية أو سورةٍ بسبب من أسباب النزول إفراط، وإهمال أسباب النزول برأسه تفريط.

٨- بيان حذف بعض أجزاء الكلام، وإبدال بعضها عن بعض، وتقديم الأمثلة لها.

٩- وبَحَثَ الإمام عن المحكم والمتشابه الاصطلاحيين واللغويين، كما أنه تعرّض لبيان الكناية والإيماء والتعريض، ولبيان المعنى المراد بصورة محسوسة، وعرّف المجاز العقلى واللغوى.

١٠- وتكلّم عن أسلوب القرآن الحكيم البديع بحثًا علميًا ولغويًا وبرهانيًا دقيقًا، وتكلّم عن ضرورة إعداد المصحف الإمام وإرساله إلى معظّم البلاد وما يتعلق به.

١١- كما أنه بحث عن حكمة تقسيم السّور إلى الآيات وعن عدم حاجة آيات القرآن إلى أفاعيل وتفاعل، وفاعلات ومفاعلات العروضيين، وأثبت للآيات فواصل وأوزانًا فطرية غير محتاجة إلى عروض الخليل وأمثاله.

١٢- وتكلّم عن الفنون والعلوم التى يحتاج إليها المفسّر وذكر الوجوه التفسيرية التى اختلف لأجلها التفاسير والمفسّرون، فسرد أنواعًا ثمانيةً للتفسير وبيّن وجوه اختلافهم ومطمح أنظارهم.

١٣- وبَحَثَ عن الآثار وأسباب النزول التى يذكرها المفسّرون فى كتبهم، فجعل لها نوعين أساسيين: وأكّد أن العبرة فى أسباب النزول بعموم الألفاظ والعلل والمصالح دون خصوص الأسباب والألفاظ.

١٤- وعيّن لشرح غريب القرآن طريقًا، وذكر له شروطًا، فجعله أمرًا اجتهاديًا يكون فيه للعقل جولان وللاختلاف إمكان.

١٥- وجعل استنباط الأحكام من الآيات من لطائف التفسير، وجعل بابه واسعًا، وأثبت فيه للعقل جولانًا، ثم ذكر الأنواع العشرة من الاستنباط التى ألهمه الله إيّاها مرتبة ألهمها الله إيّاه مرتّبةً، وجعل مقالته فى أنواع الاستنباط معيارًا لحلّ المسائل الاجتهادية (ومن الأسف لم نجد مقالته أين هى؟).

١٦- وجعل التوجيه (بيان وجه الصعوبة أوالمسألة) فنّا عظيمًا مستقلا، فأوضح فوائده، وعيّن عوائده، وجاء له بالأمثلة.

١٧- وأعلن بعقيدته فى المتشابهات، وأنكر على غلوّ المتكلمين فقال: "بيان حقيقة الصفات ليس مذهبى وطريقتى، ومذهبى هو مذهب مالك والثورى وابن المبارك وسائر القدماء، وهو الأمر بالأخذ بظواهرها وترك الخوض فى تأويلها".

وفى هذا الصدد يقول: "والنزاع فى الأحكام المستنبطة (من القرآن) وتأيد مذهب نفسه وإحكامه، وطرح مذهب الغير وإنكاره والاحتيال لدفع الدلائل القرآنية وردّها لا يجوز عندى، فإنى أخاف أن يكون هذا من قبيل التدارء بالقرآن، فلا بُد أن يكون المرء طالبًا لمدلول الآيات، وأن يجعل مدلول الآية مذهبًا له، سواء خالف مذهبه أو وافقه.

١٨- وتكلم عن اللغة التى يستمدّ بها فى تفسير القرآن، وقال: لا بد أن يكون الاعتماد كليًا (على لغة العرب الأول) وعلى آثار الصحابة والتابعين.

١٩- ويقول فى نحو القرآن قد وقع خلل عجيب فى نحو القرآن، وهو أنهم

اختاروا مذهب سيبويه (فى المسائل النحوية) وكل ما وجدوا فى القرآن مخالفًا لقاعدة سيبويه ونحوه أوّلوه، فجعلو الله وكلامه تابعين لسيبويه (والعياذ الله) فنحو القرآن تابع لمعناه وسياقه وسباقه دون نحو أىّ إمام من أئمة النحو.

٢٠- وتكلّم فى فوزه عن (الاعتبار) الذى يسمّيه الأصوليون إشارة النص، وهو العبور من الدليل إلى الدعوى، فجعله أسلوبًا مستقلا لترتيب الدليل، أو لنوع من أنواع الدليل.

٢١- وأتمّ رسالته (الفوز الكبير) ببحثين عجيبين: أحدهما قديم ومهمّ، وثانيهما جديد واجتهادى من مخترعات الإمام المصنف، فالأول هو فنّ التفسير الذى نحن بصدده، والثانى البحث عن معانى المقطعات القرآنية (الحروف الواردة فى أوائل السّور).

٢٢- ثمّ وضع بابًا خامسًا للرسالة، وبحث فيه عن غريب القرآن وأسباب نزوله بحثًا لغويًا دقيقًا، وبحثًا تاريخيًا عميقًا، فاستقى كثيرًا من كتاب تفسير صحيح البخارى، ومن مجاز أبى عبيدة ومعانى الفرّاء.

بحث الإمام ولى الله عن غريب القرآن فى مواضع من "الفوز الكبير" وجعل له أنواعًا:

(١) والأحسن فى شرح غريب القرآن ما جاء من ترجمان القرآن عبدالله بن عباس وثبت عن طريق ابن أبى طلحة، واعتمد البخارى فى صحيحه غالبًا على هذا الطريق وبعده طريق الضحاك عنه، والثالث ما ذكر فى جواب ابن عباس لسؤالات نافع بن الأزرق، وذكر الطرق الثلاثة السيوطى فى الإتقان.

(٢) ومن هذه الجملة شرح غريب القرآن، ومبناه على تتبع لغة العرب مع العلم بالسياق والسباق، والعلم بمناسبة اللفظ بأجزاء الجملة التى وقع اللفظ فيها، فللعقل هنا مدخل وللاختلاف سعة؛ لأن كلمة واحدة تأتى فى لغة العرب لمعانٍ شتى وتختلف العقول فى تتبع استعمالات العرب، وفى فهم المناسبة بين السابق واللاحق، ومن أجل ذلك اختلف أقوال الصحابة والتابعين فى هذا الصدد، واختار كل واحد طريقًا، ولا بدّ للمفسّر المصنف أن يتدبّر فى شرح الغريب أولا فى

استعمالات العرب أنّ أيّ وجه أقوى وأرجح، وثانيًا يتفكّر في المناسبة بين السابق واللاحق أن أيّ وجه هو أولى بالاعتبار؟ وهذا بعد إحكام المقدمات، وبعد تتبع موارد الاستعمال وتفحّص الآثار.

(٣) وما اختصّ في الأحاديث من غريب القرآن بمزيد الاهتمام وبيان الفصل له أنواع:

ولغريب القرآن الذى خصّ بمزيد الاهتمام وبيان فصلٍ فى الأحاديث أنواع:

ثم ذكر الغريب فى الأنواع الخمسة من العلوم المنصوصة.

(٤) وغرائب القرآن ليست بمحصورة فى هذه الأبواب، بل تكون الغرابة وجوه أخرى كالغرابة لأجل بلاغة الكلام وحسن أسلوبه، ولتصوير صورتى الشقى والسعيد.

هذا آخر ما أردتُ من ترجمة "الفوز الكبير فى أصول التفسير" وتصحيح "فتح الخبير" رجاء الآجر وخدمةً لعلم التفسير وطلابه.

اللّهم اجعلنى من ﴿الّذِينَ آمنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم جَنّاتٍ تَجرى مِن تَحتِهَا الأنهَارُ ذلِكَ الفَوزُ الكَبِيرُ﴾.

وكتبه
محمد أنور البدخشانى بمنزله
فى ٢٢/١٠/١٤٢٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لا يمكن إحصاء نِعَم الله تعالى على هذا العبد الضعيف، وأجلّها التوفيق على فهم القرآن العظيم، ومنَن ملجأ الرسالة (محمد ﷺ) على أحقر الأمّة كثيرةٌ جدًا، وأعظمها تبليغ (وتعليم) الفرقان العظيم، فإن حضرة الرسول ﷺ لقّن القرآن المجيد على القرن الأوّل (الصحابة) وهم بلّغوه إلى القرن الثانى (التابعين) وهكذا بلّغ القرن الثانى إلى الثالث، والثالث إلى الرابع، حتى وصل إلى هذا العبد العاجز المحتاج حظّ من رواية القرآن الحكيم ودرايته، اللهمّ صلّ على هذا النبىّ الكريم، سيّدنا ومولانا وشفيعنا أفضل صلواتك وأيمن بركاتك، وعلى آله وأصحابه وعلماء أمّته أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أمّا بعد: فيقول العبد الفقير ولى الله ابن عبد الرحيم -عاملهما الله بلطفه العظيم-: لـمّا فتح الله تعالى لهذا الفقير بابًا من فهم كتابه، أراد أن يجمع بعض النكات (القواعد) المفيدة التى تعين الأصحاب فى تدبّر كلام الله تعالى (وفهمه) فى رسالةٍ سوجزةٍ راجيًا من عناية البارى عزّ اسمه أن يفتح به طريقًا واسعًا فى فهم معانى كتابه لطلاب علوم القرآن بمجرد فهم تلك القواعد وإدراكها، حتى لو صرفوا أعمارهم فى مطالعة كتب التفسير أو فى قراءتها على المفسّرين (على رغم أنهم أقلّ قليل فى هذا الزمان) لايمكن لهم تحصيل ذلك الضبط والربط.

وسمّيت الرسالة بـ "الفوز الكبير فى أصول التفسير" وما توفيقى إلا بالله، عليه توكّلت وهو حسبى ونعم الوكيل.

الفهرس الإجمالي

ومطالبها منحصرة في خسمة أبواب :

١- الباب الأول في بيان العلوم الخمسة التي دل عليها القرآن العظيم نصّا (عبارةً أو إشارةً أو دلالةً أو اقتضاءً) وكأنّ نزول القرآن كان أصالةً لإلقاء هذه العلوم.

٢- الباب الثاني في بيان أنواع الخفاء في نظم القرآن بالنسبة إلى أذهان أهل الزمان (زمان غير القرن الأول والثاني) وعلاج (إزالة) ذلك الخفاء بأوضح البيان.

٣- الباب الثالث في بيان لطائف نظم القرآن، وشرح أسلوبه البديع بقدر الطاقة والإمكان.

٤- الباب الرابع في بيان فنون التفسير، وحلّ الاختلاف الواقع بين الصحابة والتابعين في التفسير.

٥- الباب الخامس في مجموعة معتدّ بها من شرح غريب القرآن، وأسباب نزوله؛ لأن حفظ ذلك المقدار لازم على المفسّر، ولا يمكن الخوض في التفسير بدون ضبط ذلك المقدار (من شرح الغريب ومعرفة أسباب النزول).

الباب الأول فى بيان العلوم الخمسة التى بيّنها القرآن العظيم بطريق التنصيص

١- واعلم أن ما يدل عليه نظم القرآن الحكيم من المعانى لا يكون خارجًا عن العلوم الخمسة: (١) علم الأحكام من الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، سواء كانت من قسم العبادات أو المعاملات (الاجتماعية)، أو من نوع تدبير المنزل، أو سياسة المدينة، والمسؤول عن هذا العلم هو الفقيه، وتفصيله فى ذمّته.

(٢) وعلم المخاصمة أو الجدال مع الفِرَق الضالّة الأربع، وهم اليهود والنصارى والمشركون والمنافقون، وبيان ما يتفرع على هذا العلم من المسائل والمباحث على ذمّة المتكلّم (الباحث فى علم الكلام والدافع عن العقائد الإسلامية).

(٣) وعلم التذكير بآلاء الله (بنعم الله) وهو بيان خلق الله السموات والأرض، وبيان إلهامه تعالى عباده ضروريات حياتهم، وطريق معاشهم، وما يحتاجون إليه طبعًا، وبيان صفات كماله تعالى مما بيّنها فى كتابه أو بلسان رسوله.

(٤) وعلم التذكير بأيّام الله، وهو بيان القضايا والأحداث التى أحدثها الله تعالى فى الأمم السالفة إنعامًا أو تعذيبًا، من إنعام المطيعين والمؤمنين برسله وصحائفه وكتبه، ومن تعذيب المجرمين العصاة الذين لم يؤمنوا به ولا برسله وكتبه.

(٥) وعلم التذكير بالموت وما بعده من بيان الحشر والنشر والحساب والميزان، والجنة والنار.

وحفظ تفاصيل هذه العلوم (الثلاثة) وإلحاق الأحاديث والآثار المناسبة بها (وتفريع جزئياتها) وظيفة الواعظ (الداعى) والمذكّر (الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر).

٢- أسلوب القرآن الحكيم فى إلقاء هذه العلوم

وإنما وقع بيان تلك العلوم (والدلالة عليها) على أسلوب ومنهج العرب الأول دون المتأخرين منهم.

(١) ولم يلتزم الله تعالى فى آيات الأحكام الإيجاز الذى هى قاعدة (أسلوب) مؤلفى المتون (٢) وما اختار تنقيح القواعد (الكلية) القرآنية عن القيودات غير الضرورية، كما هو صنعة مؤلفى أصول الفقه.

(٣) واختار الله تعالى فى آيات المخاصمة (والجدال) البراهين المشهورة التى يسلّمها الخصم، وكذا اختار فيها الخطابيات النافعة (يعنى اكتفى الله تعالى فى الردّ على الخصوم) بالمشهورات المسلّمة عندهم، وبالخطابيات النافعة التى تفيد الظنّ، ويُستدلّ بها فى الخطابات العامة ظاهرًا؛ لأن المخاطبين (المجادلين) كانوا لا يعلمون أكثر من هذا.

(٤) ولم يراع الله تعالى (فى آيات المخاصمة) تنقيح البراهين (العقلية) عن القيود والشروط غير اللازمة، كما هو دأب المنطقيّين.

(٥) وكذا لم يلتزم رعاية المناسبة (والربط) فى الانتقال من مطلب إلى مطلب آخر، كما هى قاعدة الأدباء المتأخرين، بل ألقى على عباده (وخاطبهم) بما علم أنه ضرورى لهم، فأعلن لهم به، ولم يبال بما تقدّم أو تأخر (إذا لم يكن فيه إغلاق أو تعقيد ومع ذلك قال: ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾.

٣- تقييد كل آية بسبب من أسباب النزول خلاف الحقيقة:

وعامة المفسّرين يعلّقون (ويقيّدون) كل آية من آيات المخاصمة وآيات الأحكام بقصّة مّا، ثم يجعلون تلك القصة سببًا لنزول تلك الآية، والحقيقة أن الأمر ليس كذلك فإن الهدف الأساسى (والمقصد الأصلى) من إنزال القرآن الكريم هو تهذيب نفوس البشر، ودحض عقائدهم الباطلة، وإزالة أعمالهم الفاسدة.

(١) فوجود العقائد الباطلة فى المكلفين سبب (كلّى) لنزول آيات المخاصمة.

(٢) ووجود الأعمال الفاسدة وجريان المظالم فيما بينهم سبب (كلى) لنزول آيات الأحكام.

(٣) وغفلتهم وعدم تيقّظهم بذكر آلاء الله، وذكر أيّام الله، وبذكر حوادث الموت وما بعده، سبب لنزول آيات التذكير (بأنواعها الثلاثة) فتصدّيهم لذكر القِصَصِ الجزئية الخاصة (بعنوان سبب النزول) ورواياتها لادخل له (فى فهم التفسير) إلا فى تفسير بعض الآيات التى وقع فيها التعريض بواقعة من الوقائع التى حدثت فى عصر النبى ﷺ أو قبله؛ لأن تحيّر السامع وانتظاره الذى حصل من سمع ذلك التعريض الموجز لا يزول بدون بسط القصّة، فوجب علينا أن نشرح هذه العلوم (الخمسة) بوجه (وأسلوب) لانحتاج إلى مؤنة ذكر تلك القِصَصِ الجزئية (بلا ضرورة داعية إليه).

٤- بيان المخاصمة مع الأحزاب الضالة الأربعة فى القرآن الحكيم:

وقد وقعت فى القرآن الكريم المخاصمة (والجدال) مع الأحزاب الأربعة الضالّة، وهم المشركون، واليهود، والنصارى، والمنافقون، وتلك المخاصمة أو ذلك الجدال باعتبار الأسلوب على نوعين: الأول: ذكر عقائدهم الباطلة، والتنصيص على شناعتها وبطلانها وإنكار عليها.

والثانى: ذكر شبهاتهم (واعتراضاتهم) ثم الردّ عليها، والجواب عنها بالأدلة البرهانية (اليقينية) أو الخطابية (الظنّية).

(١) بيان عقائد المشركين الباطلة وردّ القرآن عليها:

أمّا المشركون فكانوا يعدّون أنفسهم حنفاء، ويدّعون التدين (والتمسك) بملة إبراهيم.

والحنيف: هو من يتديّن (ويتعبّد) بملة إبراهيم ويلتزم شعار تلك الملّة.

وكان شعائر ملّة إبراهيم ما يأتى:

(١) حجّ بيت الله.

(٢) والاستقبال إليه فى الصلاة .

(٣) وغسل الجنابة .

(٤) والاختتان .

(٥) وسائر خصال الفطرة العشرة (من قلم الأظفار وحلق العانة، وقصّ الشارب وتوفير اللحية وغيرها) .

(٦) وتحريم اعتقاد حرمة أشهر الحُرُم .

(٧) وتعظيم المسجد الحرام .

(٨) وتحريم المحرّمات النسبية والرضاعية .

(٩) والذبح فى الحلق (فى غير الإبل) والنحر فى اللبة (فى الإبل) .

(١٠) وطلب التقرّب إلى الله بالذبح والنحر (أى بالأضحية) وخاصّة فى أيام الحج .

(١١) وكان الوضوء، والصلاة، والصوم من طلوع الصبح إلى غروب الشمس داخلة فى أصل الملّة (ملّة إبراهيم) وجزءً لها .

(١٢) وكان التصدّق على اليتامى والمساكين، والإعانة على نوائب الحق، وصلة الرحم من أركان الملّة، وكانت هذه الأعمال مشروعة فى ملّة إبراهيم، وكذلك كان المدح والثناء بفعل هذه الأمور جاريًا بين المشركين .

ولكنّ المشركين المدّعين ملّة إبراهيم والمسمّين أنفسهم بالحنفاء تركوا هذه الأعمال والأفعال، وصارت فيما بينهم كأن لم تكن .

وكذا كان فى أصل الملّة (ملّة إبراهيم) تحريم القتل، والسرقة، والزنا، وتحريم الربا والغصب، وكان الإنكار والتقبيح على هذه الأفعال موجودًا فى الجملة (أى فى بعض أشخاصهم) ولكن المشركين يرتكبون هذه المحرمات، ويذهبون (يعملون) بحكم النفس الأمّارة .

والعقائد الآتية أيضًا كانت جاريةً فيما بينهم (باعتبار أصل الملّة :

(١) عقيدة وجود الله تعالى .

(٢) وأنّه خالق السموات والأرض .

(٣) وهو المدبّر للحوادث العظام .

(٤) والقادر على إرسال الرسل .

(٥) والمجازى عباده على أعمالهم .

(٦) وهو مقدّر الحوادث العظام (تقديرها بيده) .

(٧) وهو القادر على الحوادث قبل وقوعها .

(٨) ويعتقدون أن الملائكة عباد الله المقرّبون ، ويستحقون التعظيم ، وكلّ هذه العقائد كانت معروفة ومعلومة فيما بينهم ، كما يدلّ عليه أشعارهم وقصائدهم (قبل الإسلام وبعده) .

(٢) بيان شبهات المشركين فى العقائد الإسلامية:

أمّا جمهور المشركين فكان لهم شبهات (واعتراضات) كثيرة حول تلك العقائد ، وكانت شبهاتهم ناشئة (١) إمّا من استبعاد هذه الأمور (٢) وإمّا من عدم الألفة بها (٣) وإمّا من عدم إدراكها ، وكان أسباب ضلالتهم ما يأتى : (١) الإشراك بالله (٢) وتشبيه الله تعالى بأحد من خلقه (٣) وتحريف ملّة إبراهيم (٤) وإنكار المعاد (الحياة الأخروية) (٥) واستبعاد رسالة محمد ﷺ (٦) وشيوع الأعمال القبيحة والمظالم فيما بينهم (٧) وابتداع المراسم الفاسدة (٨) وترك العبادات واندراس آثارها (وجعلها نسيًا منسيًا) .

(١) تعريف الشرك وأمثلته:

هو إثبات صفة من صفاته تعالى المختصة به لغيره :

(١) مثل إثبات التصرّف فى العالم بإرادة يعبّر عنها بـ "كن فيكون" لغيره تعالى .

(٢) أو إثبات العلم الذاتى غير المكتسب بالحواسّ ، ولا بالدليل العقلى ولا بالإلهام ولا بالمنام ونحوهما لخلق من خلائقه تعالى .

(٣) أو إثبات شفاء المريض وإيجاد الصحة لغيره تعالى .

(٤) أو إثبات اللعن (الإبعاد عن الرحمة) والغضب على أحد لغيره تعالى حتى يصير ذلك الملعون أو المغضوب لأجل ذلك اللعن أو الغضب فقيرًا أو مريضًا أو شقيًا.

(٥) أو مثل إثبات الرحمة لأحد غيره تعالى، حتى يصير ذلك المرحوم ذاعيشة مرضية أو صحيح البدن، أو سعيدًا، وهؤلاء المشركون لم يكونوا يشركون بالله أحدًا فى خلق الجواهر (الأجسام) ولا فى تدبير الأمور العظام (كالسموات والأرض والشمس والقمر والنجوم واختلاف الليل والنهار ونظام الحياة والموت) ويعلمون أن الله إذا أبرم أمرًا لايقدر أحد ولا شىء على منعه، بل إنما كان إشراكهم لأجل قياسهم صفات الله تعالى المختصة به على أمور خاصّة ببعض عباده، وكان من ظنهم (قياسهم) ما يأتى كما أن السلطان العظيم (صاحب القدرة) يبعث عبيده وخدّامه الخاصّين إلى أطراف المملكة، ويفوّض إليهم الاختيار والتصرف فى الأمور الجزئية المتعلّقة بالرعية والشعب ما لم يصدر حكم صريح من جانبه، فالسلطان بنفسه لا يتوجه (ولايتصرّف) فى المسائل الجزئية المربوطة بالرعية، ولا يشغل بتدبير أمورهم الجزئية، بل يفوض أمرهم إلى نائبه العسكرى أو الشعبى، ويقبل شفاعة النائب فى أمور العبيد والمتوسّلين به.

فكذلك الملك المطلق جلّ مجده (الله الواحد القهّار) خصّ بعض عباده بجائزة الألوهية، فيؤثّر رضاهم وسخطهم فى سائر عباد الله وسائر خلقه، ويعتقدون وجوب التقرب بهؤلاء الذين عندهم جائزة الألوهية ليمكن لهم شرف القبول من جانب الملك الحقيقى الذى له ملك السموات والأرض، وليشفع لهم هؤلاء المخصوصون المشرّفون (بشعبة من الألوهية والعياذ بالله) فى الأمور المشكلة، ويُقبل شفاعتهم لمن تحتهم، فبناءً على هذا الرجاء والوهم الفاسد يجوّزون السجدة لهؤلاء العباد المخصوصين، ويجوّزون الذبح لهم، والحلف بأسماءهم والاستعانة منهم فى الأمور الضرورية، ويثبتون لهم قدرة (كن فيكون).

حتى نحتوا صور هؤلاء المتخلّعين بخلعة الألوهية من حجر وصفر ونحاس، وجعلوا تلك الصور (الأجسام المنحوتة) قبلة لتوجه أرواح هؤلاء الرجال، ثم طفق

الجهال (تدريجًا) يعتقدون تلك الأحجار والصفر والنحاس المنحوتة آلهة بذاتها، وتطرق خلط عظيم بين المعبود الحقيقى ربّ العالمين (وحده لا شريك له) وبين تلك الآلهة المنحوتة.

(٢) تعريف التشبيه:

هو عبارة عن إثبات صفة من صفات البشر (المخلوق) لله تبارك وتعالى، ومن أجل ذلك كانوايقولون (١): "إن الملائكة بنات الله تعالى" (٢) "وإن الله يقبل شفاعة عباده، وإن لم يكن راضيًا عنهم" كما أن السلاطين يقبلون شفاعة الأمراء الكبار، وإن كانوا ساخطين عليهم.

(٣) كالعلم والسمع والبصر التى تليق بجناب الألوهية إذا تمكنت فى أذهانهم يقيسونها على علمهم، وعلى سمعهم وبصرهم، فوقعوا فى التجسيم (إثبات الجسم لله تعالى) والتحييز (إثبات الحيّز (المكان) لله تعالى).

(٣) بيان التحريف:

وهو أن أولاد إسماعيل -عليه السلام- كانوا قائمين بشريعة جدّهم الكريم (إبراهيم عليه السلام) حتى جاءهم عمرو بن لُحَيى (لعنة الله عليه) ووضع لهم أصنامًا، وشرع لهم عبادتها، واخترع لهم نظام إطلاق البحائر والسوائب والوصيلة والحام، واخترع لهم الاستقسام بالأزلام، وأمثال هذه الخرافات الشركية.

وحدثت حادثة الاختراع وإضلال عمرو بن لُحَيى قبل بعثة النبى ﷺ قريبًا من ثلاث مائة سنة، ومن تحريفاتهم التمسك بآثار آباءهم (فى مقابلة الشرع السماوى) وتقليدهم والأخذ بما وجدوهم عليه من الدين الموروثى، وكانوا يعتقدون آثار آباءهم وتقليدهم حجةً قاطعةً (وبرهانًا مسلّمًا).

(٤) وجه اشتباه المشركين فى الحشر والنشر:

أمّا الحشر والنشر وإن كان الأنبياء السابقون ذكروهما فى دعواتهم وتعليماتهم، ولكن ما كان بهذا الشرح والبسط الذى جاء فى القرآن العظيم، فلهذا ما كان يعرفهما جمهور المشركين معرفةً تامّةً، بل كانوا يستبعدونهما.

وهؤلاء المشركون كانوا يعترفون بنبوة إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بل يعترفون بنبوة موسى عليه السلام أيضًا، ومع ذلك صارت صفات البشرية حجابًا (بينهم) وبين الجمال الكامل للأنبياء، فذلك الحجاب أوقعهم فى التشويش والتردّد، ولم يعرفوا حقيقة التدبير الإلهى المقتضى لبعثة الأنبياء (وذلك التدبير الإلهى المقتضى هو كون سكّان الأرض بشرًا) لأنهم كانوا متألفين (فى عالم البشر) المماثلة بين المرسل والرسول، فجعلوا رسالة البشر مستبعدًا عن عقولهم، وجاؤوا فى هذا الصدد بشبهات واهية غير قابلة للسمع مثل قولهم:

(١) لما ذا يحتاج الرسول إلى الطعام والشراب؟

(٢) ولما ذا لم يبعث الله ملكًا (للرسالة)؟

(٣) ولما ذا لم يوح الله تعالى إلى كل أحد (على حدةٍ على حدةٍ) و(كانت اعتراضاتهم) على هذا الأسلوب.

وإن كنتَ متردّدًا فى معرفة أحوال (وصفات) المشركين ومعرفة عقائدهم وأعمالهم فانظر إلى أحوال (وصفات) المحرّفين فى زماننا (عصر المصنف) وخاصّةً إلى الذين يسكنون فى (نواحى) وأطراف دار الإسلام، ما ذا يظنّون فى وجود الأولياء؟ مع اعترافهم بولاية الأولياء المتقدمين، ويستحيلون وجود الأولياء فى هذا الزمان (كاستحالة المشركين وجود النبى فى عصرهم) ومن أجل ذلك يذهبون إلى القبور والمزائر (للاستفادة والاستصلاح والتزكية) ويرتكبون أنواعًا من الأعمال الشركية، فالنظر كيف تطرق التشبيه والتحريف فيهم؟ كما يشير إليه الحديث الصحيح «لتتبعُنّ سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل» وليس شىء من هذه الآفات (والخرافات) إلا ارتكبها قوم (طائفة من الناس) اليوم، ويعتقدون

بأمثالها، عافانا الله من ذلك.

وحاصل الكلام أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ برحمته في العرب، وأمره بإقامة (وإحياء) الملّة الحنيفية، فخاصمهم الله تعالى وجادلهم بالقرآن العظيم، وتمسّك (واحتجّ) في مخاصمتهم وجدالهم بمسلّماتهم من بقايا الملّة الحنيفية ليتحقق إلزامهم (وإسكاتهم ويَثْبُت الحق).

(١) قد وقع الجواب عن إشراكهم في القرآن بأربعة أوجه:

(١) فالجواب عن الإشراك أولا بطلب الدليل من المشركين، ونقض التمسك بآثار الآباء وتقليدهم.

(٢) وثانيًا: بعدم جواز القياس بالسلاطين وعدم المساواة بينهم وبين الله تعالى، لاختصاص الله تعالى باستحقاق غاية التعظيم، بخلاف هؤلاء العباد (السلاطين).

(٣) وثالثًا: ببيان إجماع الأنبياء على هذه المسألة (مسألة التوحيد) كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون﴾.

(٤) ورابعًا: ببيان شناعة عبادة الأصنام وانحطاط الأحجار وسقوطها من مراتب كمال الإنسانية، فكيف تليق بمرتبة الألوهية؟ وجاء هذا الجواب (الرابع) لقوم جعلوا الأصنام معبوداً لذاته.

(٢) ووقع الجواب عن التشبيه بالوجوه الثلاثة:

١- وأجاب القرآن الكريم عن التشبيه أولا بطلب الدليل عن المشركين، وبنقض التمسك بتقليد آباءهم.

٢- وثانيًا ببيان ضرورة التجانس بين الوالد (هو الله تعالى) وبين الولد (وهو الملائكة أو عيسى أو عزير) وهو مفقود هنا.

٣- وثالثًا: ببيان أن إثبات الشيء المكروه والمذموم (البنت) عندهم لله تبارك

وتعالى شنيع جدًا ﴿ألربكم البنات ولكم البنون﴾ وسيق هذا الجواب لقوم اعتادوا الاستدلال بالمشهورات والمتوهّمات الشعرية، وكان أكثر المشركين متّصفين بهذه الصفة (بالأخذ بالمشهورات والمتوهّمات).

(٣) ووقع الجواب عن التحريف بالوجهين:

(١) أولا: ببيان عدم نقل ما يقولون عن أئمة الملّة (الأنبياء).

(٢) وثانيًا: ببيان أنّ هذه كلها اختراع وابتداع النفوس (العقول) غير المعصومة.

(٤) ووقع الجواب عن استبعادهم الحشر والنشر بالوجهين:

(١) أولا: بالقياس على إحياء الأرض ونحوها (من إنبات ما عليها) وتنقيح مناط القياس (العلة) هو شمول قدرة الله تعالى جميع الممكنات وإمكان إعادة الأجساد.

(٢) وثانيًا: ببيان موافقة قائلى الكتب الإلهية ومعترفيها فى الإخبار بالحشر والنشر (فأصحاب الصحائف والكتب الإلهية كلّهم قالوا بإمكان ووقوع الحشر والنشر؛ فإنّ كتبهم أخبرت بهما، وهم أخبروا مَنْ بعدهم)

(٥) ووقع الجواب عن استبعاد الرسالة بالوجوه الثلاثة:

(١) أوّلا: ببيان وجود وصف الرسالة فى الأنبياء المتقدمين (كما قال تعالى) ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم﴾ ﴿ويقول الذين كفروا لستَ مرسلا قل كفى بالله شهيدًا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾.

(٢) وثانيًا: (بدفع الاستبعاد) بأن نقول: إن الرسالة (ليست عبارةً عن نوع وشخصية) بل هى عبارة عن الوحى (إلى أحد من أخيار العباد) ﴿قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ﴾.

وفسّر الله الوحى بما لم يكن مستحيلا ﴿وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحيًا أو

من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحىَ بإذنه ما يشاء﴾ .

(٣) وثالثًا : ببيان (١) أنّ عدم إظهار معجزات يقترحونها (٢) وعدم موافقة الحق تعالى إياهم على إرسال شخص يريدون نبوته .

(٣) وعدم إرسال الملك رسولا (٤) وعدم إنزال الوحى إلى كل أحد، كل واحد منها مبنى على مصلحة كليّة لا تصل مداركهم ولا تبلغ عقولهم إليها .

حكمة تكرار هذه المعانى فى سور متعددة بأساليب مختلفة

ولما كان أكثر من بعث (محمد ﷺ) إليهم مشركين أثبت الله تعالى هذه العقائد وردّ على مخالفيها فى سور كثيرة بأساليب متعددة ومختلفة ، وبتأكيدات بليغة ، ولم يبال بإعادتها وتكرارها مرات كثيرة ، نعم ، إن خطاب الحكيم المطلق هؤلاء الجاهلين (الأميّين) لا بد أن يكون كذلك ، والكلام مع هؤلاء الحمقاء يناسب أمثال هذه التأكيدات البليغة ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (أى اختيار هذه الأساليب من تقدير وانتخاب الله العزيز العليم) .

بيان ضلالة اليهود وأسلوب مخاصمة القرآن وجداله إياهم

وأمّا اليهود مع إيمانهم بالتوراة فكان من ضلالاتهم ما يأتى :

(١) تحريف أحكام التوراة ، وذلك قد يكون لفظيّا ، وقد يكون معنويًا .

(٢) وكتمان إثنيا (آيات) التوراة .

(٣) والافتراء على الله بإلحاق ما ليس من التوراة بالتوراة .

(٤) والتكاسل والتساهل فى إقامة وتنفيذ أحكام التوراة .

(٥) والمبالغة فى التعصب بدينهم ومذهبهم الخاص .

(٦) واستبعاد رسالة محمد ﷺ .

(٧) والطعن وسوء الأدب فى مقابلة رسول الله ﷺ ، بل فى شأن الله تبارك وتعالى ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ .

(٨) واختيارهم الشحّ (البخل) والحرص والحسد وغيرها من الذمائم .

١- مصداق التحريف اللفظى والمعنوى عند اليهود

(١) أمّا التحريف اللفظى عندهم فيأتون به فى ترجمة التوراة وأمثالها من شرح كلماتها دون أصل التوراة، فيأتون فى الترجمة والتشريح بألفاظ لا تدل على معانى ألفاظ التوراة ومقاصدها، وتحقّق هكذا عند الفقير (المصنف) وهو قول ابن عباس رض.

(٢) وأمّا التحريف المعنوى فهو التأويل الفاسد بحمل إثنيا التوراة (آياتها) على غير معناها (الذى يدل عليه اللفظ والسياق) للحميّة الجاهلية، والضدّ، والانحراف عن الصراط المستقيم.

أمثلة تحريفات اليهود المعنوية:

١- منها أن الفرق بين المؤمن الفاسق والكافر الجاحد قد أظهرَ فى كل ملّة (من الملل السماوية) فأثبتوا للكافر الخلود فى النار والعذاب الشديد، وأثبتوا للفاسق الخروج عن النار بشفاعة الأنبياء، وفى بيان هذا الفرق عبّروا عن المتدين الفاسق فى كل دين بالاسم المنسوب إلى هذا الدين، ففى "التوراة" أعطى هذا اللقب (المؤمن الفاسق) لليهودى والعبرى، أى سمّوه باسم (اليهودى والعبرى) وفى "الإنجيل" وُضِعَ النصرانى فى هذه المرتبة (أى سمّوه باسم النصرانى) وفى "القرآن العظيم" خصّصوا المسلم بهذه المزية (أى سُمّىَ باسم المسلم أو المؤمن) ومناط الحكم (علته) لكونه يهوديًا، وعبريًا، ونصرانيًا، ومسلمًا، هو الإيمان بالله تعالى، وباليوم الآخر، وإطاعة الرسول الذى بعث إليهم، والعمل بشرائع تلك الملّة التى جاء بها رسولهم، والاجتناب عن منهيات تلك الملّة، وليس مناط الحكم بهذه الألقاب (والأوصاف) خصوص فرقة من الفِرَق (أو حزب من الأحزاب) لذاتها، فحرّف اليهود مفهوم ذلك الاسم المنسوب (اليهودى أو العبرى) وظنّوا أن كل من يتّصف باليهودية نسبًا وبالعبرية لغةً، فهو من أهل الجنة، ويخلّصه من النار شفاعة الأنبياء، ولن تمسّه النار إلا أيامًا معدودة، (واعتقدوا كذلك) وإن لم يتحقق مناط

الحكم (علته) وهو الإيمان بالله، واليوم الآخر، وإطاعة الرسول (بعد الإيمان به) والعمل بالشرائع التى جاء بها رسولهم، بل كان إيمانه بالله على وجه غير صحيح، أو لم يكن عنده حظ من الإيمان باليوم الآخر، ولا من الإيمان بالرسول الذى بعث إليهم.

وهذا الظن والتحريف خلط خالص بين الكفر والإيمان، وجهل محض؛ فإن القرآن الكريم مهيمن الكتب السالفة ومبيّن مواضع إشكالها، فأوضح مبهمات تلك الكتب على وجه أتم، وكشف عن مشكلاتها بأكمل كشفٍ، فإنه تعالى قال فى القرآن الحكيم: ﴿بلى من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾، فبيّن القرآن الكريم أن مدار دخول النار على الخطيئة والسيّئة، لا على اليهودية أو العبرية أو النصرانية أو الإسلام (وأشار إلى أن مدار دخول الجنة هو الإيمان، والاجتناب عن السيّئة والخطيئة، دون اليهودية أو النصرانية).

٢- ومنها أن الشرائع والأحكام فى كل ملّة (دين) بُيّنَت وعُلّمَت على حسب مصالح ذلك العصر، وروعى فى تشريعها عادات القوم ومراسمهم، وأكّد بالأخذ وإدامة العمل بها، وبالاعتقاد بتلك الأحكام، وحصروا الحقية فيها، وكان مفهوم ذلك التأكيد والحصر أن الصدق والحقّية فى هذا العصر وذلك الزمان كان منحصراً فى تلك الأعمال والأحكام، وكان المراد الدوام الظاهرى أى حتى يأتى نبى آخر، وجاء شرع آخر، لا الدوام الحقيقى حتى لايقبل نبى آخر ولا شرعه، أمّا إذا جاء النبى الآخر، وجاء بشرع جديد، وكشف الغطاء عن نبوته، فالإيمان به وبشرعه، وترك الشرع الذى نسخه حتم وواجب، فأمّا اليهود فحملوا هذا التأكيد والحصر على استحالة نسخ اليهودية واستحالة مجىء نبى وشرع آخر.

وكان التأكيد والوصية بأخذ ودوام تلك الملّة فى الحقيقة تأكيداً ووصيةً بالإيمان، والأخذ بالأعمال الصالحة، ولم تكن خصوصية تلك الشريعة، ولاتخصيص ذلك النبىّ معتبرين لذاتهما، ولكنّ اليهود اعتبروا الخصوصية، وظنّوا أن يعقوب -عليه السلام- وصّى أولاده بالتمسك باليهودية والدوام عليها.

٣- ومنها أن الله تعالى شرّف الأنبياء ومَدَحَهم وأتباعهم فى كل ملّة (دين

سماوى) بوصف (المقرّب) و (المحبوب) ووبّخ (وذمّ) منكرى الملّة وجاحديها بوصف (المبغوضية) (والضلالة) ووقع الكلام فى هذا الصدد بلفظ شائع عند كل قوم (مثل لفظ المقرّب والمحبوب عند العرب) فلو كان فى (التوراة) ذكر لفظ (الابن) بدل لفظ (المحبوب) فما أعجبه، ولكنّ اليهود ظنّوا أن مدار التشريف والتوصيف بهذا الاسم (ابن) هو اليهودية والعبرية والإسرائيلية، دون كون المرء مقربًا ومحبوبًا عند الله، ولم يعرفوا أن مدار التشريف بهذا الاسم (ابن) هو الانقياد، والخضوع والمشى فى سبيل الله، وسبيل الحق، والأخذ بسنة الأنبياء لاغير.

وقد رسخ فى قلوبهم كثير من هذه التأويلات الفاسدة التى تلقّوها من آباءهم وأجدادهم، فأزال القرآن الكريم تلك الشبهات (الواهية) بأتمّ وجه (وأبسط تفصيل).

(٢) السبب الثانى لضلالة اليهود هو الكتمان:

تعريف الكتمان: هو إخفاء اليهود بعض أحكام "التوراة" وآياتها للحفاظ على جاه كبير ومرتبة شريف، أو لطلب الرياسة، لئلا يقع الخلل فى اعتقاد العوام بالنسبة إلى علماءهم، ولا يقع الملام والإلزام عليهم بترك العمل بها.

(١) ومن جملة كتمانهم أن آية (إنثيا) رجم الزانى كانت موجودةً فى التوراة، ولكن بعد إجماع أحبارهم بترك الرجم وإقامة الجلد وتحميم الوجه مقامه كتموا الآية وتركوا الرجم، وكان كتمانهم من خوف الفضيحة والخزى.

(٢) ومنها أن الآيات التى كانت فى التوراة مشتملة على بشارة هاجر وإسماعيل -عليهما السلام- ببعثة نبىّ فى أولادهما، وبالبشارة بوجود ملّة (دين) يشيع شيوعًا كاملا (يشتهر) فى أرض الحجاز، ولأجل ذلك الدين يملأ جبال عرفات من التلبية، ويسافر الناس من أطراف الأقاليم إلى الحجاز ولاتزال تلك الآيات موجودة فى التوراة إلى الآن، وكانوا يكتمون مفهوم تلك الآيات.

أولا: بتأويل أن المراد الإخبار بوجود تلك الملّة فى الحجاز لا الأمر بالأخذ

والإيمان بها.

ويقولون فى دليل الإنكار على هذه الملّة "ملحمة (قتال) كُتِبت علينا" (أى وجب علينا أن نقاتل متبعى تلك الملّة).

وثانيًا: بما أن الناس كانوا لا يُصغون إلى هذا التأويل الركيك، ولم يكن له صحة عند أحد، فأكّد وأوصى بعضهم بعضًا بإخفاء تلك الآيات وكتمانها، ولا يجوّزون إظهارها لكلّ خاصّ وعامّ، ويقولون: ﴿أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم به عند ربكم﴾ وما أجهلهم، هل يمكن أن يحمل منّة الله على هاجر وإسماعيل ببعثة نبى فى أولادهم بهذه المبالغة فى التوراة على الإخبار بوجود تلك الملّة؟ وهل يمكن أن يحمل ذكر هذه الملّة (فى التوراة) بهذا الشرف (شرف بعثة نبى جديد ودين جديد فى الحجاز) على الإخبار بوجود تلك الملّة فى الحجاز، لا الأمر والتحريض بالأخذ وقبول ذلك الدين؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

(٣) الضلال الثالث الافتراء:

وأمّا الافتراء فسببه الأساسى: (١) هو اختيار أحبارهم ورهبانهم التعمق والتشدّد فى المنع عن بعض الأمور الشرعية، وإجازة بعض الأمور غير الشرعية.

(٢) واستحسان بعض الأحكام بعقولهم واجتهادهم، بناءً على إدراك المصلحة فيها بآراءهم بدون أىّ نص من الشارع.

(٣) وترويج الاستنباطات الواهية، ثم إلحاق اتّباعها بأصل نص التوراة.

(٤) وجعل اتفاق سلفهم (بدون أى دليل) إحدى الحجج القطعية.

(٥) والإنكار عن نبوة عيسى (عليه السلام) مع أنه ليس لهم أىّ سند ودليل عليه، غير أقوال سلفهم، وهكذا حالهم فى إنكار وإلحاق كثير من الأحكام، فكما أن إلحاق ما ليس من الشرع به افتراء، كذلك إنكار ما من الشرع أيضًا افتراء.

(٤) وأما التكاسل والتساهل:

فى إقامة (وتنفيذ) أحكام التوراة واختيار البخل والحرص فظاهر أنه من

مقتضى النفس الأمّارة، ويغلب هذا الضعف على كل أحد، إلا من شاء الله ﴿إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربى﴾ ولكن هذه الرذيلة فى كتابهم (التوراة) انصبغت بلون آخر، فإنهم يتكلّفون فى تصحيحها بتأويل فاسد، فيظهرونها فى صورة الحكم الشرعى.

(٥) والخامس: استبعادهم رسالة محمد ﷺ:

فسبب استبعادهم ذلك أمور: (١) اختلاف عادات الأنبياء واختلاف أحوالهم فى إكثار التزويج وتقليله ونحوه من كثرة العبيد والإماء وقلتها.

(٢) والثانى اختلاف شرائع الأنبياء.

(٣) والثالث اختلاف سنن الله فى بعثة كلّ نبىّ من قوم إلى قوم.

(٤) والأمر الرابع بعثة محمد ﷺ من بنى إسماعيل بعد أن كان جمهور الأنبياء من بنى إسرائيل، ومثل ذلك من الأمور الأخر، كبعثته إلى جميع الأمم الأسود والأحمر، وكونه خاتم النبيّين.

والأصل فى هذه المسألة (مسألة النبوة) أن النبوة أى إرسال الرسول بمنزلة إصلاح نفوس أهل العالم وتعديل عباداتهم وعاداتهم بوضع أصول البرّ والإثم، ولكل قوم عادات مختلفة فى عباداتهم وتدبير منازلهم وسياسة مدنهم، فإذا بُعث نبى فى قوم من هؤلاء الأقوام لايغيّر النبىّ تلك العادات حتى يأتى بعادات جديدة، بل ينظر إلى عاداتهم، ويميّز بينها، فما كان طبق القاعدة المسلّمة والنظام المطلوب وموافقًا لرضى الحق تبارك وتعالى يتركه بحاله، وما كان على خلاف النظام وخلاف مرضى الحق يغيّره ويصلحه بقدر الضرورة.

وفى آيات التذكير بآلاء الله وبأيام الله أيضًا يُختار ويستخدم الأسلوب الذى كان شائعًا بينهم، وكانوا مأنوسين به.

بيان الحكمة فى اختلاف الشرائع

ومن أجل هذه الحكمة (اختلاف عادات الناس وضرورة إصلاح البعض، وإبقاء البعض بحالها) اختلف شرائع الأنبياء (فى الفروع).

ومَثَلُ هذا الاختلاف (اختلاف الشرائع لأجل اختلاف العادات) كمَثَلِ اختلاف تجويز الطبيب الأدوية المختلفة إذا عالج مريضين (فصاعدًا) فيكتب لأحدهما دواءً باردًا، وغذاء باردًا، ويأمر لآخر دواءً حارًا وغذاءً حارًا. وغرض الطبيب فى الموضعين واحد، وهو إصلاح طبع المريض وإزالة المفسدة عنه، دون غيرهما.

وقد يكون من الممكن أن يصف الطبيب لأهل أقاليم متفاوتةً أدوية وأغذية مختلفة، بحسب عادات تلك الأقاليم، بل وقد يختار ويكتب لكلّ فصل من فصول السنة أدوية وأغذية مختلفةً بحسب طبيعة ذلك الفصل (من الحرارة والبرودة، ومن الرطوبة واليبوسة).

وكذلك الحكيم الحقيقى جلّ مجده لما أراد أن يعالج هؤلاء المرضى (بالمرض القلبى والنفسانى) ويُقوّى طبيعة قوّتهم الملكية، ويزيل فساد قوتهم البهيمية، اختلف طريق هذا العلاج على حسب اختلاف طبائع الأقوام واختلاف عاداتهم، بل (وعلى حسب اختلاف مشهورات ومسلّمات كل عصر وقوم وإقليم.

نموذج اليهود:

وعلى كل تقدير إن شئت أن تعرف نموذجًا من اليهود، فانظر إلى هؤلاء العلماء السوء: (١) الذين جعلوا طلب متاع الدنيا طبيعةً ثانيةً لهم.

(٢) واعتادوا بتقليد سلفهم.

(٣) وأعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة.

(٤) وجعلوا تعمّق عالم وتشدّده أو استحسانه سندًا وحجة لهم.

(٥) واستغنوا عن كلام شارع معصوم.

(٦) وجعلوا الأحاديث الموضوعة (أو الضعيفة) والتأويلات الفاسدة قدوةً لهم، فكأنّهم (العلماء السوء) هم (اليهود) فى اختيار هذه الأمور.

أسباب ضلالة النصارى

١- أمّا النصارى فكانوا مؤمنين بعيسى -عليه السلام- وكان من ضلالتهم أنّهم يعتقدون أنّ الله تبارك وتعالى عبارة عن ثلاث شِعَب متغايرة بوجه من الوجوه، ومتحدة بوجه آخر، ويسمّون تلك الشِعَب بالأقانيم (العناصر) الثلاثة :

الأوّل : الأب، ويجعلونه بإزاء المبدإ للعالم.

والثانى : الابن، ويجعلونه بإزاء الصادر الأول الذى هو معنى عام شامل لجميع الموجودات (وهو العلّة الأولى لها أو العقل الأوّل عند الباطنية).

والثالث : الروح القدس، وهو بإزاء العقول المجردة (التى يقول بها الفلاسفة) ويعتقدون أنّ أقنوم الابن ارتدى بروح عيسى (جعل روح عيسى درعًا ورداءً لبروزه) يعنى كما أن جبرئيل كان يتمثّل بصورة البشر، ويظهر بين الناس كذلك أقنوم الابن يتمثّل، ويظهر فى صورة روح عيسى، فيكون عيسى (عندهم) هو الله، وهو ابن الله وهو بشر أيضًا، فيجرى عليه أحكام البشرية والألوهية كليهما.

دليلهم: وكانوا يتمسّكون فى هذا الصدد ببعض نصوص الإنجيل التى وقع فيها لفظ (ابن)، وكذلك أسند عيسى فى بعض تلك النصوص بعض الأفعال الإلهية إلى نفسه (كما وقع فى القرآن ﴿إنى أخلق لكم من الطين فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله﴾ ﴿وأبرئُ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله﴾ وغير ذلك من الآيات).

(١) والجواب عن الإشكال الأول وهو الإشكال بلفظ (الابن) بعد ما سلّمنا أنه ليس بمحرّف، ووقع فى كلام عيسى أيضًا هو أن لفظ (الابن) كان فى ما مضى (فى العصر القديم) يُستعمل بمعنى (المحبوب) و (المقرّب) و(المختار) (فيمكن أن يكون لفظ الابن فى الإنجيل لأحد هذه المعانى (الثلاثة) كما أن كثيرًا من القرائن فى

الإنجيل تدل على هذا.

(٢) والجواب عن الإشكال الثانى (نسبة بعض الأفعال الإلهية إلى نفسه) بأنه (الإسناد إلى نفسه) كان على سبيل الحكاية، كما أن رسول الملك (وترجمان السلطان) يقول: فتحنا إقليم كذا (وغلبنا على دولة كذا) وهدمنا قعلة كذا، وأستطنا حِصن كذا، وفى الحقيقة هذا الإخبار (وهذا المعنى) يرجع إلى السلطان، وليس عمل الرسول فى هذا إلا الترجمة والحكاية.

والجواب الثانى عن هذا الإشكال الثانى بأنه من الممكن أن طريق الوحى إلى عيسى كان انطباع (وانتقاش) المعانى من قِبَل العالم الأعلى فى لوح ذهنه، دون تمثّل جبرئيل لديه بصورة البشر، وإلقاء الكلام إليه، فبسبب ذلك الانطباع ظهر من عيسى كلام يكون فيه إسناد تلك الأفعال إلى نفسه (فكان العلم بتلك المعانى منسوبًا إلى نفسه، دون وجودها، بل كان وجودها بقدرة الله تعالى) والحقيقة (فى أمثال هذا) غير خفية.

وخلاصة الكلام أن الله تعالى ردّ (فى القرآن الحكيم) هذا المذهب الباطل وهذه العقيدة الفاسدة، وأوضح أن عيسى عبد الله (لا ابنه) وروح مطهرة منه، نفخها فى رحم مريم الصديقة، وأيّده بروح القدس (جبرئيل) وكان له تعالى بعيسى عنايةٌ خاصّةٌ، وإنما ذكر الله تعالى فى إثبات نبوة عيسى اسمه ونسبه (عيسى ابن مريم)، ولم يقل فى إثبات نبوته: الله أو ابن الله.

وحاصل الجواب (عن تدرع وارتداء (الابن بروح عيسى) أنه لو ظهر الله تبارك وتعالى فى لباس روح من جنس سائر الأرواح وارتدى بالصورة البشرية ففتّشنا هذه النسبة (نسبة الارتداء إليه تعالى) تفشيشًا لائقًا بشأنه تعالى لا يجرى لفظ (الاتحاد) الواقع فى الإنجيل فى هذا المعنى إلا بتسامح (ومجاز) وأقرب الألفاظ إلى هذا المعنى هو لفظ (التقويم) ونحوه، كلفظ (التحقيق) أى تكون روح عيسى مقوّمةً للألوهية ومحققةً لها، لا أن تكون متحدةً معها -تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوًا كبيرًا-.

وإن شئتَ أن تنظر إلى نموذج من فريق النصارى اليوم، فانظر إلى أولاد

المشايخ (العلماء) وأولاد الأولياء (الصوفية وأصحاب البيعة والطريقة) فماذا يظن هؤلاء الأولاد فى حق آباءهم (وأجدادهم)؟ وإلى أين جرّوا (وأوصلوا) سلسلة آباءهم؟ ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾.

(٢) ومن ضلالتهم:

أنهم جزموا وأيقنوا أن عيسى قُتِل، وليس الأمر كذلك فى الواقع، بل وقع لهم اشتباه فى قصّة (رفع عيسى) لأنهم زعموا الرفع إلى السماء قتلا، وكانوا يروون وينقلون هذا الغلط والخطأ كابرًا عن كابر، وأزال الله تبارك وتعالى شبهتهم فى القرآن الكريم، وقال: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم﴾.

وما ذُكِر فى الإنجيل فى هذا الصدد من مقولة عيسى (بأنهم يقتلونه) معناه الإخبار بجرأة اليهود وإقدامهم عليه، وإرادتهم قتله، مع أن الله تعالى قد أنجاه عن الهلاك والقتل (ورفعه إلى السماء)، وأمّا مقولة الحواريّين الدالة على قتله فمنشؤه وقوع الشبهة لهم، وعدم اطلاعهم على حقيقة الرفع، فإن رفع الجسد البشرى حيّا إلى السماء ما كان مألوف الأذهان والأسماع، فظنّوه قتلا.

(٣) ومن ضلالاتهم:

أنهم يقولون: إن فارقليط الموعود هو عيسى الذى جاء إلى الحواريّين بعد قتله، وأوصاهم (وأكّدهم) بالتمسّك بالإنجيل، ووصّاهم أن المدعيّين للنبوة سيكثرون بعدى، فأيّهم ذكر اسمى فاقبلوا كلامه وآمِنوا به، وإلا فلا، أى من لم يذكر اسمى من هؤلاء فلا تقبلوه، وإنما ذكر عيسى فى وصيته اسمه، وقال: فأيّهم ذكر اسمى. . . إلخ، ولم يقل من جعلنى الله أو ابن الله فاقبلوه وإنما شرط ذكر اسمه لإثبات نبوته لا لإنكار نبوة غيره.

فأوضح القرآن الكريم أن تبشير عيسى ﴿ومبشّرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾ ينطبق على رسولنا محمد ﷺ، لا على صورة عيسى الروحانية؛ لأنه قيل فى الإنجيل: إنّ فارقليط يكون فيكم مدّةً، ويعلّمكم ويزكّى الناس (عن الأدناس

والأنجاس الاعتقادية والعملية) وإنما صدق وظهر هذا المعنى على نبيّنا محمد ﷺ دون غيره، وإنما ذكر عيسى فى الوصية اسمه وقال: فأيّهم ذكر اسمى؛ لإثبات نبوته لا لإنكار نبوة غيره، أى من أثبت نبوتى فاقبلوه، ولم يقل: من جعلنى الله أو ابن الله فاقبلوه.

أسباب ضلالة المنافقين وأنواعهم

وأمّا المنافقون فكانوا طائفتين: طائفة يؤمنون بألسنتهم، وكان قلوبهم مطمئنّة بالكفر والجحود، ويظهرون الإيمان لمحض الخداع، وقد ورد فيهمْ (فى هذه الطائفة) ﴿إنّ المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾ وطائفة دخلوا فى الإسلام مع ضعف (فى إرادتهم وعقيدتهم).

(١) ومن وجه ضعفهم أنهم يراعون عادات قومهم (وقبيلتهم) فإن أسلم القوم فهم يسلمون، وإن كفر القوم فهم يكفرون.

(٢) ومنه أن اتباع لذات الدنيا الدنيئة هجم وغلب على قلوبهم بحيث لم يترك موضعًا لمحبة الله ومحبة رسوله.

(٣) ومنه أنه قد ملك الحرص والحسد والحقد وأمثالها على قلوبهم حتى لم تترك هذه الأوصاف الرذيلة أن يخطر على قلوبهم حلاوة المناجاة وبركات العبادات، بل لم تترك لها موضعًا.

(٤) ومنه أن الاشتغال بأمور المعاش (الحياة الدنيا) قد شغف قلوبهم إلى حدّ لا يمكن لهم الاهتمام بأمر المعاد، ولا رجاءه، بل وليس عندهم الفرصة للتفكّر فيه.

(٥) ومنه أنه يخطر على قلوبهم ظنون واهية، وشبهات ركيكة حول رسالة محمد ﷺ، وإن لم يبلغوا إلى حدّ أن يخلعوا حبل الإسلام عن أعناقهم ويخرجوا عنه كاملا، ومنشأ تلك الشكوك هو جريان أحكام (أوصاف) البشرية على محمد ﷺ، وظهور (غلبة) الملّة الإسلامية فى صورة غلبة الملوك فى أطراف العالم، وأمثالها من الأمور التى أوقعتهم فى الشكّ.

(٦) ومنه أن محبة قبائلهم وعشائرهم حملتهم على نصرتهم وتأيدهم

وإيصال النفع إليهم، ولو كانت على خلاف أهل الإسلام، فيسعون فى هذا سعيًا بليغًا ويضعّفون ويهيّنون فى هذا الصدد أمر الإسلام وأساسه.

وهذا النوع الثانى هو النفاق فى العمل والأخلاق (النفاق العملى والأخلاقى) وأمّا القسم الأول من النفاق (وهو إظهار الكلمة وإبطان الكفر والجحود) لا يمكن الاطلاع عليه بعد النبى ﷺ لأنه من قبيل علم الغيب، ولا يمكن الاطلاع على مخزونات القلوب ومركوزاتها لأحد غير الله تعالى.

وأمّا النوع الثانى (نفاق العمل والأخلاق) فكثير الوقوع، لا سيّما فى عصرنا، ووقعت الإشارة إلى هذا النوع الثانى فى الحديث الشريف «ثلاث من كنّ فيه كان منافقًا خالصًا إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر» وفى حديث آخر: «همّ المنافق بطنه وهمّ المؤمن فرسه» إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة فى شأن القسم الثانى من النفاق.

ردّ القرآن الكريم على المنافقين بنوعيهم:

وقد كشف الله تعالى أعمالهم وأخلاقهم فى القرآن العظيم (حتى لم يبقَ فيها أىّ خفاء) وذكر من أحوال الفريقين وعاداتهم شيئًا كثيرًا حتى تحترز الأمة جمعاء عن تلك الأحوال وعن دسائسهم.

نموذج المنافقين:

وإن شئتَ أن تعاين نموذجًا من المنافقين فاذهب إلى مجلس الأمراء، وانظر إلى مصاحبيهم وندماءهم، فإن هؤلاء المجالسين والمصاحبين يرجّحون ويقدّمون رضاء الأمراء وسرورهم على رضا الشارع (وفيهم قال تعالى: ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾.

الفرق بين المنافقين القدماء والمنافقين المتأخرين

والمنصف يحكم على أنه لا فرق بين المنافقين الذين سمعوا كلام الرسول ﷺ بلا واسطة ثم تنافقوا، وبين الذين ظهروا الآن وعلموا حكم الشارع (وتعليماته) بالجزم واليقين الكامل (يعنى كلّ من المتقدمين والمتأخرين منهم نافقوا بعد القطع واليقين) وأقدموا على إيثار خلاف الإسلام (وكذلك يفعلون فيما يأتى).

مَثَل بعض المعقوليين كمثل المنافقين:

وعلى هذا القياس جماعة من المعقوليين (المنطقيين) الذين لهم شكوك وشبهات كثيرة (فى الشرعيات) ولا سيّما فى المعاد (الآخرة) فإنهم جعلوا المعاد (عقيدة القيامة) نسيًا منسيًا فهم أيضًا نموذج من المنافقين.

ما ذا يناسب أن يتصور قارئ القرآن عند تلاوته:

والحاصل أنك إذا تلوتَ القرآن الكريم وقرأته لا تحسب ولا تظنّ أن الخطاب والحوار فى القرآن الحكيم كان مع قوم قد مضوا وذهبوا (بل بحكم هذا الحديث «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل» لم تكن من مصيبة ولا معصية ولانفاق ومخالفة فى الأمم الماضية إلا ويوجد اليوم نموذجها ومثالها (فى هذه الأمة) فالمقصود الأصلى والهدف الأساسى من الآيات هو بيان الكليات من تلك الوقائع، دون خصوص تلك الحكايات وهؤلاء الأقوام.

وهذا هو الذى تيسّر لى فى هذا الكتاب من بيان عقائد الفِرَق الضالة ومن تقرير أجوبتها، وهذا (القدر) كافٍ -إن شاء تعالى- فى فهم معانى آيات المخاصمة (والجدال).

٥- بيان مباحث بقية العلوم الخمسة (علم التذكير بآلاء الله وأيّام الله وبما بعد الموت) وأسلوب القرآن الكريم فيها:

واعلم أن إنزال القرآن الحكيم إنما يكون لتهذيب النفوس (البشرية) وتهذيب طوائف من الناس، من العرب، والعجم، والحضر، والبدو.

(١) فاقتضت الحكمة الإلهية فى التذكير بآلاء الله أن لا يخاطب الناس بأكثر مما يعرفه ويعلمه أكثر أفراد بنى آدم، وكذلك لم يكثر فى البحث والتفتيش عمّا لا يعرفه أكثر بنى آدم، وساق الكلام فى البحث عن أسماء الله تعالى وصفاته على نهج يمكن إدراكه بالعقل المتوسط والفطرة التى فطر الناس عليها، وبالفطنة التى أكثر أفراد بنى آدم مخلوقون عليها، فيمكن لهم الإحاطة والوصول إلى الفهم بمعانى أسماءه وصفاته تعالى، بدون ممارسة الفلسفة الإلهية، وبلا مزاولة علم الكلام (أو أىّ علم آلىّ سوى اللغة العربية بأنواعها).

فأثبت الله تعالى وجود ذات المبدئ (موجد الأشياء ابتداءً) بالإجمال؛ لأن العلم بوجود المبدئ (الله تعالى) سارٍ فى أفراد بنى آدم، ولا ترى طائفة من جماعات بنى آدم منكرين عن وجود الله تعالى فى الأقاليم الصالحة والأمكنة القريبة (من المعمورة) (غير شرذمة قليلة من الدهرية).

تمثيل صفات الله تعالى بصفات مدح البشر:

وبما أن إثبات صفات الله تعالى بطريق الإمعان والتحقيق (الوصول إلى حقيقتها) ممتنع للبشر، وأن عدم اطلاعهم بصفات الله أصلا خسارة لهم؛ لأنهم يَحرمون عن معرفة الربوبية التى هى أنفع الأشياء فى تهذيب النفوس، اقتضت الحكمة الإلهية أن ينتخب من صفات البشر الكاملة التى يعرفها البشر ويمدح بها بعضهم بعضًا (أى يكون المدح بتلك الصفات جاريًا بينهم) صفات خاصّة كاملة ويستعملها فى معانٍ (صفات) غامضة (من صفات الله تعالى) التى لايصل عقول البشر إلى ساحة جلالها ولا يتطرق إليها، وجعل قاعدة "ليس كمثله شىء" دواءً

للداء العضال الذى يَحدُث من الجهل المركّب، ومنَعَ إطلاق عدد من الصفات البشرية التى تثور الأوهام فيها إلى العقائد الباطلة، مثل إثبات الولد (كونه والدًا) وإثبات النكاح والجزء، ﴿ما اتخذ الله صاحبة ولا ولدًا﴾ ﴿لم يلد ولم يولد﴾.

الحكمة فى كون أسماءه تعالى وصفاته توقيفية

ولو كشفتَ الأمر (بحث صفات الله تعالى) حق الكشف حتى لم يبقَ فيه شكّ ولا ريب، تعلم أن تقليد علوم نوع الإنسان الحاصلة بالكسب، والجريان على مسطرها (خطوطها) وتمييز صفات يمكن إثباتها له تعالى ولا يكون فيها أيّ سوء ونقص، من الصفات التى تثور الأوهام فيها إلى العقائد الباطلة أمر دقيق (صعب) لا يمكن وصول مدارك العامة إليه، ومن هنا صار هذا العلم (العلم بصفات الله) توقيفيّا، ولم يُرخّص للعلماء أن يتكلّموا فى الصفات والأسماء بما شاؤوا، واختار الله تعالى من آلاءه وآيات قدرته ما يفهمه الحضر والبدو، والعرب والعجم على السواء.

ومن أجل ذلك لم يأتِ فى القرآن ذكر النعماء الروحانية المخصوصة بالعلماء والصّالحين، ولم يخبر الله تعالى عن نعم ارتفاقية مخصوصة بالملوك، بل ذكر ما يناسب ذكره للعامّة، مثل خلق السموات والأرض والنبات، وإنزال الماء من السحاب، وتفجيره على الأرض، وإنبات أنواع الأثمار والحبوب والأزهار بذلك الماء، وإلهام عباده الصناعات والحِرَف الضرورية، وإعطاء القدرة على فعلها والإتيان بها، والتنبيه على اختلاف أحوال الناس فى مواضع كثيرة عند هجوم المصائب (والسرور) وعند كشفها (إزالتها)، وذكر من الأمراض النفسانية ما كانت كثيرة الوقوع.

(٢) أسلوب القرآن فى التذكير بأيام الله:

واختار الله تعالى من أيام الله أى من الوقائع والأحداث التى أوجدها الله تعالى فى الأمم الماضية من النجاة والإنعام على مطيعهم ومؤمنيهم، ومن التعذيب وعقاب

عصاتهم ومجرميهم، ما وصل إلى أسماعهم وسمعوا منه ذكرًا إجماليًا، مثل قِصَص قوم نوح وعاد وثمود؛ لأن العرب تلقّوا تلك القِصَص أبًا عن جدّ، فيعرفونها، ومثل قِصَص إبراهيم وأنبياء بنى إسرائيل؛ فإن العرب لأجل قربهم وجوارهم باليهود فى القرون المتطاولة كانوا قد استأنسوا باستماع تلك القِصَص، ولم يذكر فى القرآن القِصَص الشاذة غير المأنوسة، ولا قِصَص مجازات ومحاربات الفارس والهنود، واستنبط من القِصَص المشهورة جُمَلا وحصةً تنفعهم فى التذكير، ولم يسرد القِصَص كاملة مع جميع خصوصياتها.

الحكمة فى ترك تفصيل القصَص وترك خصوصياتها

والحكمة هنا أن العوام إذا سمعوا قِصّةً نادرةً غاية الندرة، أو جاء أمامهم استقصاء جميع خصوصيات القِصَص يتوجّهون إلى نفس القِصَص، أو إلى خصوصياتها ويرغبون فيها، ويتركون الغرض الأصلى (الأساسى) من القِصَص وهو التذكّر والعبرة، ويكون هذا مثل ما قال بعض العارفين: "ولمّا تعلّم الناس علم التجويد وقواعده صاروا محرومين عن الخشوع فى التلاوة" "ولما تكلّم المفسّرون عن الوجوه البعيدة فى التفسير صار علم التفسير نادرًا وكالمعدوم".

القِصَص التى جاءت مكررة فى القرآن:

ومن القِصَص التى جاءت مكررةً فى القرآن العظيم: (١) قصّة خلق آدم من الأرض (الطين) وسجود الملائكة له، وإباء الشيطان عن سجوده، وصيرورته ملعونًا بسبب ذلك، وجهده بعد ذلك فى إغواء بنى آدم.

(٢) وقصّة مخاصمة (جدال) هؤلاء الأنبياء نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب مع أقوامهم فى باب التوحيد (والقيامة) والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وذكر إباء هؤلاء الأقوام والشعوب عن الإيمان بهم، وبما جاؤوا به، وتمسّكهم بشبهات ركيكة، ثم جواب الأنبياء عن شبهاتهم، وبيان عقاب الله تعالى الأشقياء، وبيان نصرة الله تعالى الأنبياء ومن تبعهم من الأمم.

(٣) وقصّة موسى مع فرعون وقومه، ومع سفهاء بنى إسرائيل، ومكابرة تلك الجماعة (جماعة فرعون وقومه) على موسى، وإظهار الله تعالى عقابه على هؤلاء الأشقياء، وظهور نصرة الله مرة بعد مرة لموسى وقومه.

(٤) وقصّة خلافة داود وسليمان ومعجزاتهما وما أكرمهما الله به.

(٥) وقصّة محنة (وجهد) أيوب ويونس، وظهور رحمة الله لهما.

(٦) وقصّة قبول الدعاء لزكريا.

(٧) وذكر القِصَص العجيبة بالنسبة إلى عيسى من ولادته بلا أب، ومن تكلّمه فى المهد، ومن ظهور خوارق العادة منه.

فهذه القِصَص (الست) جاءت بأساليب مختلفة إجمالا، وتفصيلا حسب ما يقتضيه أسلوب السور، ومن القِصَص التى جاءت فى القرآن مرةً أو مرتين فقط: (١) قصة رفع إدريس -عليه السلام- إلى السماء ﴿ورفعناه مكانًا عليّا﴾ (٢) وقصّة مناظرة إبراهيم مع نمرود (٣) وقصة رؤيته إحياء الموتى.

(٤) وقصّة ذبح ولده (إسماعيل) (٥) وقصة يوسف (٦) وقصّة ولادة موسى، وإلقاءه فى اليمّ، وقتله القبطىّ، وفراره إلى مدين، ونكاحه (بنت شعيب هناك) ورؤيته النار على الشجرة فى الطور (بعد عوده إلى مصر) وسمعه كلام الله من الشجرة (٧) وقصة ذبح البقرة لمعرفة القاتل (٨) وقصّة لقاء موسى الخَضِر -عليهما السلام- (٩) وقصّة طالوت وجالوت (١٠) وقصّة ملكة سبأ (١١) وقصّة ذى القرنين (١٢) وقصّة أصحاب الكهف (١٣) وقصّة الرجلين الذَين تحاورا (فى سورة الكهف) (١٤) وقصّة أصحاب الجنة فى (النون) (١٥) وقصّة الرسل الثلاثة الذين بعثهم الله أو أرسلهم عيسى وقتلهم الكفّار (فى يس) (١٦) وقصة أصحاب الفيل (فى سورة الفيل).

المقصود من القِصَص القرآنية:

وليس المقصود من سرد تلك القِصَص معرفة نفسها، بل المقصود الأساسى (من ذلك) هو انتقال ذهن السامع من القصّة إلى وخامة الشرك والمعاصى، وإلى

عقاب الله المشركين والعصاة، وكذلك الاطمئنان بنصر الله المؤمنين، وظهور عناية الله للمخلصين من المؤمنين.

(٣) أسلوب القرآن الكريم فى علم التذكير بالموت وما بعده:

وقد ذكر الله تعالى بالنسبة إلى الموت وما بعده كيفية موت الإنسان وعجزه فى هذه الساعة ﴿كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق﴾ ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذٍ تنظرون﴾ وعرض الجنة أو النار عليه بعد موته، وظهور ملائكة العذاب أمامه (فى القبر).

وذَكَر مِن أشراط الساعة نزول عيسى، وخروج دابّة الأرض، وفتح يأجوج ومأجوج، وذكر نفخ الصعق، ونفخ القيام، وذكر الحَشر والنشر، والسؤال والجواب، وذكر الميزان، وأخذ صحائف الأعمال بالأيمان والشمائل، وذكر دخول المؤمنين فى الجنّة ودخول الكفار فى النار، وذكر تخاصم أهل النار بعضهم بعضًا، التابعين والمتبوعين (المستكبرين والمستضعفين) وإنكار بعضهم على بعض، ولعن بعضهم بعضًا، وتخصيص المؤمنين وتشريفهم برؤية الله تعالى، ونظرهم إلى ربّهم، وذكر أنواعًا من العذاب للكفار من السلاسل، والأغلال، والحميم والغسّاق، و الزقّوم، وذكر أنواعًا من النعمة لأهل الجنة من الحور والقصور، والأنهار والمطاعم الهنيئة والملابس الناعمة، والنساء الجميلات، ومجالس أهل الجنة المفرّحة، ومصاحبتهم السارّة، ففرّق الله سبحانه هذه المطالب فى مختلف السور، بالإجمال والتفصيل حسب اقتضاء أسلوب كل سورة.

(٤) أسلوب القرآن الحكيم فى بيان الأحكام الفقهية

والقاعدة الكلية فى مباحث الأحكام هى أن النبىّ ﷺ بُعث فى الملّة الحنيفية (ملّة إبراهيم) فوجب عليه إبقاء شرائع تلك الملّة (وإحياءها) ولم يتطرّق أىّ تغيّر فى أمّهات مسائلها، غير تخصيص العموم، وتوقيت المبهم، وتحديد المجمل، وأراد الله تعالى أن يطهّر العرب بيد النبى ﷺ، وسائر الأقاليم بيد العرب،

فلزم أن تكون مادة شريعة محمد ﷺ قائمة على رسوم وعادات العرب، فإنك إذا أمعنتَ مجموع شرائع الملّة الحنيفية، ورسوم العرب وعاداتهم (وتأملتَ فى تشريع النبى ﷺ وبيانه أحكام الشرع) الذى هو بمنزلة الإصلاح والتسوية للملّة الحنيفية، تجد لكل حكم سببًا، وتفهم لكل أمر ونهى مصلحةً، وتفصيل هذا الكلام طويل (لا يليق بهذه الرسالة).

والحاصل أنه قد تطرق فتور عظيم فى العبادات، مثل الطهارة، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وذكر الله تعالى، لأجل التساهل فى إقامتها، ولأجل اختلاف الناس فيها، بسبب عدم معرفتهم أكثرها، ولدخول تحريفات أهل الجاهلية فيها، فأزال الله فى القرآن العظيم جميع أنواع ذلك الخلل، وعدم التناسق عنها، ومهّدها وسوّاها حتى استقام أمرها.

(١) وقد كان تطرق فى تدبير المنزل رسوم ضارّة (فاسدة) وأنواع من التعدى والطغيان والعلوّ (٢) وتطرق الخلل والفساد فى أحكام السياسة المدنية أيضًا، فرتّب القرآن العظيم أصول هذين العلمين وهذّبها وعيّن توقيتها وحدودها، وذكر فى هذا الصدد أنواعًا من الكبائر وكثيرًا من الصغائر التى كان يرتكبها الناس.

(٣) وذكر الله تعالى فى القرآن العظيم مسائل الصلاة بالإجمال، واختار لها لفظ "أقيموا الصلاة" فاستنبط النبى ﷺ منه بناء المساجد، والجماعة، وأوقات الصلاة، وفصّل كلها.

(٤) واختار الإيجاز فى مسائل الزكاة أيضًا، فاكتفى بلفظ "الزكاة" ﴿وآتوا الزكاة﴾ أو (الصدقة) ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ ثم فصّلها النبى ﷺ (بأقواله وأفعاله).

(٥) وذكر الله تعالى الصوم والحج فى سورة البقرة.

(٦) وأورد الجهاد فى البقرة والأنفال ومواضع متفرّقة.

(٧) وجاء بالحدود فى سورة المائدة وسورة النور.

(٨) وفصّل علم الميراث فى سورة النساء.

(٩) وذكر النكاح والطلاق فى سورة البقرة والنساء وسورة الطلاق، وغيرها

كالأحزاب .

وبعد هذا القسم الذى تعمّ فائدته جميع الأمة (من قسم العبادات والمعاملات الاجتماعية) هناك قسم آخر من الأحكام يتعلق ببعض الأمّة .

(١٠) كما إذا سئل النبى ﷺ عن شىء فأجابه (كالسؤال عن ماذا ينفقون) والسؤال عن المحيض ، والسؤال عن اليتامى ، والسؤال عن الأهلة ، والسؤال عن الروح ، وعن ذى القرنين ، وعن الساعة وأمثالها ، فأجاب ﷺ عن كل هذه الأسئلة بالوحى .

(١١) أو بذل المؤمنون أنفسهم وأموالهم فى حادثة ، واختار المنافقون فى تلك الحادثة الرياء أو الإمساك ، فمدح الله المؤمنين وبشّرهم ، وذمّ المنافقين وخوّفهم .

(١٢) أو وقع نصر المؤمنين فى حادثة على أعداءهم ، وكفّ الله ضرر الأعداء عنهم ، فذكر الله تعالى منّته وإحسانه على المؤمنين ، وذكّرهم نعمه التى أنعمها عليهم ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة﴾ .

(١٣) أو عرضت حالة تقتضى تنبيهًا وزجرًا ، أو تعريضًا وإيماءً ، أو أمرًا أو نهيًا ، فأنزل الله تعالى الآيات المناسبة بهذه الأمور وتلك الحالة ، فلا بد للمفسّر أن يذكر القِصَص التى فيها الإشارة إلى الأمور المذكورة بالإجمال دون التفصيل (إلا إذا لم يمكن فهمها من غير تفصيل) .

(١) وقد وقع التعريض بقصّة بدر فى الأنفال (٢) وبقصّة أحد فى آل عمران (٣) وبقصّة الخندق فى الأحزاب (٤) وبقصّة الحديبية فى سورة الفتح (٥) وبقصّة غزوة بنى النضير فى سورة الحشر (٦) وبقصة الحضّ على فتح مكة فى سورة الفتح وعلى غزوة تبوك فى البراءة (٧) ووقعت الإشارة بحجةالوداع فى المائدة (٨) والإشارة إلى نكاح زينب وقعت فى الأحزاب (٩) ووقعت الإشارة إلى تحريم السرية (الأمة) (أو تحريم العسل) فى سورة التحريم (١٠) وذُكرت قصّة الإفك فى سورة النور (١١) ووقعت الإشارة إلى قصة استماع الجن تلاوة النبى ﷺ فى سورة الأحقاف والجنّ (١٢) والإشارة إلى قصّة مسجد الضرار وقعت فى البراءة (١٣) والإشارة إلى قصة المعراج وقعت فى أوّل بنى إسرائيل .

وهذه الأنواع فى الحقيقة من قسم التذكير بأيّام الله، ولكن لما كان حلّ التعريضات (والإشارات) وفهمها موقوفًا على السماع (سماع تلك القصص) جيء بها ممتازةً عن سائر الأقسام.

الباب الثانى فى بيان وجوه خفاء نظم القرآن وإزالته بأوضح البيان

واعلم أن القرآن أنزل بلغة العرب الخالصة من غير تفاوت، وكانوا يدركون معانى منطوقه بسليقتهم العربية، وذوقهم العربى الخالص، كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿حم والكتاب المبين﴾ وقال: ﴿إنّا أنزلناه قرآنًا عربيّا لعلّكم تعقلون﴾ وقال: ﴿كتاب أحكمت آياته ثمّ فصّلت﴾ وكان منشأ الشارع ومرضاه هو (١) عدم الخوض فى تأويل المتشابهات (٢) وعدم الخوض والإمعان فى بيان حقائق الصفات الإلهية (٣) وعدم تسمية مبهم كتابه (٤) وعدم الخوض فى استقصاء القِصَص ونحوها (من غير ضرورة داعية إليه).

ومن هنا كان أسئلتهم عن النبى ﷺ حول هذه الأمور قليلةً، وتكون الروايات المرفوعة فى هذا الصدد أقل قليل.

ولما انقضى ذلك العصر ومضت الطبقة الأولى (العرب الأول) وتدخل العجم (فى العلوم الإسلامية) وصارت اللغة الأولى متروكةً، وحدثت صعوبة فهم المراد فى بعض المواضع لعدم السليقة، ومسّت الحاجة إلى البحث عن النحو واللغة، وجرت الأسئلة والأجوبة فيما بين العلماء، وصُنّف كتب التفسير وجب علينا ذكر المواضع الصعبة إجمالا، ثم بيان أمثلتها لئلا نحتاج بالبيان الزائد عند الخوض، ولا نضطرّ إلى المبالغة فى كشف معانى تلك المواضع.

أسباب صعوبة فهم المراد، وعدم الوصول إلى المراد بلفظ القرآن

وأسباب صعوبة الوصول إلى فهم المراد بلفظ القرآن عشرة (على استقصاء المصنف العلامة).

١- قد يكون عدم الوصول إلى مراد اللفظ لأجل استعمال لفظ غريب،

وحلّه هونقل معنى ذلك اللفظ من الصحابة والتابعين وسائر أهل المعانى (الماهرين بمعانى ألفاظ غريبة).

٢- وقد يكون بسبب عدم امتياز المنسوخ من الناسخ، (وحلّه هو العلم بالناسخ والمنسوخ من الآيات).

٣- وقد يكون بسبب عدم حفظ أسباب نزول الآيات، وحلّه العلم بأسباب النزول أولا.

٤- وقد يكون لأجل حذف مضاف أو موصوف أو غيرهما من أجزاء الكلام (وحلّه هو معرفة ذلك المحذوف بعد العلم بحاجة الكلام إليه).

٥- وقد يكون بإبدال شىء عن شىء، كإبدال حرف بحرف، أو إبدال اسم باسم، أو إبدال فعل بفعل، أو إيراد الجمع فى موضع المفرد أو عكسه، أو اختيار أسلوب الغيبة بدل الخطاب (أو بدل التكلم أو عكسه أو الخطاب بدل التكلم أو عكسه).

٦- وقد يكون بتقديم ما حقّه التأخير وبالعكس.

٧- وقد يكون بسبب استتار الضمائر أو إرادة المراد (المعنى) المتعدد من لفظ واحد.

٨- وقد يكون بسبب تكرار اللفظ أو الإطناب (فى محلّ الإيجاز والمساواة).

٩- وقد يكون بسبب الاختصار والإيجاز.

١٠- وقد يكون لأجل استعمال (الكناية أو التعريض أو المتشابه، أو المجاز العقلى.

فينبغى للأصدقاء السعداء أن يطّلعوا فى أول الكلام عن التفسير على حقيقة هذه الأمور وبعض أمثلتها، حتى يقنعوا فى موضع التفصيل بمجرد الرمز والإشارة.

أحسن الطرق فى شرح غريب القرآن

(١) وأحسن طرق شرح غريب القرآن أوّلا: هو شرح ترجمان القرآن عبدالله ابن عباس رضى الله عنهما الذى ثبت عن طريق ابن أبى طلحة، واعتمد عليه

البخاری فی "صحيحه" غالبًا .

(٢) ثمّ شرح ما ثبت عن طريق الضحّاك عن ابن عباس رضـ .

(٣) وثالثًا : ما أجاب ابن عباس رضـ عن أسئلة نافع بن الأزرق ، وذكر السيوطی فی "الإتقان" هذه الطرق الثلاث .

(٤) والرابع : شرح الغريب الذی نقله البخاری عن أئمة التفسير .

(٥) والخامس : شرح الغريب الذی رواه سائر المفسّرين من الصحابة والتابعين وتبع التابعين .

الوعد بما يكتب المصنف فی الباب الخامس

وينبغی لی أن أجمع قدرًا معتدًا به من شرح غريب القرآن مع ذكر أسباب النزول فی الباب الخامس من هذه الرسالة ، وأجعله رسالةً مستقلّة ليدخلها فی هذه الرسالة (أی جعلها جزءً منها) من شاء ، ويحفظها علی حدةٍ من شاء -وللناس فيما يعشقون مذاهب- .

وينبغی أن يُعلَم هنا أن الصحابة والتابعين كانوا قد يفسّرون لفظ القرآن الكريم بلازم معناه ، وقد يتعقّب المتأخرون ذلك التفسير القديم من جهة تتبع لغته وتفحص موارد استعماله ، وغرضی فی هذه الرسالة سردُ تفسيرات السلف بعينها ، ولتنقيحها ونقدها موضع آخر غير هذه الرسالة ، ولكل كلام زمان ، ولكل نكتة مكان .

من المواضع الصعبة فی فن التفسير معرفة الناسخ والمنسوخ

من المواضع الصعبة التی مباحثها كثيرة ، والاختلاف فيها غير معدود معرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات ، وأقوی الوجوه الموجبة للصعوبة هو اختلاف المتقدمين (الصحابة والتابعين) والمتأخرين فی هذا الباب ، وما يُعلم من استقراء وتفحّص كلام الصحابة والتابعين أنهم يستعملون (النسخ) بإزاء المعنی اللغوی منه ، وهو إزالة شیء بشیء ، لا بإزاء المعنی الاصطلاحی الذی اعتبره الأصوليون (وهو رفع حكم شرعی متقدم بدليل شرعی متأخر) فمعنی النسخ عندهم (عند

المتقدمين) هو إزالة بعض أوصاف آية بآية أخرى، وتلك الأوصاف قد تكون بانتهاء مدة العمل بآية (أو حديث)، وقد يكون بصرف الكلام من المعنى المتبادر إلى غير المتبادر، وقد يكون بكون القيد اتفاقيًا، وقديكون بتخصيص عام، وقد يكون ببيان الفرق بين المنصوص وبين الذى يقاس عليه فى الظاهر، وقد يكون بإزالة عادة الجاهلية، وقد يكون بإزالة (نسخ) شريعة سابقة، فباب النسخ عندهم واسع جدًا، فللعقل فيه جولان وللاختلاف إمكان.

ومن أجل ذلك بلّغوا عدد الآيات المسنوخة إلى خمس مائة، وإن أمعنتَ النظر فالآيات المنسوخة غير محصورة عندهم فى عدد، وأما عند المتأخرين فلاتكون الآيات المنسوخة إلا عددًا قليلا، وخاصةً على التوجيه الذى اخترناه فى الآيات المنسوخة، وبعد ما بسط الإمام السيوطى فى كتابه "الإتقان فى علوم القرآن" ما رُوى عن بعض العلماء من ما ذكرناه آنفًا بسطًا لائقًا كتب ما هو المنسوخ عند المتأخرين على وفق كلام ابن العربى (المالكى) وعدّها قريبًا من عشرين آية، وللفقير (المصنف) فى أكثرها نظر، فلنورد كلام السيوطى مع التعقيب.

فمن سورة البقرة: ١- قوله تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين﴾ هذه منسوخة، قيل: ناسخها آية المواريث ﴿يوصيكم الله فى أولادكم﴾ الآية، وقيل: منسوخة بحديث «لاوصية لوارث» وقيل: منسوخة بالإجماع، حكاه (الإجماع) ابن العربى (وصاحب "الفوز" يقول) قلت: بل هى منسوخة بآية ﴿يوصيكم الله فى أولادكم﴾ (أى بآية المواريث) وحديث «لا وصية» مبيّن للنسخ.

٢- وقوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية﴾ قيل: منسوخة بقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ وقيل: محكمة (أى غير منسوخة) وكلمة (لا) مقدّرة (أى وعلى الذين لا يطيقونه) وصاحب "الفوز" يقول: قلتُ: عندى وجه آخر، وهو أن معنى الآية: "وعلى الذين يطيقون الطعام فدية، هى (على قدر) طعام مسكين، فأضمر قبل الذكر لأن المبتدأ (القدية) مقدّم رتبة، وجاء بضمير المذكّر (والفدية مؤنث) إذ الفدبة باعتبار المعنى مذكّر؛ لأن المراد من الفدية

هو الطعام، والمراد من الطعام صدقة الفطر، عقّب الله تعالى الأمر بالصيام (الأمر المفهوم من قوله تعالى: ﴿كُتب عليكم الصيام﴾ فى هذه الآية بصدقة الفطر، كما عقّب الآية الثانية بتكبيرات العيد ﴿ولتكبّروا الله على ما هداكم﴾.

٣- وقوله تعالى: ﴿أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم﴾ ناسخة لقوله تعالى: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ لأن مقتضى التشبيه الموافقة فيما كان عليهم من تحريم الأكل والوطء بعد النوم (فنسخ من العموم الوطء والأكل بعد النوم) ذكره ابن العربى، وحكى ابن العربى قولا آخر، وهو أن آية ﴿أحلّ لكم ليلة الصيام﴾ نسخت منع الوطء الثابت بالسنة، قلت: معنى قوله: ﴿كما كتب﴾ هو التشبيه فى نفس الوجوب (من غير اعتبار القيود التى كانت عليهم) فلا نسخ فيها، بل إنما هو تغيير لما كان عندهم قبل الشرع (من ترك الأكل والوطء بعد النوم فى ليلة الصيام، وكان الصوم معمولا فى الملّة الحنيفية).

ولم نجد دليلا على أن النبىّ ﷺ شرع لهم ذلك، حتى تنسخه الآية، ولو سلّم فإنما كان نسخه بالسنة.

٤- وقوله تعالى: ﴿يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافّة﴾ أخرجه (أى القول بالنسخ) ابن جرير عن عطاء بن ميسرة، قلتُ: هذه الآية لا تدل على تحريم القتال، بل تدل على تجويزه، وهى من قبيل تسليم العلّة وإظهار المانع (عن العمل بمقتضى العلّة) فالمعنى أن القتال فى الشهر الحرام كبير شديد، ولكن الفتنة أشدّ منه، فجاز القتال فى مقابلة الفتنة، وهذا التوجيه ظاهر من سياقها كما لا يخفى.

٥- وقوله تعالى: ﴿والذين يُتوفّون منكم ويذرون أزواجًا وصيّةً لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿والذين يُتوفّون منكم ويذرون أزواجًا يتربّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا﴾ والوصية للزوجة منسوخة بالميراث، والسكنى للمعتدة باقية عند قوم، ومنسوخة عند آخرين؛ لحديث «لاسكنى» (فى واقعة فاطمة بنت قيس) قلت: هى كما قال (البعض): منسوخة عند جمهور المفسّرين، ويمكن أن يقال: يستحب أو يجوز للميت (للذى يموت)

الوصية ولا يجب على المرأة أن تسكن فى وصية الزوج، وعليه ابن عباس، وهذا التوجيه ظاهر من الآية.

٦- وقوله تعالى: ﴿وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿لا يكلّف الله نفسًا إلا وسعها﴾ قلت: هو من باب تخصيص العام، (فقد) بيّنت الآية المتأخرة أن المراد "ما فى أنفسكم" من الإخلاص والنفاق، لا من أحاديث النفس التى لا اختيار فيها؛ فإن التكليف لا يكون إلا فيما هو فى وسع الإنسان.

ومن سورة آل عمران: ١- قوله تعالى: ﴿يَأيّها الذينَ آمنُوا اتّقوا الله حقّ تقاته﴾ قيل: إنه منسوخة بقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ وقيل: لاتكون منسوخةً، بل هى محكمة، وليس فيها (فى سورة آل عمران) آية يصحّ فيها دعوى النسخ غير هذه الآية، قلتُ: معنى (حق تقاته) أى فى الشرك والكفر وما يرجع إلى الاعتقاد، ومعنى "ما استطعتم" فى الأعمال، أى من لم يستطع الوضوء يتيمّم، ومن لم يستطع القيام فليصلّ قاعداً، وهذا التوجيه ظاهر من سياق الآية وهو قوله تعالى: ﴿ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾.

ومن سورة النساء: ١- قوله تعالى: ﴿والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله﴾ قلت: ظاهر الآية أن الميراث للموالى (الأقارب) والبرّ والصلة لمولى الموالاة (لمن وقع له عقد الموالاة) فلا نسخ.

٢- وقوله تعالى: ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه﴾ قيل: منسوخة، وقيل: لا (بل محكمة) ولكن تهاون الناس فى العمل بها، قلتُ: قال ابن عباس: هى محكمة، والأمر للاستحباب، وهذا أظهر.

٣- وقوله تعالى: ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعةً منكم فإن شهدوا فأمسكوهنّ فى البيوت﴾ (قيل) منسوخة بآية النور ﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ قلت: لا نسخ فى ذلك، بل هو ممتد

إلى الغاية (وهو جعل سبيل آخر) فلما جاءت الغاية بيّن النبى ﷺ أن السبيل الموعود كذا وكذا، فلا نسخ.

ومن سورة المائدة: ١- قوله تعالى: ﴿ولا الشهر الحرام﴾ وتمام الآية: ﴿يَاأَيّها الذين آمنُوا لا تحلّوا شَعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمّين البيت الحرام يبتغون فضلا من الله ورضوانًا﴾ منسوخة بإباحة القتال فى الشهر الحرام، قلت: لا نجد فى القرآن ناسخًا له، ولا فى السنة الصحيحة، ولكن المعنى أن القتال المحرّم يكون فى الشهر الحرام أشدّ تغليظًا، كما قال النبى ﷺ فى خطبته: «دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا».

٢- وقوله تعالى: ﴿فإن جاءوكم فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿وإن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾ قلت: معناه إن اخترت الحكم فاحكم (بينهم) بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم، فالحاصل أنّ لنا أن نترك أهل الذمة أن يرفعوا القضية إلى زعماءهم، فيحكمون بما عندهم (من الدين والقانون) ولنا أن نحكم بينهم بما أنزل الله علينا.

٣- وقوله تعالى: ﴿اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم﴾ منسوخ بقوله تعالى: ﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾ قلت: قال (الإمام) أحمد: بظاهر الآية، ومعنى الآية عند غيره: أو آخران من غير أقاربكم، فيكونان من سائر المسلمين.

ومن سورة الأنفال: ١- قوله تعالى: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا﴾ منسوخة بالآية بعدها ﴿الآن خفّف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين﴾ قلت: منسوخة كما قال الآخرون.

ومن سورة التوبة: ١- قوله تعالى: ﴿انفروا خفافًا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله﴾ منسوخة بآيات العذر، وهى قوله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ وقوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى.ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج

إذا نصحوا لله ورسوله﴾ وبقوله تعالى : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافّة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين﴾ قلت : (خفافًا) أى مع أقلّ ما يتأتى به الجهاد من مركوب، وعبد للخدمة، ونفقة يقنع بها، و (ثقالا) أى مع الخدم الكثير والمركوب الكثير، فلا نسخ، أو نقول : ليس النسخ متعيّنًا.

ومن سورة النور: ١- قوله تعالى : ﴿الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين﴾ منسوخة بقوله تعالى : ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإماءكم﴾ قلت : قال أحمد (الإمام) : بظاهر الآية، ومعناها عند غيره أن مرتكب الكبيرة ليس بكفو إلا للزانية، أو لا يستحبّ اختيار الزانية، وفى قوله تعالى : ﴿وحُرّم ذلك على المؤمنين﴾ (ذلك) إشارة إلى الزنا أو إلى الشرك فلا نسخ، وأمّا قوله تعالى : ﴿وأنكحوا الأيامى﴾ فعامّ لا ينسخ الخاص (نكاح الزانية).

٢- وقوله تعالى : ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرّات﴾ قيل : منسوخة، وقيل : لا، ولكن تهاون الناس فى العمل بها، قلتُ : مذهب ابن عبّاس رضـ أنها ليست بمنسوخة، وهذا أوجه وأولى بالاعتماد.

ومن سورة الأحزاب: ١- قوله تعالى : ﴿لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك﴾ منسوخة بقوله تعالى : ﴿إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيتَ أجورهن﴾ الآية، قلت : يحتمل أن يكون الناسخ مقدّمًا فى التلاوة (كما فى قوله تعالى : ﴿والذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجًا يتربّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا﴾ وهو (كونها منسوخةً وتقديم الناسخ فى التلاوة) أظهر عندى.

ومن سورة المجادلة: ١- قوله تعالى : ﴿يَـأَيّها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر﴾ منسوخة بآية بعدها وهى قوله تعالى : ﴿أأشفقتم أن تقدّموا بين يدى نجواكم صدقات﴾ ﴿فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله﴾ أو بجملة

بعدها، وهى قوله تعالى: ﴿فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم﴾ قلتُ: هذه كما قالوا.

ومن سورة الممتحنة: ١- قوله تعالى: ﴿وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ قيل: منسوخة بآية السيف ﴿وقاتلوا المشركين كافّة كما يقاتلونكم كافّة﴾ وقيل: (منسوخة) بآية الغنيمة ﴿واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه﴾ الآية، وقيل: محكمة، قلت: الأظهر أنها محكمة، ولكن الحكم فى المهادنة (المصالحة) وعند قوة الكفار.

ومن سورة المزّمل: ١- قوله تعالى: ﴿قُم الليل إلا قليلا﴾ منسوخة بآخر السورة وهو قوله تعالى: ﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسّر من القرآن﴾ ثم نسخ آخر السورة بالصلوات الخمس، قلت: دعوى النسخ بالصلوات الخمس غير متّجهة (غير ذى وجه ودليل) بل الحق أنّ أول السورة فى تأكيد الندب إلى قيام الليل، وآخرها فى نسخ التأكيد إلى مجرد الندب (نُسخَ التأكيد، وبقى مجرد الندب) قال السيوطى موافقًا لابن العربى: "فهذه إحدى وعشرون آيةً منسوخة على خلاف فى بعضها، ولا يصح دعوى النسخ فى غيرها (غير إحدى وعشرين) والأصح فى آية الاستئذان، وهى قوله تعالى: ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ الآية (النور) وفى آية القسمة وهى قوله تعالى: ﴿وإذا حضر القسمة أولى القربى واليتامى﴾ الآية (النساء) الإحكام وعدم النسخ، فصارت الآيات المنسوخة (عند المتأخرين حسب كلام السيوطى) تسع عشرة آيةً، قلت: على ما حرّرت لا يتعين النسخ إلا فى خمس آيات: (١) آية من سورة البقرة ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين﴾ (٢) وآية ثانية منها وهى قوله تعالى: ﴿والذين يُتوفّون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج﴾ (٣) وآية من سورة الأنفال ﴿إن يكُن منكُم عِشرُونَ صَابرُونَ يَغلِبُوا مِائتَين﴾ الآية (٤) وآية من سورة الأحزاب ﴿لا يحلّ لكَ النسَاء مِن بَعد﴾ (٥) وآية من سورة المجادلة ﴿يَأيّهَا الذِينَ آمنُوا إذا نَاجَيتُم الرسُول فقَدّمُوا بَين يدَى نَجوَاكُم صَدقَة﴾.

ومن المواضع الصعبة فى علم التفسير معرفة أسباب النزول

وعلّة الصعوبة فى هذا الباب أيضًا هو اختلاف المتقدمين والمتأخرين، وما يظهر من استقصاء كلام الصحابة والتابعين فى هذا الصدد أن قولهم: (نزلت آية كذا فى كذا) لا يستعملونه فقط فى قصة حدثت فى عهد النبى ﷺ وكانت سببًا لنزول الآية: (١) بل قد يذكرون أحد ما صدق عليه الآية الذى كان فى عهده ﷺ أو فيما بعده من عهد الصحابة والتابعين، ويقولون: "نزلت فى كذا" ولا يلزم هنا انطباق جميع القيود والشروط الموجودة وقت النزول، بل لا بد من انطباق أصل الحكم بالآية، يعنى كأنّها نزلت فى كذا.

(٢) وكانوا قد سألوا النبى ﷺ عن شىء، فأجاب عنه أو أجاب عن قضية حدثت فى عهده الميمون، واستنبط الجواب أو حُكم تلك القضية عن آية، ثم تلا تلك الآية بعد الجواب أو الحكم استدلالا، فيذكرون ذلك الجواب أو الحكم، ويقولون: "نزلت الآية فى كذا".

(٣) وقد كانوا يقولون فى الصورة المذكورة: فأنزل الله تعالى قوله كذا، أو يقولون: فنزلت (الآية) فى كذا، فكأنّ هذا (قولهم بالنزول) إشارة إلى أن استنباط النبى ﷺ الجواب أو الحكم عن تلك الآية، وإلقاء الله تعالى إيّاها فى خاطره العاطر فى هذه الساعة أيضًا نوع من الوحى والنفث فى روعه، فمن أجل هذا يمكن أن يقال: (فأنزِلَت) ولو عبّر أحد عن هذا بتكرار النزول (فى أمثال هذه المواضع) لاحرج عليه.

(٤) وقد يذكر المحدّثون روايات كثيرة فى ذيل تفسير الآيات، وفى الحقيقة لا تكون تلك الروايات من قسم أسباب النزول: (١) كاستشهاد الصحابة فى مناظراتهم بآيات (٢) أو تمثيلهم بآية (٣) أو تلاوة النبى ﷺ آيةً للاستشهاد فى كلامه (٤) أو عند رواية حديث يوافق آيةً فى أصل الغرض (٥) أو يوافقها فى تعيين موضع النزول أو يوافقها فى تعيين أسماء المذكورين فى الآية بطريق الإبهام، أو عند رواية حديث يتعلق بتلفظ كلمة من كلمات القرآن، أى بالقراءة أو عند

رواية حديث يتعلق بفضائل السور وآيات القرآن أو عند رواية حديث يتعلق بصورة امتثال الرسول ﷺ بأمر من أو أمر القرآن .

وفى الحقيقة ليست أمثال هذه الروايات من أسباب النزول ، ولا تكون الإحاطة بها من شرط المفسّر .

شرط المفسّر فى معرفة أسباب النزول:

وشرط المفسّر فى معرفة أسباب النزول أمران : الأول : معرفة القِصَص التى وقع التعريض عليها فى الآيات ؛ لأن إيماء الآية لا يمكن ولا يتيسّر بدون معرفة تلك القِصَص ، والثانى : معرفة القصة التى تفيد تخصيص العام أو نحوه من الوجوه التى تدل على صرف الكلام عن ظاهره (يعنى ظاهر الكلام يقتضى معنًى ، ولكن القصة تدل على معنى آخر) ففهم مقصد الآيات والوصول إليه من غير معرفة تلك القِصَص مشكلٌ ، ولا بد أن يُعلم فى هذا الصدد أن قِصَص الأنبياء السابقين ذُكِرَت فى الحديث المرفوع قليلا ، فهذه القِصَص الطويلة العريضة التى تصدّى لروايتها المفسّرون كلّها منقول عن علماء أهل الكتاب (أى كلّها إسرائيليات) إلا ما شاء الله ، وفى "صحيح البخارى" : جاء مرفوعًا أنه ﷺ قال (بالنسبة إلى ما يذكرون فى تفسير التوراة) : "لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، بل قولوا : آمنّا بما أنزل إلينا" (فكيف نصدّق برواياتهم ونأخذ بها فى تفسير كتابنا؟) ولا بد أن يُعلم أيضًا أن الصحابة والتابعين كانوا يذكرون القِصَص الجزئية لمعرفة مذاهب (عقائد) المشركين واليهود وعاداتهم الجاهلية لتتضح عقائدهم وعاداتهم وتتجلّى بكمالها ، فيقولون (بعد ذكر تلك القِصَص) : "نزلت الآية فى كذا" ويريدون أنها نزلت فى مثل هذه الواقعة أو فى مثل هذه المسألة سواء كانت هذه أو مثلها ، أو قريبًا منها فى إبراز تلك الصورة (أو القصة) ولا يريدون تخصيص تلك الصورة بالنزول فيها ، بل يريدون أن ذلك المثال أو تلك الصورة مظهر كامل ، وبيان واضح للكليات المذكورة فى الآية أو الآيات ، وربما يختلف أقوالهم (فى بيان سبب النزول) لأجل هذا ، ويجرّ كل واحد إلى موضع (قول) مع أن مقصدهم فى الحقيقة واحد .

وأشار أبو الدرداء رضى الله عنه صاحب الرسول ﷺ إلى هذه النكتة (الحكمة) فى مقاله حينما قال: "لا يكون أحد فقيهًا (مفسّرًا) حتى يحمل آية واحدة على محامل (معانى) متعددة" وعلى هذا المنهاج كثيرًا ما يُذكر فى القرآن العظيم مثالان: (١) مثال السعيد ويذكر معه بعض أوصاف (علامات) السعادة (٢) ومثال الشقى ويُبيّن معه بعض أوصاف الشقاوة (كما فى قوله تعالى: ﴿فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى. . . ﴾ فى بيان أوصاف السعيد، وقوله تعالى: ﴿وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى﴾ فى بيان أوصاف الشقىّ، والغرض من ذلك الذكر بيان أحكام وآثار تلك الأوصاف والأعمال لا التعريض لشخص معيّن.

(١) كما قال تعالى: ﴿ووصّينا الإنسان بوالديه إحسانًا حملته أمّه كُرهًا ووضعته كُرهًا﴾ ثم ذكر بعدها مثالين: مثال السعيد ومثال الشقى (ويبدأ مثال السعيد من قوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة﴾ الآية، ومثال الشقى يبدأ من قوله تعالى: ﴿والذى قال لوالديه أفّ لكما﴾ الآية).

(٢) ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم ما ذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأوّلين﴾ وقوله تعالى: ﴿وقيل للذين اتقوا ما ذا أنزل ربكم قالوا خيرًا﴾ ولا بد أن يحمل على هذا المعنى (١) الآيةَ فى قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلا قريةً كانت آمنةً مطمئنّةً﴾ الآيةَ (ففيها بيان مثال الشقى وبعض أوصافه).

(٢) والآيةَ فى قوله تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشّاها حملت حملا خفيفًا فمرّت به﴾ الآية (ففيها أيضًا بيان مثال الشقى وبعض أوصافه).

(٣) والآيةَ فى قوله تعالى: ﴿قد أفلحَ المؤمنُون الذِين هُم فى صلاتهم خَاشعُون. . . ﴾ إلى قوله: ﴿. . . أولائك هم الوارثون﴾ الآية (ففيها بيان مثال السعيد وبعض أوصافها).

(٤) والآيةَ فى قوله تعالى: ﴿ولا تطع كلّ حلاف مهين. . . ﴾ إلى آخر الآيات الواردة فى مثال الشقى وبيان بعض أوصافه، وفى هذه الصورة (بيان مثال

الشقى والسعيد) لا يلزم وجود جميع الخصوصيات (والأوصاف المذكورة) فى شخص واحد (شقى أو سعيد) كما أن فى آية ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة﴾ لا يلزم أن توجد حبّة متصفة بتلك الصفات، بل المقصود بيان زيادة الأجر للمنفقين المخلصين فقط، ولو وجد له مثال فيه جميع الخصوصيات المذكورة أو أكثرها، فهذا من قبيل لزوم ما لايلزم (ما لا يكون لازمًا).

(١) وقد يدفع (فى القرآن العظيم) شبهة ظاهرة الورود، أو يجاب عن سؤال قريب الفهم يفهم من (من السياق) ويكون المقصود من هذا الدفع أو الجواب إيضاح الكلام السابق، لا أن أحدًا سأل فى هذا العصر أو أورد شبهة، بل ربما يفرض الصحابة سؤالا لتقرير المقام الصعب وإيضاحه، ثم يجيبون عنه ويبرزون مقصد الكلام فى صورة السؤال والجواب، ولو أمعنا النظر وتفحّصنا الكلام نجد كل هذا (المذكور من السؤال والجواب أو الشبهة ودفعها) كلامًا واحدًا متسقًا لايمكن أن يكون ورود البعض بعد البعض؛ لأن كلّها كجملة واحدة منتظمة (مرتّبة) فلا يكون فكّ قيودها (انحلالها) مطابقًا للقاعدة (إذ القاعدة لا تجيز جعل الجملة الواحدة جملا متعددة لأجل تعدد القيود).

(٢) وقد يذكرون (الصحابة) تقدّم بعض الآيات وتأخر أخرى، ويريدون به التقدم والتأخر رتبةً، كما قال ابن عمر رضـ : إن آية ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم﴾ .

"قبل أن تُنزل الزكاة، فلما أنزلت، جعلها الله تعالى طهورًا للأموال" ومعلوم (على أهله) أن سورة البراءة، آخر السور نزولا، وهذه الآية (آية كنز الذهب والفضة) فى تضاعيف القِصَص المتأخرة من هذه السورة، وفُرضت الزكاة قبلها بسنوات عديدة، ولكن مراد ابن عمر من القبلية هو تقدّم الإجمال (وهو جمع المال واكتنازه بأىّ طريق كان وعدم إنفاقه فى سبيل الله) رتبةً على التفصيل (وهو الإنفاق الفرضى المعلوم المقدار والنفلى) وبالجملة ما يشترط للمفسّر معرفته من تلك الأنواع المذكورة نوعان: لا زائد عليهما (كما مرّ).

الأول : هو العلم بقِصَص الغزوات وغيرها من القِصَص التى وقعت الإشارة إلى خصوصياتها فى الآيات ؛ لأنهم (المفسّرين) ما لم يعلموا تلك القِصَص (مع خصوصياتها) لا يصلون إلى فهم حقيقة الآيات .

والثانى : العلم بفوائد بعض القيود وبسبب التشديد فى بعض المواضع ؛ لأن العلم بها يعين المفسّر على معرفة حال النزول وكيفيته ، وهذا البحث الأخير (العلم بفوائد القيود وسبب التشديد فى بعض المواضع) فى الحقيقة فنّ من فنون التوجيه .

مفهوم التوجيه، والحاجة إليه فى فهم الآيات، وأمثلته

(١) ومعنى التوجيه هو بيان وجه (وعلة) الإشكال فى الكلام .

(٢) وأمّا الحاجة إليه فإنه (١) قد تظهر فى آية شبهةٌ لاستبعاد صورة (مفهوم) تدل عليه الآية (٢) وقد يكون فى بادئ الرأى بين الآيتين تناقض (٣) وقد يكون تصوّر ما صدق عليه الآية مشكلا على ذهن السامع (٤)وقد لا تدخل فائدة قيد من قيود الآية فى ذهن المخاطب ، فإذا بيّن المفسّر حلّ هذه المشكلات يسمّون حلّه توجيهًا .

(٣) وبيان أمثلة التوجيه : (١) كما أنّ فى آية ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمّك بغيّا﴾ سأل بعض الصحابة وقال : كانت بين موسى وعيسى مدة طويلة ، فكيف يكون هارون أخا مريم؟ فكأنّ السائل أضمر فى نفسه أنّ هارون هذا هو أخ موسى ، فأجاب النبى ﷺ أن بنى إسرائيل كانوا يسمّون أولادهم بأسماء الصالحين من قبلهم .

(٢) وكما أنهم (إذا سمعوا آية ﴿أفمن يمشى مكبّا على وجهه أهدى أمّن يمشى سويّا على صراط مستقيم﴾ سألوا وقالوا : كيف يمشى الإنسان على وجهه فى يوم المحشر؟ فأجابهم النبى ﷺ بأن الذى أمشاه فى الدنيا على رجليه لقادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة .

(٣) وكما أنهم سألوا ابن عباس رض بأنه قد جاء فى آية ﴿فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ وجاء فى آية أخرى ﴿وأقبل بعضهم على

بعض يتساءلون﴾ فما هو وجه التطبيق؟ فأجاب ابن عباس بأن عدم التساؤل يكون يوم الحشر (يوم نفخ الصور) والتساؤل يكون بعد الدخول فى الجنة.

(٤) وسألوا عن عائشة أن السعى بين الصفا والمروة إذا كان واجبًا، فلماذا قيل: ﴿فلا جناح عليه أن يطّوف بهما﴾؟ فأجابت أن فريقًا من المسلمين كانوا يجتنبون عنه (لأجل الصنمين الّذَين كانا موضوعين على الصفا والمروة إساف ونائلة) فمن أجل ذلك قيل: ﴿فلا جناح عليه﴾.

(٥) وسأل عمر رض عن النبى ﷺ أنه ما معنى قيد (إن خفتم) فى آية ﴿وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ (فمعناه لا قصر فى غير صورة الخوف مع أنه ليس الأمر كذلك)؟

فأجابه النبى ﷺ بأن "هذه صدقة تصدّق الله بها" يعنى أن الشرفاء والأسخياء لايُضيّقون فى الصدقة، فكذلك الله تعالى لم يذكر هذا القيد (إن خفتم) لأجل التضييق عليكم (بأن لا يكون القصر فى غير الخوف، بل هو عام فى الخوف وغيره) فهو قيد اتفاقى، وأمثلة التوجيه كثيرة (فى القرآن) والمقصود من الاكتفاء بهذه الأمثلة هو التنبيه على معنى التوجيه وإيضاحه.

الوعد بما يكتب المصنّف فى الباب الخامس من إتمام بحث أسباب النزول والتوجيه

وينبغى لنا أن نروى بسند صحيح إلى الصحابة (إن كان آثارًا موقوفة) أو إلى الرسول ﷺ (إن كان أحاديث مرفوعة) بتنقيح واختصار فى الباب الخامس ما ذكره البخارى فى "كتاب التفسير" من جامعه، وما ذكره الترمذى فى جامعه (فى كتاب التفسير) وما ذكره الحاكم فى "المستدرك" فى حصة تفسيره فى باب أسباب النزول وتوجيه المشكل، ولإيراده فى الباب الخامس فائدتان: الأولى: أن حفظ هذا القدر من الآثار لازم للمفسّر، كما أن القدر الذى ذكرناه من شرح غريب القرآن ضرورى له، والثانية: أن يُعلم أن كثيرًا من أسباب النزول (التى يذكرها المفسّرون) لا دخل لها فى فهم معانى الآيات، اللهم إلا شىء قليل من القِصَص التى رويت فى هذه

التفاسير الثلاثة ؛ لأنها أصح التفاسير عند المحدّثين .

وأمّا ما أفرط محمد بن إسحاق الكلبى (المتوفى ١٥١هـ) فى هذا الباب من ذكره تحت كل آية قصةً فأكثرها غير صحيح عند المحدّثين ، بل فى إسنادها نظر ، فجعل تلك القِصَص من شرط التفسير أو المفسّر خطأ بيّن ، ومن جعل فهم كتاب الله موقوفًا على حفظ تلك القِصَص فقد أضاع حظّه من فهم كتاب الله تعالى ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

بيان بقية المباحث من الباب الثانى

وسنبيّن فى هذه البقية بالاختصار (مع بعض الأمثلة) الأمور الآتية لأطلعكم عليها ، ولتكونوا على بصيرة : (١) حذف بعض أجزاء الكلام أو أدواته الموجب للخفاء (٢) وكذا إبدال شيء بشيء (٣) وتقديم ما حقّه التأخير وتأخير ما حقّه التقديم (٤) واستعمال المتشابهات ، والتعريضات ، والكنايات ، وعلى الخصوص بيان المعنى المطلوب بصورة محسوسة إذا كانت لازمة لذلك المعنى عادةً (٥)واستعمال الاستعارة المكنية (وغيرها) (٦) واستعمال المجاز العقلىّ .

(١) أنواع الحذف:

والحذف على أنواع : (١) حذف المضاف (٢) وحذف الموصوف (٣)وحذف متعلّق الظرف أو الجار والمجرور وغيرها (من حذف المفاعيل أو المبتد ، أو الخبر ، أو الفعل العامل ، أو شبهه) مثال حذف المضاف ، كما فى قوله تعالى : ﴿ولكنّ البرّ من آمن بالله﴾ أى برّ من آمن ، ومثال حذف الموصوف ، كما فى قوله تعالى : ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أى آية مبصرة ، لا أنها ذات بصر غير عمياء ، وقوله تعالى : ﴿وأشربوا فى قلوبهم العجلَ﴾ أى حبّ العجل (بحذف المضاف) وقوله تعالى : ﴿أقتلتَ نفسًا زكيةً بغير نفس﴾ أى بغير قتل نفس (بحذف المضاف) وقوله تعالى : ﴿أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد فى الأرض﴾ أى بغير فساد (بحذف المضاف مع الجار) وقوله تعالى : ﴿قل لا يعلم من فى السموات والأرض

الغيب إلا الله﴾ أى من فى الأرض بحذف المعطوف الذى هو فاعل (وهو "من" الموصولة) لا أنّ شيئًا واحدًا هو فى السموات والأرض (لا يعلم الغيب، والذى فى السموات فقط أو فى الأرض فقط يعلم الغيب) وقوله تعالى: ﴿إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أى ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات (بحذف المضاف) وهو (عذاب).

وقوله تعالى: ﴿واسأل القرية التى كنا فيها﴾ أى أهل القرية (بحذف المضاف) وقوله تعالى: ﴿ألم ترَ إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرًا وأحلّوا قومهم دار البوار﴾ أى فعلوا مكان شكر نعمة الله كفرًا، بحذف الجملة الفعلية مع متعلقاتها وحذف عامل (كفرًا) أيضًا وهو (فعلوا) وقوله تعالى: ﴿إنّ هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾ أى للخصلة التى هى أقوم (بحذف الموصوف مع اللام الجارّة) وقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن﴾ أى بالخصلة التى هى أحسن (بحذف الموصوف مع الجارّ) وقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولائك عنها مبعدون﴾ أى الكلمة الحسنى أو العِدَة الحسنى (بحذف الموصوف المحتمل للشيئين) "الكلمة أو العِدَة".

وقوله تعالى: ﴿واتّبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ أى على عهد ملك سليمان بحذف المضاف) وقوله تعالى: ﴿ربّنا وآتنا ما وعدتّنا على رسلك﴾ أى على ألسنة رسلك (بحذف المضاف) وقوله تعالى: ﴿إنّا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ أى أنزلنا القرآن أو المقروء الّذى يدل عليه (اقرأ) وإن لم يسبق له ذكر (بإقامة الضمير مقام الاسم الظاهر) وقوله تعالى: ﴿فقال إنّى أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّى فتوارت بالحجاب﴾ أى توارت الشمس (بإقامة المضمر مقام المظهر، وقال جمهور المحقّقين من المفسّرين: فتوارت الصافنات الجياد بالحجاب، فلهذا قال سليمان: ﴿ردّوها علىّ﴾ وردّ الشمس ما كان فى قدرته، فالضمير المستتر فى (توارت) كناية عن الصافنات دون الشمس) وقوله تعالى: ﴿وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظّ عظيم﴾ (أى وما يلقى خصلة دفع السيئة بالحسنة (فى الجملة الأولى) وخصلة الصبر (فى الثانية) ففى الآية وضع المضمر فى مقام المظهر

في الموضعين).

وقوله تعالى: ﴿وعَبَدَ الطاغوت﴾ عند من قرأ بالنصب، أى جعل منهم من عَبَدَ الطاغوت (بحذف "من" الموصولة) وهى مفعول جَعَلَ، وقوله تعالى: ﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسبًا وصهراً﴾ أى جعل له (للبشر) نسبًا وصهراً (بحذف حرف الجر وهو اللام، فهو من باب الحذف والإيصال) وقوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا﴾ أى من قومه (فهو أيضًا من باب الحذف والإيصال) وقوله تعالى: ﴿ألا أنّ عاداً كفروا ربّهم﴾ أى نعمة ربّهم (بحذف المضاف) أو كفروا بربّهم بنزع الخافض (بتقدير حرف الجرّ) وقوله تعالى: ﴿تالله تفتؤ تذكر يوسف﴾ أى لا تفتؤوا، ومعناه لاتزال (فالمحذوف "لا" النافية) وقوله تعالى: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ أى قالوا: ما نعبدهم . . . إلخ، فيه تقدير أو حذف "قالوا" وقوله تعالى: ﴿إن الّذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربّهم﴾ أى الذين اتخذوا العجل إلهًا (بحذف المفعول الثانى) وقوله تعالى: ﴿قالوا إنّكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ أى وعن الشمال أيضًا) بحذف المعطوف.

وقوله تعالى: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون﴾ أى بدلا منكم (بحذف المفعول الأول) وقوله تعالى: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ أى امضِ (فعامل (كما) محذوف، فهو متعلق بمحذوف) وينبغى أن يُعلم أن حذف "إنّ" وجزاء الشرط، ومفعول الفعل، والمبتدأ من الجملة وأمثالها إذا دلّ ما بعد هذه الأمور على حذفها فذلك الحذف فى القرآن مطّرد، كما فى قوله تعالى: ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ أى لو شاء هدايتكم لهداكم، بحذف مفعول "شاء".

وقوله تعالى: ﴿الحق من ربك فلا تكوننّ من الممترين﴾ أى هذا الحق من ربك (بحذف الموصوف) وقوله تعالى: ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولائك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ أى لا يستوى من أنفق من قبل الفتح، ومن أنفق من بعد الفتح، فحُذف الثانى (ومن أنفق من بعد الفتح) لدلالة قوله: ﴿أولائك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعد﴾ عليه.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلّكم تُرحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾ أى "إذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلّكم ترحمون" أعرضوا، فحذف الجزاء (أعرضوا) لدلالة ما بعد الجزاء عليه.

العامل فى "إذ": (١) وينبغى أن يُعلم أن الأصل فى مثل "وإذ قال ربك للملائكة" و "إذ قال موسى لقومه" أن يكون "إذ" ظرفًا فعليًا (أى ظرفًا يتعلق بفعل مذكور بعده) ولكن نُقل إلى معنى التهويل والتخويف، فيكون ذكر "إذ" مثل أن يذكر أحدٌ مواضع هائلةً أو وقائع مخوّفةً، بدون رعاية الوقوع فى جملةٍ وبدون رعاية محل الإعراب، بل المقصود هو ذكر تلك المواضع أو الوقائع، ليرتسم صورها فى ذهن المخاطب، ويستولى الخوف من تلك الحادثة على قلبه، فالحق أنّ تفتيش عامل "إذ" فى أمثال تلك المواضع ليس بضرورى، والله أعلم.

(٢) وأيضًا ينبغى أن يُعلم أن حذف حرف الجرّ من "أن" المصدرية مطّرد (كثير) فى كلام العرب، فيكون المعنى (لأن) أو (بأن) أو وقت (أن).

(٣) وأيضًا ينبغى أن يُعلم أنّ الأصل فى مثل ﴿ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت﴾ وفى مثل ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب﴾ أن يكون جواب الشرط محذوفًا، ولكن نقل هذا التركيب إلى معنى التعجيب، فلم تبقَ الحاجة إلى تفتيش الجزاء المحذوف، والله أعلم.

٢- **أنواع الإبدال**: وأمّا الإبدال فهو تصرف أيضًا فى الكلام، وله أنواع مختلفة: (١) فقد يُذكر فعل بدل فعل آخر لأغراض شتّى، ولكن ذكر تلك الأغراض واستقصاءها ليس من وظيفة هذا الكتاب.

(١) كما فى قوله تعالى: ﴿أهذا الذى يذكر آلهتكم﴾ أى يسبّ آلهتكم فكان أصل الكلام هكذا: أهذا الذى يسبّ فبدّلوه بـ "يَذكُر" ومن هذا النوع ما يقال فى العرف عرض شىء على أعداء فلان، والمراد منه الفلانى نفسه، وكذا يقولون: عبيد الحضرة تشرّفونا بقدومهم، أو عبيد الجناب العالى يعرفون تلك القضية،

والمراد أن الجناب العالى نفسه جاء، وأن الجناب العالى نفسه يعلم تلك القضية.

(٢) وكما فى قوله تعالى: ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون﴾ أى ولاهم ينصروننا لأنّ النصرة لا يتصور بدون الاجتماع والصحبة فأبدل (ينصرون) بـ "يصحبون".

(٣) وكما فى قوله تعالى: ﴿ثَقُلت فى السموات والأرض﴾ أى خفيت القيامة فى السموات والأرض، فجاء (ثقلت) بدل (خفيت) لأنّ الشىء إذا خفى علمه ثَقُلَ على أهل السموات والأرض.

(٤) وكما فى قوله تعالى: ﴿فإن طبن لكم عن شىء منه نفسًا﴾ أى عفون لكم من شىء من الصّداق من طيب نفوسهن، فجاء (طبن) بدل (عفون) لأن العفو إنما يعتبر إذا كان من طيب الخاطر.

٢- وقد يذكر اسم بدل اسم: (١) كما فى قوله تعالى: ﴿فظلّت أعناقهم لها خاضعين﴾ أى خاضعة، فجاء جمع المذكر السالم بدل واحدة المؤنث.

(٢) وقوله تعالى: ﴿وكانت من القانتين﴾ والأصل من القانتات.

(٣) وقوله تعالى: ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أى من ناصر واحد، فجاء بالجمع بدل المفرد، لاستغراق النفى، أى ما يكون لهم من الجماعة الناصرة من الذين يزعمونهم آلهة أو شفعاء ناصر واحد.

وقوله تعالى: ﴿فما لكم من أحد عنه حاجزين﴾ أى فما لكم من حاجز، جاء الجمع بدل المفرد.

وقوله تعالى: ﴿والعصر إنّ الإنسان لفى خسر﴾ أى أفراد بنى آدم، أفرد اللفظ (لفظ الإنسان) لأنه اسم جنس دخلت عليه لام الاستغراق.

وقوله تعالى: ﴿يَاأيّهَا الإنسانُ إنكَ كادحٌ إلى ربّك كَدحًا فمُلاقِيه﴾ المعنى يابنى آدم إنكم كادحون، أفرد اللفظ (لفظ الإنسان) لأنه اسم جنس دخلت عليه لام الاستغراق.

وقوله تعالى: ﴿فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ يعنى حملها أفراد بنى آدم (ففى تلك الأمثلة الثلاثة وقع اللفظ المفرد بدل الجمع لأنه اسم

جنس يؤدى معنى الجمع .

وقوله تعالى : ﴿كذبت قوم نوحٍ المرسلين﴾ أى نوحًا وحده ، فجاء (المرسلين) بدل (رسول) وهو نوح .

وقوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾ أى إنّى فتحتُ لك يعنى جاء فعل الجمع بدل الواحد .

وقوله تعالى : ﴿إنّا لقادرون على أن نبدّل خيرًا منهم﴾ أى إنّى لقادر (ففى الموضعين جاء لفظ الجمع بدل المفرد تعظيمًا لله تعالى وأنه يفعل فعل الجماعة) .

وقوله تعالى : ﴿ولكنّ الله يسلّط رسله على من يشاء﴾ أى يسلّط محمدًا ﷺ (ففى اختيار الجمع (الرسل) إشارةً إلى عادته تعالى) .

وقوله تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس﴾ أى عروة بن مسعود الثقفى وحده ، فجاء اسم الجمع بدل الواحد (فإنّ خبر ذلك الواحد فى هذه القضية كخبر الجماعة فى الصدق) .

وقوله تعالى : ﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾ أى طعم الجوع ، أبدل (الطعم) باللباس إيذانًا بأن الجوع له أثر من النحول والذبول يعمّ البدن ويشمله كاللباس .

وقوله تعالى : ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً﴾ أى دين الله ، أبدل (الدين) بالصبغة إيذانًا بأنه كالصبغ يتلوّن به النفس ، أو مشاكلةً لقول النصارى فى المعمودية (الماء الأصفر الذى يغسلون به أولادهم ويزعمون أنه هو الماء الذى غُسِلَ به عيسى ، وكان يظهر لون ذلك الماء فى جسم الولد) .

وقوله تعالى : ﴿والتين والزيتون وطور سنين﴾ أى طور سيناء ، فالجمع (سنين) بدل المفرد (سيناء) .

وقوله تعالى : ﴿سلام على إلياسين﴾ أى على إلياس ، قلّب الاسمان (سيناء) و (إلياس) بالجمع للمزاوجة .

٣- وقد يذكر حرف بدل حرف آخر : (١) كما فى قوله تعالى : ﴿فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّا﴾ أى على الجبل كما تجلّى فى المرة الأولى على الشجرة (حين عوده من مدين) فجاءت (اللام) بدل (على) .

(٢) وقوله تعالى: ﴿أولائك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون﴾ أى إليها سابقون فذكر (اللام) بدل (إلى).

(٣) وقوله تعالى: ﴿إنّى لا يخاف لدىّ المرسلون إلا من ظلم﴾ أى لكن من ظلم فـ(إلا) جاء بدل "لكن") فهذا استئناف.

(٤) وقوله تعالى: ﴿ولأصلّبنّكم فى جذوع النخل﴾ أى على جذوع النخل (فوقعت "فى" بدل "على".

(٥) وقوله تعالى: ﴿أم لهم سلّم يستمعون فيه﴾ أى يستمعون عليه، وقعت "فى" فى موضع "على".

(٦) وقوله تعالى: ﴿يوم يجعل الولدان شيبًا السماء منفطر به﴾ أى منفطر فيه (أى فى هذا اليوم) فوقعت الباء بدل "فى".

(٧) وقوله تعالى: ﴿مستكبرين به سامرًا تهجرون﴾ أى مستكبرين عليه، فوقعت الباء بدل "على".

(٨) وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل له اتّق الله أخذته العزة بالإثم﴾ أى أخذته العزّة على الإثم، فجاءت (الباء) بدل "على".

(٩) وقوله تعالى: ﴿فاسأل به خبيرًا﴾ أى فاسأل عنه خبيرًا، فوقعت (الباء) عوض "عن".

(١٠) ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ أى مع أموالكم، فاستعملت "إلى" بدل "مع".

(١١) وقوله تعالى: ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ أى مع المرافق.

(١٢) وقوله تعالى: ﴿عينًا يشرب بها عباد الله﴾ أى يشرب منها، فوقعت (الباء) بدل "مِن".

(١٣) وقوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء﴾ أى أن قالوا، فجاء "إذ" بدل "أن" (أو حين قالوا، فإذا بمعناه).

٤- وقد يذكرون جملةً بدل جملة أخرى: لأن الجملة الأولى مثلا قد تدل

على حاصل مضمون الجملة الثانية، وسبب وجودها، فتبدلّ الجملة الأولى بالثانية، أى تجىء فى محلّها.

(١) كما فى قوله تعالى: ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾ أى إن تخالطوهم لابأس بذلك لأنهم إخوانكم، وشأن الأخ أن يخالط أخاه، فجملة (فإخوانكم) بتقدير المبتدأ (فهم إخوانكم) وقعت فى محل (لا بأس بذلك) أى قامت علة الجزاء فى محل الجزاء؛ لأنها هى السبب لوجود الجزاء وهو عدم البأس.

(٢) وقوله تعالى: ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير﴾ أى لوجدوا ثوابًا من عند الله خيرًا، فأبدلت الجملة الفعلية (لوجدوا ثوابًا من عند الله خيرًا) بالجملة الاسمية (لمثوبة من عند الله خير).

(٣) وقوله تعالى: ﴿إن سرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ أى إن سرق بنيامين فلا عجب لأنه سرق أخ له من قبل وهو يوسف، فجاءت جملة (فقدسرق أخ له من قبل) بدل جملة (فلا عجب) لأن سرقة الأخ من قبل سبب لعدم التعجب وعلّة للجزاء.

(٤) وقوله تعالى: ﴿من كان عدوّا لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله﴾ أى من كان عدوّا لجبريل فإن الله عدوّ له، فإنه نزّله على قلبك بإذنه، فعدوّه (عدو جبريل) يستحق أن يعاديه الله تعالى، فحذفت جملة الجزاء (فإن الله عدوّ له) بدليل الجملة التالية (فإنه نزّله على قلبك بإذن الله) وأبدل منها تلك الجملة لأنها كالعلّة لعداوة الله عدوّ جبرئيل.

٥- وقد يكون مقتضى أصل الكلام هو التنكير: ولكن يتصرفون فيه بإدخال لام التعريف أو الإضافة (إلى المعرفة) و (مع ذلك) معنى التنكير هو الأولى.

(١) كما فى قوله تعالى: ﴿وقيله يا ربّ إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ (والأصل) قيل له: يا ربّ، فأبدلت الجملة التى هى نكرة بالمصدر المضاف إلى الضمير (قيله) لأنه أخصر فى اللفظ (والمعنى على التنكير السابق).

(٢) وقوله تعالى: ﴿وإنه لحق اليقين﴾ أى حقّ يقين (إضافة الصفة إلى الموصوف) والمعنى على التنكير قبل الإضافة، وإنما أضيف ليكون أيسر فى

اللفظ .

اقتضاء السنن الطبيعية للكلام وخلافها لأجل رعاية المعنى

٦- وقد يقتضى الأسلوب الطبيعى للكلام تذكير الضمير ، أو اسم الإشارة أو تأنيثه ، أو إفراده ، فيخرجونه عن أسلوبه الطبيعى فيجعلون المذكّر مؤنثًا ، والمؤنث مذكّرًا ، والمفرد جمعًا ميلا إلى المعنى ورعايةً له .

(١) كما فى قوله تعالى : ﴿فلمّا رأى الشمس بازغةً قال هذا ربّى هذا أكبر﴾ فاستعمل المذكر (هذا) فى محلّ المؤنث (هذه) .

(٢) وقوله تعالى : ﴿فقل الحمد لله الذى نجّانا من القوم الظالمين﴾ فجاء المفعول بضمير الجمع (نا) فى محل المفرد (نى) بقرينة (فقل) .

(٣) وقوله تعالى : ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارًا فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم﴾ وكان الضمير فى " استوقد " وفى " حوله " مفردًا فجاء بضمير الجمع فى " بنورهم " .

٧- ذكر المفرد فى محل التثنية : وقد يذكرون المفرد فى محل التثنية :

(١) كما فى قوله تعالى : ﴿أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ (والمقام يقتضى من فضلهما إلا أن الفضل يكون من الله فقط) .

(٢) وقوله تعالى : ﴿إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمةً من عنده فعميت عليكم﴾ والأصل فعميت (البينة والرحمة) فأفرد لأنهما كشىء واحد ، وأن سبب البيّنة هى الرحمة ، فجُعلَت أصلا ، ومثله قولهم : " الله ورسوله أعلم " (فجعل علم الله أصلا وأفرد فى " أعلم ") .

٨- اقتضاء طبيعة الكلام والخلاف عنها لنكتة

وقد تقتضى طبيعة الكلام أن يكون كل من الشرط ، والجزاء ، وجواب القسم فى أصل صورته ، وقد يتصرفون فى الكلام ، فيجعلون كلّ واحد منهما جزءً لجملة مستقلّة مستأنفة لرعاية المعنى ، ويقيمون مقام الشرط أو الجزاء أو جواب القسم ما يدل على كلّ واحد منها بوجه من الوجوه .

(١) كما في قوله تعالى : ﴿والنازعات غرقًا والناشطات نشطًا والسابحات سبحًا فالسابقات سبقًا فالمدبّرات أمرًا يوم ترجف الراجفة﴾ فالمعنى أن البعث والحشر حق، يدل على جواب القسم قوله تعالى : ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ فأقيم مقامه.

(٢) وقوله تعالى : ﴿والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود﴾ المعنى : أنّ المجازاة على الأعمال حق (فهاتان الآيتان مثالان لجواب القسم).

(٣) وقوله تعالى : ﴿إذ السماء انشقّت وأذنت لربها وحُقّت وإذ الأرض مدّت وألقت ما فيها وتخلّت وأذنت لربها وحُقّت يا أيّها الإنسان إنّك كادحٌ إلى ربك كدحًا فملاقيه﴾ المعنى فالحساب (والجزاء) كائن.

٩- القلب في أسلوب الكلام (الالتفات):

وقد يبدّلون أسلوب الكلام، فحينما يقتضي الكلام خطابًا يأتون بالغائب :
(١) كما في قوله تعالى : ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة﴾ وكان المناسب لـ "كنتم" "جرين" "بكم".

١٠- ذكر الإنشاء في محل الخبر وعكسه:

وقد يذكرون الإنشاء في موضع الإخبار، والإخبار في موضع الإنشاء :
(١) كما في قوله تعالى : ﴿هو الذي جعل لكمُ الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها﴾ أي فلتمشوا (بلام كي وفعل المضارع).

(٢) وقوله تعالى : ﴿قل فلم تقتلون أنبياء الله إن كنتم مؤمنين﴾ أي هل يقتضي إيمانكم هذا؟ (فالإخبار بمعنى الإنشاء (عكس المثال الأول).

(٣) وقوله تعالى : ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل﴾ المعنى على قياس حال ابن آدم (قابل) كتبنا، أو على مثال حال ابن آدم، فأبدل منه (من أجل ذلك) لأن القياس لا يكون إلا بملاحظة العلة، فكان القياس نوعًا من التعليل

(وليس هذا مثالا لذكر الإخبار مقام الإنشاء أو العكس، بل مثال لمطلق البدل، تدبّر).

(٤) وقوله تعالى: ﴿أرأيت الذى ينهى عبدًا إذا صلّى﴾.

(٥) وقوله تعالى: ﴿أرأيت الّذى يكذبّ بالدين﴾ فـ "أرأيتَ" من الرؤية فى الأصل بمعنى الاستفهام، ونقل هنا للتنبيه على استماع الكلام الآتى، كما يقال فى العرف: أتسمع؟ أترى؟

١١- ومن أسباب صعوبة فهم المراد التقديم والتأخير:

وقد يوجب التقديم والتأخير أيضًا صعوبة فهم المراد بالكلام، كما فى البيت المشهور:

بُثَينَةُ شأنها سلبت فؤادى بلا جرم أتيت به سلامًا

(وأصل الكلام سلامًا عليكِ يا بُثَينة وشأنها (أنها سلبت فؤادى بلا جرم وخطأ أتيت به).

والتعلّق بالبعيد ونحوه أيضًا يفضى إلى صعوبة فهم المراد: (١) كما فى قوله تعالى: ﴿إلا آل لوط إنا لمنجّوهم أجمعين إلا امرأته﴾ أدخل حرف الاستثناء (إلا) على المستثنى، فإن امرأة لوط عين آل لوط؛ لأن الآل قد يأتى بمعنى الزوجة فحدثت الصعوبة فى الكلام.

(٢) وقوله تعالى: ﴿فما يكذّبك بعد بالدين﴾ متصل بقوله تعالى: ﴿لقدخلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ فالتعلق بالبعيد أوجب الصعوبة.

(٣) وقوله تعالى: ﴿يدعوا لمن ضرّه أقرب من نفعه﴾ أى يدعو من ضرّه أقرب من نفعه، أى اللام فى "لمن" زائدة، فالصعوبة لأجل اللام الزائدة.

(٤) وقوله تعالى: ﴿وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوّة﴾ أى لتنوء العصبة بها، فالباء زائدة، دخلت على الفاعل.

(٥) وقوله تعالى: ﴿وامسحوا برءوسكم وأرجلكم﴾ أى اغسلوا أرجلكم، فالتعلق بالبعيد (الأيدى) أوجب خفاءً.

(٦) وقوله تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجل مسمّى﴾ أي ولولا كلمة سبقت وأجل مسمّى لكان لزامًا (فأجل مسمّى معطوف على "كلمة".

(٧) وقوله تعالى: ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ متصل بقوله تعالى: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾وإن لم تنصروهم تكن فتنة.

(٨) وقوله تعالى: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك﴾ "متصل بقوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾.

(٩) وقوله تعالى: ﴿يسئلونك كأنّك حفيّ عنها﴾ أي يسألونك عنها كأنك حفيّ.

١٢- أنواع ما يزاد في الكلام على خلاف السنن الطبيعية:

وللزائد عن الأسلوب الطبيعي أنواع:

(١) وقد يكون الزيادة بالصفة كما في قوله تعالى: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ (فإن الطائر لا يطير إلا بجناحيه، وزيادة الصفة لعموم الجنس) وقوله تعالى: ﴿إنّ الإنسان خُلِقَ هلوعًا إذا مسّه الشرّ جزوعًا وإذا مسّه الخير منوعًا﴾ (فإن الهلوع من لا يصبر في الشرّ ولا في الخير، ومع ذلك زيد عليه (وإذا مسّه الشرّ) إلى آخره.

(٢) وقد يكون بالإبدال، كما في قوله تعالى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحًا مرسل من ربه﴾ فـ "لمن آمن منهم" بدل من "للذين استضعفوا".

(٣) وقد تكون بعطف التفسير، كما في قوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنةً﴾ (إنما يكون بلوغ الأشدّ في أربعين سنة، ففسره الله تعالى بالعطف).

(٤) وقد يكون بالتكرار كما في قوله تعالى: ﴿وما يتبع الذين يدعون من

دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظنّ﴾ وأصل الكلام وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظنّ.

وقوله تعالى: ﴿ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ و(ما عرفوا) هو الكتاب المصدّق لما معهم وهو القرآن) وقوله تعالى: ﴿وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرّية ضعافًا خافوا عليهم فليتقوا الله﴾ ومفهوم وليخشَ الذين و "فليتقوا الله" واحد، أى فليتقوا الله الذين لو تركوا إلخ.

وقوله تعالى: ﴿يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾ أى هى مواقيت للناس باعتبار أن الله شرع لهم التوقيت بها، و (مواقيت) للحج باعتبار أن التوقيت بها حاصل للحج، ولو قيل: هى مواقيت للناس فى حجّهم كان أخصر، ولكن أطنب (لبيان أهمية مواقيت الحج، وخصّص بعد التعميم لهذه الفائدة).

وقوله تعالى: ﴿لتنذر أمّ القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع﴾ أى وتنذر أم القرى يوم الجمع (أى عن يوم الجمع وهو يوم القيامة) فيكون فى تكرار (وتنذر) فائدة.

وقوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدةً وهى تمرّ مرّ السحاب﴾ أى وترى الجبال جامدةً (ساكنةً)، أدخل الحسبان (تحسبها) لأن الرّؤية تجيء لمعانٍ، والمراد بها (هنا) معنى الحسبان.

وقوله تعالى: ﴿كان الناس أمّة واحدة فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغيًا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ أدخل الله تعالى (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) فى تضاعيف الكلام المنتظم بعضه ببعضٍ بيانًا لضمير "اختلفوا" وإيذانًا بأن المراد من الاختلاف ههنا هو الاختلاف الواقع فى أمّة الدعوة بعد نزول الكتاب بأن آمن بعض وكفر بعض آخر (فكان التكرار الصورى لهذه الفائدة).

١٣- زيادة حرف الجرّ على الفاعل أوا لمفعول به للتأكيد :

وقد يزاد حرف الجرّ على الفاعل أو المفعول به ليكون مدخول حرف الجرّ معمولا للفعل بواسطة حرف الجر، وإنما يزاد ذلك للتأكيد (تأكيد صدور الفعل عن الفاعل أو تأكيد وقوع الفعل على المفعول به).

(١) كما فى قوله تعالى: ﴿وكفى بالله شهيدًا﴾ فأدخل حرف الباء على الفاعل للتأكيد.

(٢) وقوله تعالى: ﴿يوم يحمى عليها﴾ أى تحمى تلك الكنوز، فدخول كلمة "على" على نائب الفاعل للتأكيد.

(٣) وقوله تعالى: ﴿وقفّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم﴾ أى قفيناهم بعيسى ابن مريم فأدخلت كلمة "على" على المفعول للتأكيد.

١٤- قد تكون الواو لشدّة الوصل بين الأمرين دون العطف:

وهنا نكتة دقيقة لا بد من علمها، وهى أن (الواو) تكون فى مواضع كثيرة لتأكيد الوصل بين الأمرين دون العطف: (١) كالواو الواقعة بين قوله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وكنتم أزواجًا ثلاثة﴾.

(٢) والواو الواقعة بين قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربّهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وفتحت أبوابها﴾.

(٣) والواو الواقعة بين قوله تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وليمحّص الله الذين آمنوا﴾.

وقد تكون الفاء أيضًا زائدةً: قال القسطلانى فى شرح كتاب الحج من "صحيح البخارى": فى "باب المعتمر إذا طاف طواف العمرة، ثم خرج، هل يجزيه من طواف الوداع؟": "ويجوز توسّط العاطف بين الصفة والموصوف لتأكيد لصوقها بالموصوف، كما فى قوله تعالى: ﴿إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض﴾ فـ"الذين فى قلوبهم مرض" صفة للمنافقين ووقعت الواو بينهما، قال سيبويه: هو

(وقوع الواو بين الصفة والموصوف) مثل مررت بزيد وصاحبك إذا أردت بـ "صاحبك" زيدًا، وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ (هذه) جملة وقعت صفةً لـ "قرية"، والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما، كما (توسطت) في قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ (بدون الواو) وإنما توسطت الواو بين (قرية) وبين (لها) لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني زيد وعليه ثوب، انتهى قول القسطلاني.

١٥- صعوبة فهم المراد لانتشار الضمائر أو لإرادة المعنيين من كلمة واحدة:

وقد تكون صعوبة فهم المراد (من الآية) لأجل انتشار الضمائر، أو لأجل إرادة المعنيين من كلمة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وإنّهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنّهم مهتدون﴾ يعني الشياطين يصدّون الناس عن السبيل ويحسب الناس أنّهم مهتدون، وإنما صعب فهم المراد من هذه الآية لأجل انتشار الضمائر (ضمير "يصدّون" وضمير "يحسبون")، وقال تعالى في سورة ق: ﴿وقال قرينه هذا ما لديّ عتيد﴾ ثم قال: ﴿قال قرينه ربّنا ما أطغيته﴾ المراد بالقرين في الأول (وقال قرينه) الملك، وفي الثاني (قال قرينه) الشيطان، فالصعوبة لأجل إرادة المفهومين من كلمة واحدة (قرينه) وكذلك في قوله تعالى: ﴿يسئلونك ما ذا ينفقون قُل ما أنفقتم من خير﴾ وقوله تعالى: ﴿ويسئلونك ما ذا ينفقون قل العفو﴾ فالأول معناه أيّ إنفاق ينفقون؟ وأيّ نوع من الإنفاق ينفقون، وهو صادق بالسؤال عن المصرف، لأن الإنفاق يصير باعتبار المصارف أنواعًا، والثاني معناه أيّ مال ينفقون (وعلى كل تقدير إنما جاءت الصعوبة من إرادة المعنيين من كلمة "ينفقون".

١٦- وقد تكون صعوبة الفهم لأجل لفظ "جعل" و "شيء" ونحوهما مما يدل على معان شتّى:

ومن هذا القبيل (في إفادة الصعوبة) وقوع لفظ "جعل" و "شيء" ونحوهما

مما يدل على معانٍ شتّى فى الكلام، ولفظ "جعل" (١) قد يأتى بمعنى خلق كما فى قوله تعالى: ﴿جعل الظلمات والنور﴾ أى خلقها.

(٢) وقد يأتى بمعنى اعتقد، كما فى قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا﴾ أى اعتقدوا (أو خصّصوا).

وقد يقع لفظ "شىء" فى محل الفاعل، وقد يقع فى محل المفعول به، وقد يقع فى موضع المفعول المطلق، وفى محل غيره.

(١) مثال وقوع "شىء" فى موضع الفاعل قوله تعالى: ﴿أم خُلقُوا من غير شىء أم هم الخالقون﴾ أى من غير خالق وفاعل.

(٢) مثال وقوعه فى محلّ المفعول به قوله تعالى: ﴿فلا تسئلنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرًا﴾ أى عن شىء ممّا تتوقّف فيه من أمرى.

وقد يريدون من (أمر) و (نبأ) و (خطب) المخبر عنه، كما يقولون: هو نبأ عظيم أى قصّة عجيبة، وكذلك لفظ (خير وشرّ) وما بمعناهما يختلف معناه فى كل موضع (وأمثلة لفظ (أمرٍ) و (نبإٍ) و (خطبٍ) و (خير وشرّ كثيرة فى القرآن العظيم) ومن هذا القبيل انتشار الآيات وتجاوزها عن مواضعها الأصلية لنكتة.

كما أن الموضع الأصلى للآية يكون بعد إيراد القصة، ولكن قد يُستَعجل وتُذكَرُ قبل تمام القصّة، ثم يعودون إلى باقى القصة ويتمّونها، وقد تكون الآية متقدمة فى النزول ومتأخرة فى التلاوة.

كما أن قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلّب وجهك فى السماء﴾ متقدّم فى النزول، وقوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ متأخر عنه فيه، وفى التلاوة بالعكس (أى (سيقول السفهاء) متقدم، و(قد نرى تقلّب وجهك) متأخر) وقد يأتى الجواب فى وسط قول الكفّار، كما فى قوله تعالى: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إنّ الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ (فوقع الجواب (قل إن الهدى هدى الله) فى وسط كلام الكفار) وبالجملة هذه المباحث تحتاج إلى بسط وتفصيل كثير، وفيما ذكرناه كفاية (إن شاء الله تعالى).

وإذا استحضر القارئ السعيد هذه الأمور فى ذاكرته، فعند التلاوة أدرك

غرض الكلام ومغزاه بأدنى تأمل، ويقيس غير المذكور بالمذكور، وينتقل من مثال إلى أمثلة أخرى.

بيان المحكم والمتشابه والكناية، وتصوير المعنى المعقول بصورة المحسوس والتعريض، والمجاز العقلى

١- تعريف المحكم: وينبغى أن يُعلم أن المحكم هو اللفظ الذى لا يدرك العارف باللغة منه إلا معنًى واحدًا، والمعتبر فيه هو فهم العرب الأول، لا المتعمّقون المعاصرون، فإنّ التعمّق فى غير محلّه داء عضال يجعل المحكم متشابهًا، والمعلوم مجهولا ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات﴾.

٢- تعريف المتشابه: هو ما احتمل المعنيين (وهذا تعريف للمتشابه اللغوى دون الاصطلاحى) وأسباب هذا التشابه أربعة: (١) احتمال رجوع الضمير إلى المرجعين، كما إذا قال أحد: إنّ الأمير أمرنى أن ألعن فلانًا (لعنه الله) (فالضمير البارز فى (لعنه) يحتمل أن يرجع إلى الأمير، ويحتمل أن يرجع إلى الفلانى، فصار الكلام متشابهًا).

(٢) واشتراك كلمة بين المعنيين، كلفظ (لامَستُم) فى قوله تعالى: ﴿أو لامَستُم النساء﴾ فإنه يحتمل الجماع والمسّ باليد.

(٣) واحتمال العطف على قريب وبعيد، نحو قوله تعالى: ﴿وامسحوا برءوسكم وأرجلكم﴾ فى قراءة الجرّ.

(٤) واحتمال العطف والاستئناف، كما فى قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم﴾ (ففى العطف أنّ الراسخين فى العلم أيضًا يعلمون المتشابه، وفى الاستئناف لا يعلم المتشابه غير الله).

(وأما المتشابه الاصطلاحى (الأصولى) فهو ما يكون خفى المراد بأن لا يعلم منه شىء، كالمقطّعات القرآنية نحو الم، الر، ص، وأمثالها، وإمّا أن يُعلم معناه اللغوى، دون معناه الشرعى المراد، كالوجه، واليد، والساق، والاستواء، وغيرها من المتشابهات).

٣- تعريف الكناية: وهى إثبات حكم لشيء ينتقل ذهن المخاطب من ذلك الحكم إلى لازمه (ولا يكون إثبات نفس الحكم مطلوبًا، بل المطلوب هو لازمه) سواء كان لزومه عاديًا كلزوم كثرة الضيافة لكثرة الرماد فى قولهم: "فلان عظيم الرماد" وكما يُدرك من قوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ معنى الجود والسخاء، أو كان لزومه عقليًا (كلزوم الحرارة للنار، ولزوم عبادة الله للتوحيد).

٤- تصوير (بيان) المعنى المراد بصورة محسوسة أيضًا من هذا القبيل: (أى من قسم الكناية) وهذا باب واسع فى أشعار العرب وخُطُبهم، وكذا القرآن العظيم، وسنة رسول الله ﷺ مشحونان به، مثال تصوير المعنى المراد بصورة محسوسة كما فى قوله تعالى: ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ ففيه شبّه الشيطان برئيس السُرّاق إذا نادى أصحابه أن أُهجموا من هنا، وأدخلوا من هناك، وفى قوله تعالى: ﴿إنّا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ وفى قوله تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا﴾ شبّه إعراض المشركين عن تدبّر الآيات برجل مغلول يداه فى عنقه، أو برجل بُنِىَ فى جميع جوانبه سدّا فلا يبصر شيئًا، وفى قوله تعالى: ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ شبّه جمع خاطرهم من الخوف واضطراب النفس بجمع الطائر جناحيه عند السكون وعدم الخوف.

ونظير هذا الباب (تصوير المعنى المراد بصورة محسوسة) كان فى العرب كما يأتى: (١) إذا أرادوا بيان مقدار شجاعة أحد يشيرون بالسيف، ويقولون: يضرب من هذه الجهة ومن تلك الجهة، وغرضهم بيان غلبة ذلك الرجل على أهل عصره فى صفة الشجاعة لا غير، وإن لم يأخذ السيف بيده طول حياته.

(٢) أو يقولون: فلان يقول: لا أجد على وجه الأرض من يبارزنى ويستطيع مقابلتى، وإن لم يقل الفلانى ذلك القول قط، بل يريدون أنه يزعم نفسه كذلك.

(٣) أو يقولون: فلان يفعل هكذا، ويشيرون إلى هيئة أهل المبارزة فى وقت غلبتهم على خصمهم، وإن لم يفعل ذلك الفلان شيئًا، بل يشيرون إلى قوته واستعداده.

(٤) أو يقولون: إنّ فلانًا خنقنى وأدخل يده فى حلقى وأخذ اللقمة عن حلقى، وإن لم يفعل ذلك الفلان كذلك قط، فمعناه أنه أصابنى أذيةً.

٥- **تعريف التعريض:** هو أن يُذكَرَ حكم عام أو شخص مبهم، وكان المقصود إشارةً إلى حال شخص معين أو تنبيهًا عليه، وكان بعض خواص ذلك الشخص مذكورًا فى الكلام، فيوقظ المخاطب على أحواله.

وفى أمثال هذه المواضع يكون قارئ القرآن مراقبًا بخاطره ومحتاجًا إلى بيان القصّة وأوصاف من وقع التعريض له، وكان ﷺ إذا أراد الإنكار على أحد يستخدم التعريض ويقول: "ما بال أقوام (أو رجال) يفعلون كذا وكذا" ومثال التعريض فى القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ ففيه تعريض لزينب وأخيه، لأجل إنكار نكاح زيد.

وقوله تعالى: ﴿ولا يأتلِ أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى﴾ الآية، فيها تعريض لأبى بكر رضى الله عنه فى إنكاره الإنفاق على أمّ مسطح وغيرها، وفى أمثال تلك الصور لا يُدرَكُ مفهوم الآية قبل العلم بالقصّة.

٦- **تعريف المجاز العقلى:** هو إسناد صدور الفعل إلى شىء ليس له فاعلا فى الحقيقة، أو إسناد وقوعه إلى ما ليس له مفعولا كذلك بعلاقة أن بين الفاعل الحقيقى وهذا الفاعل، أو بين المفعول المحقيقى، وهذا المفعول مناسبة فى تعلّق الفعل بهما، وادّعى المتكلم أن ذلك الفاعل أو المفعول فى عداد الفاعل الحقيقى أو مفعوله ومن جنسهما، فأسند الفعل إليهما، كما يقولون: بنى الأمير القصر، فجعل الأمير فاعلا والحال أن البانى هو البنّاء، ولكن الأمير سبب للبناء وآمر به، كما فى قوله تعالى: ﴿يا هامان ابنُ لى صرحًا﴾ وما كان هامان هو البانى، وكذلك "أنبت الربيع البقل" فالربيع ظرف للإنبات لا فاعل له، والفاعل هو الله تعالى فى وقت الربيع، ولكن أسند إليه الفعل (الإنبات) بمناسبة الظرفية، لا أنه فاعل حقيقى.

الباب الثالث
فى بيان أسلوب القرآن البديع فى غير العلوم الخمسة

(١) ولم يُجعل القرآن الكريم مبوبًا ومفصّلا (ذا أبواب وفصول) على أسلوب المتون، حتى يُذكر كل مطلب ومبحث فى باب أو فصل مستقلّ، بل اعتبر القرآن الكريم كمجموعة من الأحكام والمكاتيب السلطانية (أو الفرامين الدولية) كما أن الأمراء والسلاطين يكتبون لرعاياهم أوامر وأحكامًا حسب مقتضى أحوالهم وإيجاب أوضاعهم، وبعد مدة يكتبون أوامر وأحكامًا غيرها، وعلى هذا القياس حتى يجمع عندهم أحكام وفرامين كثيرة، فيقوم أحد من رجال الدولة يرتّب ويدوّن تلك المجموعة (حسب التاريخ، أو حسب ربط الأحكام والأوامر، أو حسب اقتضاء الحال) فكذلك الملك المطلق سبحانه وتعالى أنزل على رسوله لهداية عباده سورةً بعد سورة حسب ما اقتضت أحوالهم، وفى عهد النبى ﷺ كانت كل سورة محفوظة ومضبوطة باستقلالها بالكتابة (عليحدة) ولم تجمع السور ولم تدوّن فى عصره الميمون عليه السلام، ثم دُوّنَ السور كلها بترتيب خاصّ فى مجلد واحد فى عهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما (بعد حرب اليمامة)، وسمّوا تلك المجموعة (أو ذلك المجلد) بالمصحف.

(٢) أقسام السور باعتبار كثرة الآيات وقلّتها عند الصحابة

وهى (بهذا الاعتبار) عند أصحاب الرسول ﷺ على أربعة أقسام: (١) الأول سبع الطوال، وهى التى كانت آياتها أكثر من مائة، مثل سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف والتوبة.

(٢) والثانى المئين، وهى التى كانت آياتها مائة أو أكثر بقليل.

(٣) والثالث المثانى، وهى التى تكون آياتها أقل من مائة.

(٤) والربع المفصّل وهى التى تكون آياتها أقل من المثانى، وفى ترتيب المصحف عدد من سور المثانى أدخِلَ فى المئين لأجل مناسبة سياقها بسياق المئين،

مثل سورة الرعد، وإبراهيم والحجر ومريم وسورة الحج، وهكذا تصرفوا فى بعض الأقسام، مثل سورة الشعراء والصافّات، فإن آياتهما أكثر من المائة ولكن أدرجوهما فى المثانى.

وانتسخ عثمان رضـ من هذا المصحف (مصحف أبى بكر) مصاحف (مخافة الاختلاف فى القراءات) ونشرها فى آفاق المملكة الإسلامية وأرسل منها إلى عاصمة أعظم البلاد، كالبصرة والكوفة والشام والمدينة ومكة نسخةً نسخةً ليقرؤوها ويستفيدوا منها، ولا يميلوا إلى ترتيب أخر غير هذا الترتيب.

(٣) وبما أن أسلوب سور القرآن يناسب مجموعة فرامين الملوك وأوامرهم مناسبة تامّة اختير فى ابتداء السور وانتهاءها أسلوب المكاتيب الرسمية ومجموعة القوانين الدولية، كما أن الأمراء (المسلمين) يبتدئون (١)بعض مكاتيبهم و(رسائلهم) بحمد الله تعالى (٢) وبعضهم ببيان غرض إملاء المكتوب (الرسالة) (٣) ويبتدئون بعضها باسم المرسِل والمرسل إليه (٤)ويكون بعض الرسائل والوثائق من غير عنوان (٥) ويكون بعض تلك المكاتيب مطولا وبعضها مختصراً.

فكذلك الله سبحانه وتعالى (١) بدأ بعض السور بحمده كالفاتحة والأنعام والكهف والسبأ والفاطر (٢) وبعضها بستبيحه كسورة بنى إسرائيل والجمعة والحديد والحشر (٣) وبعضها بالحمد والتسبيح كسورة التغابن (٤)وبدأ بعض السور ببيان غرضه (كما فى قوله تعالى) ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتقين﴾ وقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ وقوله تعالى: ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ وهذا مثل ما يقال: "هذا ما صالح فلان وفلان" و "هذا ما أوصى به فلان"، وكتب النبى ﷺ فى واقعة صلح الحديبية "هذا ما قاضى عليه محمد" (٥) وبدأ الله تعالى بعض السور بذكر المرسِل أو المرسل إليه، كما قال: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ ﴿كتاب أحكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير﴾ وقوله تعالى: ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ وهذا مثل ما يقال أو يُكتَب: "صَدَرَ هذا الحكم من مقرّ الخلافة" أو يكتبون: "إعلام من حضرة الخلافة لسكّان بلد كذا" وكتب النبى ﷺ فى كتابه (رسالته للدعوة) إلى

هرقل عظيم الروم . . . " (٦) وبدأ الله تعالى بعضها على طريقة (أسلوب) الرقاع والوثائق بغير عنوان، كما قال تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ وقوله تعالى: ﴿قدسمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾ وقوله تعالى: ﴿يا أيّها النبىّ لم تحرّم ما أحلّ الله لك﴾.

(٧) ولـمّا كان من أشهر مظاهر فصاحة العرب قصائدهم، وكانوا يختارون فى مبدأ قصائدهم التشبيب بذكر مواضع عجيبة ووقائع هائلة (مخوّفة)، وكان الابتداء بالتشبيب من رسومهم القديمة.

استخدم الله تعالى هذا الأسلوب فى أوائل بعض السور، كما قال تعالى: ﴿والصافّات صفّا فالزاجرات زجرًا﴾ وكذلك قال: ﴿والذاريات ذروًا فالحاملات وقرًا﴾ وقال: ﴿إذا الشمس كوّرت وإذا النجوم انكدرت﴾.

(٨) وكما أن السلاطين والأمراء يختمون مكاتيبهم (فى الآخر) بجوامع الكلم والوصايا) النادرة، والتأكيد على الأخذ بالحكم السابق، والتهديد لمن خالفه، فكذلك الله سبحانه اختار هذا الأسلوب فى أواخر السور، فجاء بجوامع الكلم، ومنابع الحكم، وتأكيد بليغ، وتهديد عظيم.

(٩) وقد يأتى الله سبحانه فى أثناء السورة بكلام بليغ عظيم الفائدة، بديع الأسلوب، على منهج الحمد والتسبيح، أو بنوع من بيان النِعَم والامتنان، كما أنه شرع فى سورة النمل ببيان تباين المراتب بين الخالق والمخلوق، وقال: ﴿وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قل آلله خير أمّا يشركون﴾ ثم بيّن ذلك الدعوة (والمطلوب) فى خمس آيات بأبلغ الوجوه وأبدع الأساليب، والآيات الخمس: من قوله تعالى: ﴿أمّن خلق السموات والأرض . . . ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.

(١٠) كما أنه تعالى شرع محاجّة بنى إسرائيل فى وسط سورة البقرة بقوله: ﴿يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى الّتى أنعمت عليكم﴾ ثمّ ختم المحاجّة (وقصّتهم) بنفس هذه الآية، ولابتداء المخاصمة بهذه الآية، وانتهاءها بها محل عظيم ومرتبة سامية فى فنّ البلاغة، وكذلك بدأ الله تعالى بمحاجّة أهل الكتاب (اليهود

والنصارى) فى أوائل سورة آل عمران بآية ﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾ لتكون بيانًا لمحل النزاع وموردًا لقيل وقال بيننا وبينهم، والله أعلم بحقيقة الحال.

تقسيم السور إلى الآيات
ورعاية الوزن الإجمالى فيها

وقد جرت سنّة الله تعالى بتقسيم السور إلى الآيات، كما أنّ العرب كانوا يقسمون قصائدهم إلى الأبيات، غاية الأمر أن بين الآيات والأبيات فرقًا، وهو أن الأبيات يراعون فيها رغبة المتكلم والسامع والتذاذهما بالأسلوب الخاصّ المرغوب لهما، وكذلك روعى فى الآيات ذهن السامع والتذاذه بالأسلوب المتداول، إلا أنّ الأبيات مقيّدة بعلمى العروض والقوافى الذَين دوّنهما الخليل بن أحمد (المتوفى ١٧٠هـ) وتعلّمها الشعراء منه، وأمّا بناء الآيات فعلى الوزن الإجمالى والقافية الإجمالية الذَين يشبهان بأمر طبيعى، وليس بناءها على أفاعيل وتفاعيل العروضيّين، ولا على قافيتهم المخصوصة؛ لأنهما أمران صناعيان وأصلان اصطلاحيان (مخترعان).

تنقيح الأمر المشترك بين الآيات والأبيات فى الوزن والقافية

وتنقيح الأمر المشترك بينهما أنّا نُطلقُ أمرًا عامًا على الأمر المشترك بين الآيات والأبيات أوّلا (وهو التوافق التخمينى أو التقريبى بينهما فى الأمر الطبيعى) ثم نضبط الأمور التى التزم ذكرها فى الآيات، فذلك (يكون تنقيح الأمر المشترك) كفصل عليحدة لا بد من تفصيله -والله ولى التوفيق-.

وتفصيل هذا الإجمال أن الفطرة السليمة تحسّ فى القصائد الموزونة المقفّاة والأراجيز الرائقة المعجبة وأمثالها من الكلام الموزون المقفى لذةً وتذوق حلاوةً، وحينما يتأمل صاحب تلك الفطرة فى وجه **اللذة و علّة** الحلاوة يجد ويدرك أنه حصل له تلك اللذة والحلاوة من كلامين بين أجزاءهما موافقة وتناسب فى الوزن والقافية، وجَعَلَه ذلك التوافق منتظرًا لمثل تلك الحلاوة، ثم إذا سمع بيتًا آخر

متوافق الأجزاء فيهما، وحصل الأمر المنتظر ضاعفت لذته وحلاوته، ولما وجد البيتين مشتركين فى قافية تثلّثت لذته، فاللذة والحلاوة فى الأبيات إنما تحصل لأجل سرّ الفطرة القديمة فى البشر، وجميع أصحاب الأمزجة السليمة فى الأقاليم المعتدلة متفقون عليه، وتجد (أيّها المخاطب) فى توافق أجزاء كل بيت وفى شروط القافية المشتركة بين الأبيات مذاهب مختلفة ورسومًا متباينة (عند أهل الأقاليم) فللعرب قوانين أوضحها الخليل، وللهنود مراسم يحكم بها سليقتهم، وهكذا اختار أهل كل عصر وزمان طريقةً لأنفسهم ووضعوا لها أصولا وسلكوا مسلكًا، وبما أن جميع تلك الرسوم والمذاهب مختلفة نستنبط وننتزع منها أمرًا جامعًا ونتأمل نكتةً فى الأمر المشترك بين الآيات والأبيات (فى الوزن والقافية).

وهذا الأمر المشترك والسرّ المخفى بينهما هو الموافقة التخمينى والتقريبى لاغير.

(١) فإن العرب يستعملون وزن (مفاعِلُن) و (مفتعلن) مثلا فى موضع وزن (مستفعلن)، وفى موضع وزن (فاعلاتن) يأتون بوزن (فعلاتن) ويعدّونه موافقًا للقاعدة.

(٢) ويهتمّون بموافقة ضرب بيت بضرب بيت آخر، وبموافقة عروض بيت بعروض بيت آخر، ويجوّزون الزحافات الكثيرة فى الحشو، بخلاف شعراء الفارس فإن الزحافات عندهم مستهجنة وقبيحة.

(٣) وكذلك (فى القافية) إذا كان آخر بيت (قبورًا) وآخر بيت آخر (منيرًا) فشعراء العرب يستحسنونه، بخلاف شعراء العجم فإنهم يستهجنونه.

(٤) وشعراء العرب يجعلون (حاصلٌ وداخلٌ ونازلٌ) من قسم واحد، بخلاف شعراء العجم.

(٥) وكذلك وقوع كلمة فى مصراعين بحيث يكون نصف الكلمة فى مصرع، ونصفها فى مصرع آخر يجعلونه صحيحًا، بخلاف شعراء العجم.

وبالجملة فالأمر المشترك بين الآيات والأبيات هو الموافقة التقريبى دون التحقيقى.

وأمّا الهنود فبنوا أوزان قصائدهم وأشعارهم على عدد الحروف من غير اعتبار الحركات والسكنات، وهذا أيضًا يفيد اللذة والحلاوة (عندهم) ولقدسمعنا من بعض أهل البادية أنهم يختارون فى تغريداتهم (وطربهم) لأجل اللذة كلامًا (شعرًا) يتوافق بعضه بعضًا بالتوافق التخمينى، أو كان رديفه كلمة (كاملة) أو أكثر منها.

وينشدون تلك الأراجيز مثل إنشاد القصائد ويتلذّذون بها، ولكل صنعة ميّزة خاصة فى قصائدهم ونظم كلامهم، وعلى هذا القياس وقع اتفاق الأمم فى الالتذاذ بلحونهم ونغماتهم، وإنما يكون الاختلاف فى مراسم تغريدهم وقواعدهم.

(١) واستنبط أهل اليونان أوزانًا (لقصائدهم وأشعارهم) وسمّوها بالمقامات، واستخرجوا من تلك المقامات أصواتًا وأنواعًا لها، فمهّدوا لهم فنّا شديدَ التفصيل (وكثيرَ البسط).

(٢) واستخرج أهل الهند ست نغمات (ستة أوزان) وفرّعوا على هذه النغمات نُغَيمات (وأوزان مختصرة).

(٣) ورأينا أهل البادية أنهم اجتنبوا عن هذين الاصطلاحين (اصطلاح أهل اليونان واصطلاح أهل الهند) بل استنبطوا بفطانتهم وسليقتهم وذوقهم الطبيعى ووضعوا أوزانًا وألّفوا فيها، وألقوها إلى الناس من غير ضبط كلياتها وحصر جزئياتها (بل زيّنوا مجالس شعراءهم).

وبعد الغور فى الأمور المذكورة إذا جعلنا الحدس حَكَمًا فى تعيين الأمر المشترك لا يمكن أن يأتى شيء بأيدينا فى الأمر المشترك غير الموافقة التخمينى (التقريبى) وتخمين العقل وعمله، وهو انتزاع الأمر الإجمالى (الذى ذكرناه مرارًا) لا تفصيل القوافى المردفة أو الموصولة، ولا الذوق السليم، ومحبة العقل إنما تكون بتلك الحلاوة البحت التى تحصل من بلاغة كلام الله لا بالبحر الطويل والمديد (وأمثالهما).

أسلوب خطاب الله تعالى عباده فى الأرض

(١) ولما أراد الله الخلاق العليم أن يتكلّم الإنسان خلقه من قبضةٍ من التراب توجّه (واعتبر) هذا الحسن الإجمالى، دون أن ينظر إلى قوالب (أوزان) مستحسنة عند قوم دون قوم، ولما أراد مالك الملكوت أن يتكلّم على أسلوب ومنهج بنى آدم ضبط وراعى ذلك الأصل البسيط (الحسن الإجمالى) دون القوانين المتغيّرة بتغيّر الأدوار والأطوار، إذ التمسّك بالقوانين المصطلحة ناشئ عن العجز والجهل (تعالى الله عنهما علوّا كبيرًا).

(٢) والحصول على ذلك الحسن الإجمالى بلا واسطة تلك القواعد الاصطلاحية المخترعة على وجه لا يخرج زمام الكلام عن اليد فى الفوق والتحت (فى المواضع المنخفضة والمرتفعة) ولا يضيع حسن الكلام فى الصعود والنزول أمر معجز ومفحم (يثبت به إعجاز القرآن الكريم) وبعد اختيار الله تعالى سنن الحسن الإجمالى ننتزع أصلا وننتقل إلى قاعدة.

(١) وهى أن الله تعالى اعتبر فى أكثر السور امتداد الصوت (صوت القارئ) دون البحر الطويل والمديد ونحوهما.

(٢) واعتبر فى الفواصل (فواصل الآيات) انقطاع النَفَس بحرف المدّ، وبما استقرّ عليه حرف المدّ (من الحركة أو السكون) ولم يعتبر الله تعالى قواعد فنّ القوافى، وهذه الكلمة (اعتبار امتداد الصوت والنفس) تقتضى بسطًا فاستمع لما يلقى إليك.

(٣) ولا شكّ أنّ حياة الإنسان موقوف على ذهاب النفس ومجيئه فى قصبة الحلق، وإن كان تمديد النَفَس وتقصيره باختيار الإنسان وتحت قدرته، أمّا إذا خلّى وطبعه فلا بد أن يكون ممتدًا، ففى أوّل خروج النفس يحسّ الإنسان بالنشاط، ثم ينتهى ذلك النشاط تدريجًا وشيئًا فشيئًا ويتلاشى، حتى ينقطع النفس ويحتاج إلى إعادة نفس جديد طازج.

وهذا الامتداد (امتداد النَفَس) محدود بحدّ مبهم ومقدّر بمقدار منتشر

(مجمل) حتى إن نقصان كلمتين أو ثلاث بل نقصان قدر الثلث من الكلام أو ربعه لا يجاوزه عن حدّه، وكذا لا يجاوزه عن حدّه زيادة كلمتين أو ثلاث، بل زيادة قدر الثلث والربع أيضًا لا يخرجه عن حدّه.

ويسع فى هذا الامتداد (امتداد النفس) اختلاف عدد الأوتاد والأسباب، وتقدّم بعض الأمر أى أمر كان على بعض.

(٦) فجُعل امتداد النفس وزنًا وقسم على ثلاثة أقسام: طويل ومتوسط وقصير، وما جاء على وزن الطويل فكسورة النساء، وما جاء على وزن المتوسط فكسورة الأعراف والأنعام، وما جاء على وزن القصير فمثل سورة الشعراء وسورة الدخان، وتمام النَفَس على حرف مدّ ساكن يعتمد على حرف متحرك قافية متسعة يدركها الذوق، ويتلذّذ من إعادتها مرّةً بعد مرّةٍ، وإن كان ذلك (حرف المدّ) فى موضع ألفًا، وفى آخر واوًا، وفى آخر ياءً، وكان حرف الآخر باءً فى موضع وميمًا فى محل، وقافًا فى موضع آخر، فـ"يعلمون" و"مؤمنين" و"مستقيم" متوافقة (فى حرف المدّ) و (خروج، ومريج، وتحيد، وتبار، وفواق، وعُجاب) كلّها على حسب القاعدة (فى وقوع حرف الصحيح بعد حرف العلة).

(٧) وكذلك لحوق الألف بآخر الكلام قافية متسعة يتلذّذ السامع من إعادتها، ولو كان حرف الروى مختلفًا، فيقول: فى موضع (كريمًا) وفى محل آخر (حديثًا) وفى الثالث (بصيرًا) ويكون رعاية الموافقة فى هذه الصور من قبيل التزام ما لايلزم.

كما وقعت تلك الموافقة فى أوائل سورة مريم، وسورة الفرقان.

(٨) وكذلك توافق الآيات على حرف، مثل الموافقة على الميم فى سورة القتال لأن فى آخر كلّ آية ميمًا، ومثل الموافقة على النون فى سورة الرحمن ﴿فبأىّ آلاء ربكما تكذّبان﴾ تفيد تلك الموافقة لذّةً للسامع، وكذلك إعادة جملةٍ بعد طائفة من الكلام تفيد لذة (عند البلغاء) كما وقع فى سورة الشعراء إعادة هذه الجملة ﴿وإنّ ربّك لهو العزيز الرحيم﴾ وفى سورة القمر إعادة هذه الجملة ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾ وفى سورة الرحمن وقعت إعادة ﴿فبأىّ آلاء ربكما تكذّبان﴾ وفى سورة المرسلات وقعت إعادة ﴿ويل يومئذٍ للمكذّبين﴾.

(٩) وقد تختلف فواصل آخر السورة عن فواصل أوّلها رعايةً لفكرة السامع وذهنه وإشعارًا بلطافة الكلام، كما جاء فى آخر سورة مريم (مدًّا وإدًّا) و (هدًّا) مع أن الفواصل فى أوّلها بالياء، ومثل سلامًا وكرامًا فى آخر سورة الفرقان، وكما وقع (من طين) و (ساجدين) و (المنظرين) فى آخر سورة ص والحال أن أوائل هذه السور مبنية على فواصل أخرى كما لا يخفى.

(١٠) فجُعل هذا الوزن وهذه القافية (المعبّرين بامتداد النَفَس وبالاعتماد على حرف) فى أكثر السور مهمّين جدًّا.

(١١) وإن جاء فى آخر الآية لفظ يصلح أن يكون قافية فبها، وإلا يوصل ذلك اللفظ بجملة كان فيها بيان آلاء الله، أو كان فيها تنبيه للمخاطب كقوله تعالى: ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ وقوله تعالى: ﴿وكان الله عليمًا حكيمًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وكان الله بما تعملون خبيرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿لعلّكم تتقون﴾ وقوله تعالى: ﴿إن فى ذلك لآيات لأولى الألباب﴾ وقوله تعالى: ﴿إنّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾.

(١٢) وفى كثير من أمثال هذه المواضع اختير الإطناب لفائدة، كما فى قوله تعالى: ﴿فاسئل به خبيرًا﴾ وقد استعمل التقديم والتأخير مرةً، وقداستعمل القلب والزيادة أيضًا كما قيل فى إلياس ﴿إلياسين﴾ (بزيادة الياء والنون) وفى طور سيناء ﴿طورسنين﴾ (بالياء والنون).

(١٣) وينبغى أن يُعلمَ هنا أن انسجام الكلام وسهولته على اللسان يكون لأحد السببين: إمّا لكونه مثلا سائرًا (مشهورًا) وإمّا لتكرار ذكره فى الآية.

(١٤) وقد يجعل الكلام الطويل موزونًا بكلام قصير، وقد يأتون بالجمل الأولى أقلّ من الثانية، ويفيد هذان التصرّفان عذوبةً فى الكلام ولذّةً فيه، كما فى قوله تعالى: ﴿خذوه فغلّوه ثمّ الجحيم صلّوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه﴾ ففى مثل هذا الكلام يضمر المتكلم فى نفسه أنّ الفقرة الأولى مع الثانية فى كفّة، والثالثة وحدها فى كفّة.

(١٥) وقد تكون الآية ذات قوائم ثلاث، كما فى قوله تعالى: ﴿يوم تبيضّ

وجوه وتسودّ وجوه فأمّا الذين اسودّت وجوههم﴾ الآية، وفى الآخر ﴿وأمّا الذين ابيضّت وجوههم ففى رحمة الله﴾ وعامّة القراء جمعوا الأولى مع الثانية وعدّوها آية طويلة.

(١٦) وقد يذكر لآية فاصلتان كما يكون فى الشعر كذلك: مثاله قول صاحب البردة كالزهر فى ترف، والبدر فى شرف، والبحر فى كرم، والدهر فى همم، وقد تأتى آية أطول من أخرى، والسرّ فيه أنّ البلغاء إذا وضعوا أحسن كلام ناشئ من تقارب الوزن، ووجدان الأمر المنتظر (القافية) فى كفّة من الميزان، ووضعوا حسن الكلام الناشئ من السهولة، وموافقة الكلام الطبيعى، وعدم لحوق تغيير فيه فى كفة أخرى، فيرجّح صاحب الفطرة السليمة جانب المعنى فيترك أحد الانتظارين (انتظار حسن اللفظ) مهملا، ويوفى حق الانتظار الثانى (انتظار حسن المعنى) وما قلنا فى صدر البحث: "إنه قد جرت سنة الله على هذا (على تقسيم السور إلى الآيات)" لأجل أنه لم يظهر فى بعض السور رعاية هذا القسم من الوزن والقافية، لأن طائفة من السور نزلت على أسلوب خُطُب الخطباء، وعلى أسلوب أمثال المدقّقين الواصلين إلى نكتة صعبة، وقصّة النسوة الإحدى عشرة التى رواها عائشةرضـ لعلك سمعتها وعلمت قوافيها.

(١٧) ووقع بعض السور على أسلوب رسائل العرب بلا رعاية شيء من لوازم الكتابة، كحوار بعض الناس بعضًا، إلا أنه اختتم كل كلام (فى الآيات) بما يناسب الاختتام به، والسرّ هنا أن الأصل فى كلام العرب هو الوقف فى كل موضع ينتهى إليه النفس، ويتلاشى فيه النشاط، والأولى فى الوقف انتهاء النفس إلى حرف المدّ، ومن أجل هذا أى الوقف حدثت صور الآيات، هذا ما فتح الله لهذا الفقير -والله أعلم-.

الأجوبة عن بعض الإشكالات الواردة على أسلوب القرآن

(١) وإن سُئِل لما ذا جاء مطالب العلوم الخمسة فى القرآن العظيم مكررةً ولم يُكتفى بذكرها فى موضع واحد؟

نقول فى الجواب إن ما يُلقى إلى السامع لإفادته من الكلام على نوعين :
الأول : يكون غرض المتكلم هناك مجرّد تعليم ما لم يعلم ؛ لأن المخاطب لم يعلم حكمًا ، وكان ذهنه خاليًا عن إدراك أىّ حكم ، وباستماع ذلك الكلام صار المجهول معلومًا له وصار غير المدرك مُدرَكًا له .

والثانى : يكون مقصود المتكلم إحضار الصورة المدرَكة وإبقاءها فى نفس المخاطب ليحصّل لذةً كاملةً ، ويفنى قواه القلبية والإدراكية فى تلك الصورة العلمية ، ويغلب صبغ هذا العلم على قواه جميعًا ، ألا ترى أن الشعر الذى علمنا معناه إذا ذكر عندنا مكررًا نلتذّ به ، وفى كل مرة نُحسّ لذة جديدة ، ولأجل هذه اللذة نحبّ تكرار ذلك الشعر .

والقرآن العظيم يشتمل على فائدتين بالنسبة إلى مطالب كل علم من العلوم الخمسة : (١) تعليم ما لم يعلم بالنسبة إلى الجهلاء (٢) وتصبيغ النفوس والقلوب بتلك العلوم بتكرارها بالنسبة إلى العلماء ، نعم لم يأتِ التكرار فى أكثر مباحث الأحكام ؛ لأن الفائدة الثانية (انصباغ النفوس والقلوب) لاتكون مطلوبًا فى مباحث الأحكام ، وإنما المطلوب هناك العمل وانصباغ الجوارح بالأعمال ، ولأجل الحصول على الفائدة الثانية أمَرتِ الشريعة بتلاوة القرآن العظيم ، ولم تكتفِ بمجرد فهم معانيه ؛ لأن الانصباغ إنما يحصل من التلاوة المتوالية وتكرار القراءة .

ولكن فرق بين تكرار كلام الناس ، وبين تكرار العلوم الخمسة فى القرآن ، بأنّ الله تعالى جاء فى أكثر المواضع بتكرار مباحث العلوم الخمسة بعبارات طريّة طازجة ، وأسلوب جديد (حتى لا يُفهم التكرار غالبًا من الألفاظ ، وإنما يشعر القارئ التكرار بالمعانى) لتكون الآيات أوقع فى النفوس وألذّ فى الأذهان ، ولو كان التكرار بلفظ واحد لكان كالورد المقرّر اليومى أو الليلى يكرره صاحبه ، وأمّا فى صورة اختلاف التعبيرات وتغاير الأساليب فيخوض ذهن المخاطب فيه وينغمس فيه القلب كاملا .

(٢) وإن سئل لماذا فُرّق ونُشر المطالب الخمسة فى سور القرآن ولم يراعِ الترتيب فيها ، ولماذا لم يذكر علم التذكير بآلاء الله أولا حتى يستفى حقّه ، ثم

يُشرع فى علم التذكير بأيّام الله، وبعد إتمامه يبدأ فى مخاصمة الكفّار؟ (أى) لما ذا لم يجعل الله لكل علم من العلوم الخمسة بابًا أى سورة عليحدة؟).

نقول فى الجواب: لا شك أن قدرة الله تعالى شاملة وعامة لجميع الممكنات، ولكن الحاكم فى هذه الأبواب (الأمور) هو حكمة الله تعالى والحكمة المرعية (فى نشر المطالب فى السور وفى عدم ترتيبها) أوّلا: هى موافقة المبعوث إليهم فى اللغة وأسلوب البيان، وأشير إلى هذه الحكمة فى قوله تعالى: ﴿لولا فصّلت آياته أأعجمى وعربى﴾.

وثانيًا: أنّه لم يكن عند العرب قبل نزول القرآن أىّ كتاب لا كتاب إلهىّ ولا مؤلّف بشرىّ، وأنّ العرب كانوا لا يعرفون الترتيب الذى اخترعه المصنفون الآن، وإن كنت فى ريب مما قلنا فطالع وتأمل قصائد الشعراء المخضرمين، ورسائل النبىﷺ إلى الملوك.

وتأمل فى مكاتيب عمر إلى عمّاله ليتجلى لك هذه الحكمة، ولو قيل لهم شىء على خلاف أسلوبهم المتعارف لوقعوا فى الحيرة، ولوصل إلى أسماعهم أمر غريب فيشوّش أفهامهم.

وثالثًا: أنه ليس المقصود مجرد الإفادة، بل الإفادة مع الاستحضار والتكرار (كما وقعت الإشارة إليه) وهذا المقصود إنما يحصل من غير المرتب (وغير المجموع فى محل واحد) بأتم وأقوى وجوه.

(٣) وإن سئل عنك أن الوزن المعتبر والقافية المعتبرة عند الشعراء ألذّ من هذا الوزن (وهو امتداد النفس) ومن هذه القافية (وهى تمام النَفَس على حرف المدّ المعتمد على حرف آخر) الّذين مرّ ذكرهما، فلما ذا لم يخترهما الله تعالى؟

نقول فى الجواب أوّلا: إنّ كثرة اللذّة وقلّتها أمر إضافى يختلف باختلاف الأقوام والأذهان (فقياس عامّة الناس والشعراء المتقدّمين قبل الخليل على الشعراء لا سيّما على المتأخرين منهم قياس بلا علة مشتركة).

وثانيًا: على تقدير التسليم أنّ إبداع نوع من الأوزان والقوافى على لسان النبى ﷺ النبى الأمّى آية ظاهرة ومعجزة باهرة على رسالته عليه الصلاة والسلام.

وثالثًا: أنه لو أنزل القرآن على وزن الأشعار وقافيتها لزعم الكفّار أنّ القرآن هو الشعر الذى كان مشهورًا ومعروفًا بين العرب، ولا يحسبونه كذلك لو كان بأسلوب غير أسلوب شعرهم، كما أن أدباء أهل البلغارية من الناظم (الشاعر) والناثر (كاتب النثر) إذا أرادوا أن يثبتوا مزيّتهم وفضلهم على معاصريهم برؤوس الأشهاد يستنبطون صناعة جديدة ويعلنون: هل هنا من يأتى بهذا النوع من الغزل أو الشعر؟ وهل من يكتب رسالة على هذا الأسلوب؟ ولو أنشؤوا شعرًا أو رسالةً على الأسلوب القديم يتّضح فضلهم على المحقّقين فقط.

(٤) جواب السؤال الرابع وبيان وجوه إعجاز القرآن

(٤) وإن سألوا ما هى وجوه إعجاز القرآن؟ نقول فى الجواب الذى تحقّق عندنا أنّ وجوه إعجاز القرآن كثيرة: (١) منها أسلوبه البديع؛ لأن العرب (الأدباء منهم) كان لهم ميادين يركضون فيها جواد البلاغة، ويحرزون كرة السبق من أقرانهم، وتلك الميادين هى قصائدهم، وخُطبهم، ورسائلهم، ومحاوراتهم، ولايعرفون أسلوبًا مخالفًا عن وضع هذه الميادين الأربعة، ولم يكونوا قادرين على إبداع أسلوب غير أسلوب هذه الأربعة، فإبداع أسلوب غير الأساليب المعروفة عندهم بلسان النبىّ ﷺ النبى الأمّى عين إعجاز القرآن.

(٢) ومنها الإخبار عن قِصَص وأحكام الملل السابقة من غير تعلّم وقراءة على وجه يصدّق الكتب السابقة.

(٣) ومنها الإخبار بالوقائع والأحوال الآتية، فكل ما وجد من تلك الوقائع طبقَ إخباره ﷺ فكأنّه ظهر إعجاز جديد.

(٤) ومنها كون القرآن مشتملا على أعلى مرتبة البلاغة الخارجة عن طوق البشر، ربما جئنا نحن بعد العرب الأول لا نستطيع أن ندرك كنهها، ولا كن نعلم أن ما يوجد فى القرآن استعمال كلمات عذبة وتركيبات جزلة مع اللذة وعدم التكلّف لا نجدها فى قصيدة من قصائد المتقدمين والمتأخرين، وهذا أمر ذوقى يعرفه الحذّاق من الشعراء، وليس هذا الذوق عند العوامّ.

(٥) ومنها أنا نعلم أيضًا أن فى كل نوع من أنواع التذكير (التذكير بآلاء الله، وبأيّام الله وبالموت وما بعده) وفى المخاصمة مع الفرق الضالّة ألبس الله معانى كلّ واحد منها فى موضعه لباسًا غير لباس الآخر، ولأسلوب كل سورة لذّة على حدة، وحلاوةٌ مستقلة يكون تطاول اليد إلى ذيلها أقصر، ومن لم يدرك هذا السرّ فليتأمل فى أسلوب قِصَص الأنبياء الواردة فى "سورة الأعراف" و"سورة هود" و"سورة الشعراء" ثم يطالع تلك القِصَص فى "الصافّات" وفى "الذاريات" ليظهر الفرق بين الأساليب، وهكذا ذكر تعذيب العصاة وإنعام المطيعين جاء فى كل موضع بلون آخر، وكذلك مخاصمة أهل النار بعضهم بعضًا جاءت بأساليب مختلفة. وفى كل موضع بألوان متنوعة، والكلام على هذا يطول (فنكتفى بذلك).

(٦) وكذلك نعلم أن رعاية مقتضى المقام (الذى تفصيله) فى علم المعانى واعتبار الاستعارات والكنايات التى تكفّل بيانها علم البيان مع رعاية حال المخاطبين الأميّين الذين هم غافلون عن هذه الصناعات لا يمكن رعايتها واستعمالها أحسن مما فى القرآن العظيم؛ لأن المطلوب هنا إبراز نكتة تفهمها العامة وتحبّها الخاصّة فى خطابات معروفة ومأنوسة لكل أحد، وهذا المعنى كالجمع بين النقيضين (لأن فهم العامّة يقتضى محبتها، ومحبّة الخاصة تقتضى عدم محبة العامّة إياها، ولهذا قال: كالجمع بين النقيضين، ولم يقل: جمع بين النقيضين، وعلى كل تقدير فرعاية النقيضين أو الضدّين خارج عن قدرة البشر دون قدرة الله تعالى).

(٧) ومنها ما لا يتيسّر فهمه إلا للمتدبّرين فى أسرار الشرائع، وهو أن العلوم الخمسة نفسها دلائل على أن القرآن نازل من الله لهداية بنى آدم، كما أن عالم الطبّ إذا طالع كتاب "القانون" لابن سينا ورأى تعمّقه فى بيان أسباب الأمراض وعلاماتها، والأدوية وأنواعها لا يشك أن مؤلف هذا الكتاب كان عالمًا كاملا فى صناعة الطبّ، وهكذا عالم أسرار الدين والشرائع يعلم أىّ شىء ألقى إلى أفراد البشر لتهذيب نفوسهم، وبأىّ شىء يهذّب نفوسهم، ثم يتأمل فى الفنون (العلوم) الخمسة، يدرك يقينًا أن تلك الفنون (العلوم) الخمسة وقعت فى أداء معانيها على

وجه لا يتصور أحسن منه.

جاءت الشمس دليلا على وجودها   لو تريد دليلا لا تغفل عن نورها

الباب الرابع فى بيان أنواع كتب التفسير باعتبار موضوعاتها، وذكر بعض اللطائف وذكر شىء من والعلوم الوهبية

وينبغى أن يعلم أن المفسّرين لهم طوائف متفرقة باعتبار تفاوت مباحثهم واختلاف أساليبهم:

(١) منهم من تصدّى رواية آثار مناسبة بالآيات، سواء كانت تلك الآثار أحاديث مرفوعةً أو آثارًا موقوفةً أو أقوال التابعين أو أخبارًا إسرائيلية. وهذا دأب المحدّثين من المفسّرين.

(٢) ومنهم من جعل شغله تأويل آيات الصّفات والأسماء، فما وجد هؤلاء من الآيات ما لا يوافق مذهب التنزيه (مذهب الأشاعرة) صرفوها من ظاهرها، وأجابوا عن تمسّك بعض المخالفين ببعض الآيات وردّوا أدلتهم، وهذه طريقة المتكلمين منهم.

(٣) ومنهم قوم استنبطوا الأحكام الفقهية ورجّحوا بعض الأحكام الاجتهادية على بعض، وأجابوا عن تمسكات المخالفين، وهذا دأب الفقهاء الأصوليين منهم.

(٤) ومنهم من تكلّم عن نحو القرآن ولغته، ويتوفّرون من شواهد كلام العرب فى كل باب، وهذا وضع النحاة واللغويين منهم.

(٥) ومنهم من يذكر نكات علم المعانى والبيان بأكمل البيان، ويؤدّى حق الكلام، وهذه طريقة الأدباء البلاغيين منهم.

(٦) ومنهم من يروى قراءات القرآن المروية عن الشيوخ والأساتذة ولايألون جهدهم فى هذا المجال، وهذه صفة القراء المفسّرين.

(٧) ومنهم من يبحث بأدنى مناسبة فى نكات متعلّقة بعلم السلوك أو علم الحقائق (علم يعرف به رذائل النفس وفضائلها)، وهذا دأب الصوفية منهم.

وبالجملة المجال واسع، وإرادة كل مفسّر مسلم متعلّقة بتفهيم معانی کلام الله تعالى، وكلّ خاض فى فنّ، وتكلّم على قدر قوّة فصاحته وفهمه، وراعى مذهب أصحابه (وأهل بلده) فمن هذا الوجه صار علم التفسير فنّا واسعًا لا يمكن إحاطته بالبيان، حتى ظهرت كتب كثيرة فى التفسير لا يمكن إحصاءها.

(٨) وأرادت جماعة جمعَ هذه العلوم السبعة فى مُصنّف، فألف بعضهم بالفارسية وبعضهم بالعربية (كُتُبًا مطنبةً وموجزةً).

واختلفوا فى الإيجاز والإطناب، وجعلوا ذيل علم التفسير أوسع، وبحمد الله وتوفيقه قد حصل لهذا الفقير (ولى الله) مناسبة فى كل فنّ من هذه الفنون، فحصل لى أكثر أصولها وجملةٌ صالحة من فروعها، وتحقق لى نوع من الاستقلال والتحقيق فى كل باب على وجه يشبه الاجتهاد فى المذهب (يعنى غير خارج عن جادة المفسّرين) واثنان بل ثلاثة فنون آخر من فن التفسير صُبّت على قلبى من بحر الفيض الإلهى، وإن سألتَنى صادقًا فأنا تلميذ القرآن الكريم من غير واسطة، كما أنى كأويس بن عامر القرنى فى الأخذ عن روح النبى ﷺ وكما أنّى مستفيد بلاواسطة عن الكعبة الحسنى، وكذلك أنّى متأثر بالصلاة العظمى بلا واسطة.

ولو أن لى فى كلّ منبت شعرة لسانًا لما استوفيت واجبَ حمده

فكان علىّ كاللازم أن أكتب فى هذه الرسالة حرفين أو ثلاثة فى فن التفسير.

بيان الآثار المروية فى كتب التفسير الّتى ألّفها علماء الحديث وما يتعلق به

١- ومن جملة الآثار المروية فى كتب التفسير بيان سبب النزول، وسبب النزول على نوعين: الأول: أنه وقعت حادثة كان فيها إيمان المؤمنين ونفاق المنافقين موردًا للامتحان، كما اتفق ذلك فى الأحد والأحزاب، فأنزل الله تعالى مدح المؤمنين وذمّ المنافقين؛ ليكون فصلا وقضاءً بين الفريقين، وفى الوسط وقعت تعريضات كثيرة لخصوصيات هذه الحادثة، فلازم على المفسّر أن يشرح تلك الحادثة بكلام موجز، ليتجلّى غرض وضع الكلام وسوقه على القارئ.

والثانى أنّ معنى الآية تام وكامل بعمومه من غير الحاجة إلى العلم بالحادثة

التى صارت سببًا للنزول، والمعتبر فى الحكم هو المفهوم من عموم اللفظ دون خصوص السبب.

والمفسّرون القدماء كانوا يذكرون القصة لإحاطة الآثار المناسبة بالآية أو لقصد بيان ما صدق عليه عموم الآية، وإلا لم يكن ذكرها ضروريًا، وقد حقّق عند هذا الفقير (المصنّف) أن الصحابة والتابعين ربما يقولون: "نزلت الآية فى كذا" وكان غرضهم منه بيان ما صدقت عليه الآية، وذكر بعض الحوادث التى شملتها الآية بعمومها، سواء كان ذكر تلك القصة (الحادثة) متقدمًا أو متأخرًا، وسواء كانت إسرائيليةً أو جاهليةً أو إسلامية، دلّت على جميع قيودات الآية أو على بعضها -والله أعلم-.

فعلم من هذا التحقيق أن للاجتهاد دخلا فى هذا النوع من سبب النزول وللقِصَص المتعددة سعةً، فإن حفظ المفسّر هذه النكتة يستطيع بأدنى جهد حلّ مختلفات أسباب النزول.

٢- ومن جملة تلك الآثار ما يتعلّق بتفصيل الأحكام الفقهية التى تصدّى القرآن العظيم لذكر أصلها، ثمّ يذكر المفسّر الآثار المتعلّقة بالقصّة إمّا من أخبار بنى إسرائيل، وإمّا من علم السير بجميع خصوصياتها، وفيه (فى ذكر تلك الآثار) أيضًا لا بد من التفصيل، فما وقع عليه التعريض فى الآية ظاهرًا بحيث لو تفكّر هنا العارف باللغة وتفحّص يتنبّه عليه لا بدّ للمفسّر من ذكره والتصريح بمدلول هذا التعريض، وما يكون خارجًا عن هذا الباب (عمّا تعرض عليه القرآن) كذكر بقرة بنى إسرائيل هل كان مذكّرًا أو مؤنثًا؟ ومثل بيان كلب أصحاب الكهف هل كان أبقع أو أحمر؟ فهو قسم ما لا يُعنى، وأصحاب الرسول ﷺ كانوا يعدّون مثل هذا السؤال قبيحًا، ومن قبيل تضييع الأوقات.

(٣) هنا نكتتان لا بد من علمهما: وفى هذا المقام أيضًا نكتتان لا بد أن يحفظهما المفسّر: (١) الأولى: أن الأصل فى باب أسباب النزول إيراد القِصَص المسموعة من غير تصرّف عقلى، ولكن جمعٌ من المفسّرين القدماء يجعلون ذلك التعريض أمامهم وقدوة لهم، ثمّ يفرضون له محملا مناسبًا، ثم يبيّنونه فى صورة الاحتمال

(كأنّ لفظ الآية يحتمله) فيقع المتأخرون منه فى شبهة، وبما أن أساليب البيان الكلامى (البرهانى) لم يكن منقحًا فكثيرًا ما يشتبه ويختلط التقرير الاحتمالى بالتقرير الكلامى الجزمى، فيأخذون أحدهما مقام الآخر، وهذا (كون البيان احتماليًا أو جزميًا) أمر اجتهادى فللعقل فيه مجالٌ وسعةٌ، وعنان (قيل ويقال) فى هذا الباب مفتوح، ومن حفظَ هذه النكتة يحكم فى كثير من مواضع اختلاف المفسّرين حكمًا فصلا، وقضاءً قاطعًا، ويقدر أن يعلم فى كثير من مناظرات الصحابة أن الكلام الصادر حين المناظرة ليس قولا فصلا، بل هو تفتيش وتحقيق علمى يذكره بعض المجتهدين أو غيرهم فى أثناء البيان.

وعلى هذا المحمل (التحقيق العلمى) يحمل هذا الفقير (المصنف) قول ابن عباس رضـ فى الآية: ﴿فامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ "لا أجد فى كتاب الله إلا المسح (فى قراءة الجرّ) لكنهم أبوا إلا الغسل) فما يفهمه هذا الفقير (المصنف) أن هذا القول ليس فيه ذهاب إلى وجود المسح وجوازه، ولا إلى حمل الآية جزمًا على ركنية المسح، فالثابت عند ابن عباس هو غسل الرجلين (دون المسح) لكن ابن عباس يورد إشكالا ويظهر احتمالا، ليرى أن علماء العصر كيف يطبّقون (ويدفعون) هذا التعارض (تعارض الغسل والمسح) وبأىّ طريق يسلكون، وإلى أية جادّة ينتخبون؟

فبعض من لا اطلاع لهم على حقيقة الأوضاع اليومية العلمية للسلف لم يعلموا مراد قول ابن عباس وجعلوه مذهبًا له، حاشا ثم حاشا أن يكون مذهبًا له.

(٢) والنكتة الثانية: أنّ المنقول عن بنى إسرائيل دخل فى ديننا بعد ما تقررت هذه القاعدة (لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم)[١]، فلزم منه أمران:

---

(١) وإنما وضعت هذه القاعدة بالنسبة إلى تفسير التوراة والإنجيل والرواية عن كتبهم الدينية.

عن أبى هريرة قال: كان أهل الكتاب (اليهود) يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم». (صحيح البخارى ج ٢ : ١١٢٥، طبع باكستان)

(١) الأول: إذا وجد لتعريض القرآن بيان فى السنة النبوية ﷺ فلا يصح ارتكاب النقل عن أهل الكتاب (بلا ضرورة) كما فى هذه الآية مثلا ﴿ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسدًا ثم أناب﴾ فإنّ محمل الآية (وبيان تعريضها) توجد فى السنة النبوية، وهو قصّة ترك "إن شاء الله" (فى طواف سليمان الليلة على نساءه) والمؤاخذة عليه، فما الحاجة إلى ارتكاب ذكر قصّة صخر المارد (وصخر علم للشيطان)[٢]، وإرادة الشيطان بالجسد كما فعل البخارى فى كتاب الأنبياء من "صحيحه" (ج١: ٤٨٦).

(٢) وثانيًا: لا بد من رعاية هذه القاعدة (الضرورى يقدّر بقدر الضرورة) فلابد من الكلام والبيان على قدر اقتضاء التعريض وضرورة بيانه، ليُعلمَ ويُصدّق ذلك التعريض بشهادة القرائن ويمسك المفسّر لسانه عن الزيادة.

(٣) وهنا نكتة (ثالثة) لطيفة غاية اللطافة، فلا بد من علمها أيضًا، وهى أن القرآن العظيم قد يأتى بقصّة فى موضع بالإجمال، ثمّ تأتى تلك القصة فى موضع آخر بالتفصيل (١) كما قال تعالى فى جواب الملائكة أولا: ﴿إنّى أعلم ما لاتعلمون﴾ ثم فصّله وقال: ﴿ألم أقل لكم إنّى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ هذه المقولة (الجواب الثانى) هو المقولة الأولى (الجواب الأول) إلا أن فيها نوعًا من التفصيل (٢) وكما أن فى سورة مريم ذكر الله تعالى قصة عيسى إجمالا، حيث قال: ﴿ولنجعله آية للناس ورحمة منّا وكان أمرًا مقضيّا﴾ وذكرها فى آل عمران تفصيلا، حيث قال: ﴿ورسولا إلى بنى إسرائيل أنّى قد جئتكم بآية من ربكم﴾ فكانت البشارة فى الآية الأولى إجمالا، وفى الآية الثانية تفصيلا.

فاستنبط العبد الضعيف (صاحب الفوز) من هنا أن معنى الآية ﴿ورسولا إلى بنى إسرائيل﴾ مخبرًا بأنّى قد جئتكم، وهذا داخل فى حيّز البشارة (أى تحتها) وليس (بأنّى) متعلّقًا بمحذوف كما أشار إليه السيوطى، حيث قال: "﴿فلمّا بعثه الله

(٢) راجع روح المعانى (ج ٢٣: ١٩٩).

قال إنى رسول الله إليكم بأنى قد جئتكم﴾ (فجعل السيوطى جملة "إنى رسول الله إليكم" محذوفةً) -والله أعلم- .

(٣) ومن جملة تلك الآثار ما يتعلق بشرح غريب القرآن، وبناء شرح الغريب هو تتبّع لغة العرب مع التفطن بسياق الآية وسباقها، والعلم بمناسبة اللفظ (الغريب) بأجزاء الجملة (التى وقع الغريب فيها) فهنا أيضًا للعقل مدخل وللاختلاف إمكان، فإن لكلمة واحدة فى لغة العرب قد تكون معانٍ شتّى، والعقول مختلفة فى تتبع استعمالات العرب، وتفطن المناسبة بالسابق واللاحق أيضًا يختلف فيه العقول والأفهام، ومن أجل ذلك اختلف أقوال الصحابة والتابعين فى هذا الباب (شرح غريب القرآن) واختار كلّ طريقًا غير طريق الآخر .

مايلزم على المفسّر المنصف: ولا بد للمفسّر المنصف أن يتفكّر فى شرح كل غريب مرّتين: أولا فى موارد استعمال العرب تلك الكلمة الغريبة ليظهر له الوجه الأقوى والأرجح، وثانيًا فى المناسبة بين السابق واللاحق؛ ليعلم أىّ وجه أولى وأوقع فى الذهن، وإنما يمكن هذا بعد إحكام المقدمات (الضرورية) وبعد تتبع موارد الاستعمال وتفحّص الآثار .

الاستنباطات الخاصّة للإمام ولى اللهؒ

ولهذا الفقير (المصنف) استنباطات جديدة لا يخفى لطفها ودقّتها، إلا على عديم الإنصاف وغليظ الطبع .

(١) الأول: فى قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى﴾ فإنه حمل (القصاص) على التكافؤ والمساواة فى القتل وشركة بعضهم (القاتلين) بعضًا (المقتولين) فى الحكم (وجوب القتل) لئلا يحتاج إلى التكلف والقول بمنسوخية (الأنثى بالأنثى) بقوله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس﴾ (وليس المراد من (القصاص) المساواة فى الحرية والعبدية وفى الذكورة والأنوثة حتى يرد عليه الإشكال، واحتيج إلى القول بالنسخ) ولايرتكب المفسّر توجيهات تضمحل بأدنى التفات .

(٢) والثانى : فى قوله تعالى : ﴿يسئلونك عن الأهلة﴾ حمل (الأهلّة) على الأشهر يعنى يسئلونك عن أشهر الحج ، فقل : هى مواقيت للناس والحج (ولا يسئلونك عن تغيّر أشكال القمر فى غرّة الشهر وآخره) .

(٣) والثالث : فى قوله تعالى : ﴿هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ أى فى أوّل جمع الجنود (فإنّ (الحشر) بمعنى الجمع ؛ لقوله تعالى : ﴿وابعث فى المدائن حاشرين﴾ (أى الذين يجمعون الناس) ولقوله تعالى : ﴿وحُشِر لسليمان جنوده﴾ وهذا (إرادة الجمع من الحشر) أوفق بقصّة بنى النضير (الذين وردت فيهم الآية) وأقوى فى بيان المنّة على المؤمنين .

٤- ومنها ما يتعلق بالناسخ والمنسوخ (وقد مرّ هذا البحث تفصيلا فما أدرى لما ذا أعاده المصنف هنا ، نعم لعلّه باعتبار الآثار الواردة فيه) ولا بد هنا من معرفة نكتتين : الأولى أن الصحابة والتابعين كانوا يستعملون النسخ فى غير المعنى المصطلح عند الأصوليين (وهو رفع حكم شرعى متقدم بدليل شرعى متأخر) فمعنى النسخ عندهم قريب بالمعنى اللغوى منه ، وهو الإزالة ، فمعناه عندهم هو إزالة بعض أوصاف الآية المتقدمة بالآية المتأخرة ، سواء كان ذلك الإزالة بانتهاء مدة العمل ، أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر ، أو ببيان أهمية قيد ، أو بتخصيص عامّ ، أو ببيان الفارق بين المنصوص وما قِيس عليه ظاهرًا ، أو بأمثالها .

وهذا باب واسع ، فللعقل فيه مجال ، وللاختلاف فيه سعة ، ولهذا بلّغ المتقدمون عدد الآيات المنسوخة إلى خمس مائة ، والأصل فى النسخ الاصطلاحى هو معرفة تاريخ ورود الناسخ والمنسوخ ، ولكن قد يجعلون إجماع السلف الصالحين واتفاق العلماء علامة للنسخ ، ويقولون به ، وكثير من الفقهاء يرتكبون النسخ (متمسّكين بالإجماع أو اتفاق العلماء) مع إمكان أن يكون ما صدق عليه الإجماع غير ما صدقت عليه الآية ، وبالجملة فالآثار التى بناء النسخ عليها فيها غمر كثير يصعب الوصول إلى غورها وقعرها .

وللمحدّثين روايات خارجة عن هذه الأقسام (المذكورة من بيان أسباب

النزول، وشرح الغريب، ومعرفة الناسخ والمنسوخ) يذكرونها فى كتبهم ومروياتهم (١) مثل مناظرة الصحابة (فى بعض المسائل والموضوعات) والاستشهاد بآية، أو تمثيلهم بآية (٢) وتلاوة النبى ﷺ آيةً بطريق الاستشهاد فى قضية (٣) ورواية حديث يوافق الآية فى أصل المعنى (٤) وبيان طريق التلفّظ إذا كان منقولا عنه ﷺ أو من الصحابة.

بيان بقية لطائف الباب الرابع

(١) منها استنباط الأحكام من القرآن العظيم، وهذا الباب واسع غاية الوسعة، وللعقل فيه مجال واسع فى الاطلاع على فحاوى الكلام وإيماءاته واقتضاءاته، ويوجد فيه اختلاف كلّى (كامل).

وقد ألهمنى الله تعالى حصر أقسام الاستنباط فى العشرة، وألهمنى ترتيب تلك الأقسام أيضًا (وقد ذكر المصنف الأقسام وحصرها وترتيبها فى مقالة جعلها جزاءً من (حجة الله البالغة) ولذا يقول: "وتلك المقالة ميزان عظيم لاتّزان كثير من الأحكام الاستنباطية (المستنبطة).

(٢) ومنها التوجيه (الذى مرّ تعريفه) وهو فن كثير الشعب يستخدمه الشرّاح فى شرح المتون، وبه يُختبر ذكاءهم، ويظهر لأجله تفاوت مراتبهم (فى فهم العبارات الصعبة) ومع عدم تنقيح قواعد التوجيه فى ذلك العصر قد تكلّم أصحاب رسول الله ﷺ فى توجيه مشكلات القرآن العظيم، وأكثروا من البحث فيه، وحقيقة مثال التوجيه أنه إن كان فى كلام المصنف صعوبة الفهم، يتوقف القارئ (حين المطالعة أو الدراسة أو التدريس) ويحلّ تلك الصعوبة.

وبما أن أذهان دارسى الكتب مختلفة يكون أنواع التوجيه مختلفةً، فالتوجيه بالنسبة إلى المبتدئين غير التوجيه بالنسبة إلى المنتهين، وكم من صعوبة الفهم يدركها المنتهى ويخطر بباله ويحتاج إلى حلّه، ويكون المبتدئ غافلا عنه، بل لايحطيه، فيكون إصلاح الكلام صعبًا فى ذهن المبتدئ دون المنتهى، وأمّا الذى أحاط بجوانب الأذهان (وأطراف الكلام) فينزل على حال جمهور القارئين والدارسين وعلى قدر منازلهم وعقولهم، ويتكلّم على تقادير أذهانهم.

أنواع التوجيه فى العلوم الخمسة: (١) فالتوجيه الوجيه فى آيات المخاصمة والجدال مع الفِرَق الضالّة هو إثبات تحريم مذاهبهم وعقائدهم وتنقيح وجوه ودلائل إلزامهم.

(٢) وفى آيات الأحكام فالتوجيه الصحيح هو بيان صور المسائل، وذكر فوائد القيود المعتبرة من كونها احترازية أو غيرها.

(٣) وفى آيات التذكير بآلاء الله هو بيان أنواع نعم الله تعالى وبيان مواضعها الجزئية (المعينة).

(٤) وفى آيات التذكير بأيّام الله تعالى بيان ترتيب بعض القِصَص، مع بعض، وإيفاء حقّ التعريض الذى أشار إليه تعالى فى سرد القِصَص وإيرادها متعاقبةً.

(٥) وفى التذكير بالموت وما بعده بيان الصور الآتية وتقريب الأحوال المستقبلة بعد الموت.

نوع آخر من التوجيه: ومن فنون التوجيه (١) تقريب البعيد عن الفهم بسبب عدم الألفة والأنس به (بجعله مألوفًا ومأنوسًا).

(٢) ومنها قطع المعارضة بين الدليلين، أو بين التعريضين، أو بين المعقول والمنقول.

(٣) ومنها بيان الفرق بين الملتبسين (المختلطين).

(٤) ومنها التطبيق بين المختلفين.

(٥) ومنها بيان الوعدة التى أشيرت إليها فى النص.

(٦) وبيان طريقة عمل النبى ﷺ بما أمر به فى القرآن.

والحاصل أن أمثلة التوجيه فى تفسير الصحابة كثيرة، ولا يمكن أداء حق بيان التوجيه إلا بعد استيعاب الأمور الآتية: بيان وجه الصعوبة تفصيلا، ثم الكلام فى طريق حلّ تلك الصعوبة بالبسط، ثم مقارنة الأقوال الواردة فى حلّها، واتّزان تلك الأقوال.

مذهب الإمام ولى الله فى المتشابهات: وليس مذهبى الغلوّ فى تأويل المتشابهات وبيان حقائق الصفات الإلهية، كما يفعله غلاة المتكلمين، ومذهبى هو مذهب مالك والثورى وابن المبارك، وسائر القدماء، وهو أن الأمر فى المتشابهات هو الإيمان بظواهرها، وترك الخوض فى تأويلها.

ولا يصح عندى النزاع فى الأحكام المستنبطة، ثم إحكام مذهب نفسه، وإهمال دليل الآخر وطرحه، ولا الأخذ بالحيل لدفع الدلائل القرائنية، وأخاف أن هذا العمل من نوع التدارء بالقرآن (دفع الدلائل القرآنية والأخذ بغيرها) ولا بد أن يكون المؤمن طالبًا لمدلول الآيات، وأن يجعل مدلول الآيات مذهبًا له، سواء أخذ بها أحد أم لا، وسواء أخذ بها الموافق أو المخالف.

مأخذ لغة القرآن الكريم: وأمّا لغة القرآن العظيم فإنما تؤخذ من استعمالات العرب الأول ومحاوراتهم، ويُعتمد فى هذا كليّا على آثار الصحابة والتابعين.

ليس "نحو" القرآن تابعًا لأحد من النحاة: وقد وقع خلل عجيب فى "نحو" القرآن، وهو أن جماعة من النحاة اختاروا مذهب سيبويه، فما يجدون من القواعد والإعراب على خلافه يؤوّلونه، ولو كان تأويلا بعيدًا، وهذا لا يصحّ عندى (عند صاحب الفوز) بل اتباع الأقوى والأوفق بالسياق والسباق هو المذهب، سواء كان مذهب سيبويه أو مذهب الفرّاء (يا ليت لو طبّق هؤلاء النحاة قواعدهم الاجتهادية والاستقرائية على كتاب الله ما احتاجوا إلى هذه التأويلات الركيكة والتكلّفات الباردة).

وقال عثمان (الخليفة الثالث) حول إعراب قوله تعالى: ﴿والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ "ستقيمها العرب بألسنتها" وحقيقة هذه الكلمة (المقولة) عند هذا الفقير (المصنف) أن ما خالف عن الحوارات اليومية المشهورة هو أيضًا من الحوارات المعتبرة عندهم، لأن العرب الأول كانوا يقع فى أثناء خطاباتهم ومحاوراتهم كثير مما كان على خلاف قاعدة مشهورة على ألسنتهم (ولا يبالون به شيئًا) وبما أن القرآن نزل بلغة العرب الأول، فلو جاء أحيانًا الواو بدل الياء، أو المفرد فى موضع التثنية، أو المؤنث فى محل المذكر لاعجب فيه. فالمحققُ (عندى)

أن تكون ترجمة ﴿المقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ على رعاية حال الرفع -والله أعلم- .

حاجة التفسير (أو المفسّر) إلى علمى المعانى والبيان: وأمّا علم المعانى وعلم البيان فهما علمان مخترعان بعد انقراض الصحابة والتابعين (حدث جمعهما وتدوينهما بعد عهد الصحابة والتابعين) فما كان من أصولهما معروفًا ومفهومًا عند جمهور العرب فعلى الرأس والعين، وما هو مخفى لا يدركه إلا المتعمّقون من أهل الفنّ لا نسلّم أنه مطلوب فى فهم القرآن .

إشارات الصوفية وعلم التفسير: وأمّا الإشارات واعتبارات الصوفية فليس فى الحقيقة من التفسير، بل يرد على خاطر السالك (الصوفى) عند استماع القرآن شيئًا، أو يظهر شيء بين حالته وبين سماع نظم القرآن أو بين معرفته السابقة وبين إصغاءه إلى القرآن ويتولد فى قلبه شيء، كما إذا سمع أحد قصّة المجنون وليلى، فذكر معشوقته، وما جرى بينه وبينها من الأحوال .

أهمية فن الاعتبار (إشارة النص): وهنا فائدة مهمّة لا بدّ من علمها، وهى أنّ النبى ﷺ اعتبر "فنّ الاعتبار" (وهو الأخذ بإشارة النصّ عند الأصوليين) وسلك النبى ﷺ فى هذا الطريق ليكون سنّة وقدوة لعلماء الأمّة ويفتح طريقًا لعلومهم الوهبية .

(١) كما فى قوله تعالى: ﴿فأمّا من أعطى وتّقى وصدّق بالحسنى . . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فسنيسّره للعسرى﴾ فإنه ﷺ قرأ هذه الآية تمثيلا لمسألة التقدير مع أن منطوق الآية أن كلّ من يعمل هذه الأعمال الحسنة نريه طريق الجنة والنعيم، ومن جاء بضدّها نفتح له طريق العذاب والنار، ولكن يمكن أن يعلم من طريق الاعتبار (إشارة النصّ) أن الله تعالى خلق كل أحد على حالة وصفة (استعداد) ويجرى ذلك الاستعداد من حيث يدرى أو لا يدرى عليه، ويسهّل الله له العمل المناسب لتلك الحالة (خيرًا كانت أو شرّا) وبهذا الوجه ظهر ربط الآية بمسألة التقدير .

(٢) وكذا فى قوله تعالى: ﴿ونفسٍ ومّا سوّاها فألهمها فجورها وتقواها﴾ فمعنى منطوق الآية أن الله ألهم الإنسان وأطلعه على برّه وإثمه، ولكن حين خلق

الله الصورة العلمية للبرّ والإثم كانت مبهمةً إجمالية بين تلك الصورة وبين روح صاحب البرّ والإثم، فجاز بهذا الاعتبار الاستشهاد بهذه الآية فى هذه المسألة - والله أعلم- .

مفهوم الاعتبار: والمراد من الاعتبار أو العبرة لغةً هو العبور من جانب الطريق أو النهر إلى جانب آخر منه، وفى الاصطلاح : هو انتقال الذهن وعبوره من الدليل إلى المدلول (الدعوى) أو من المنصوص إلى غير المنصوص (المقيس) ومنه قوله تعالى : ﴿فاعتبروا يا أولى الأبصار﴾ وقوله : ﴿إن فى ذلك لعبرةً لأولى الأبصار﴾ وليس هذا خارجًا من طرق الاستدلال الأربعة (عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص) بل الاعتبار نوع من إشارة النص، فإذا كان بناءه على علّة فقياس، وإلا فإشارة النص) -زاد المترجم مفهوم الاعتبار تكميلا للفائدة- .

بيان أنواع غريب القرآن: ولغربب القرآن الذى له فى الأحاديث مزيد اهتمام وفضيلة خاصّة أنواع : (١) فالغريب فى فنّ التذكير بآلاء الله هى آية جامعة جملة عظيمة من صفات الله تعالى، مثل آية الكرسى، وسورة الإخلاص، وآخر سورة الحشر، وأوّل سورة المؤمن (والمراد بالغريب هنا هو العجيب ونادر المثل لجامعيته مجموعة خاصّة من المعانى ولكثرة ثواب قارئه) .

(٢) والغريب فى فنّ التذكير بأيّام الله هى آية ذكرت فيها قصّة قليل الذكر، أو ذكرت فيها قصّة معلومة بأتم تفصيل وأبسطه، أو ذكرت فيها قصّة عظيمة الفائدة، وكانت محلا لاعتبارات كثيرة، كما أشار النبى ﷺ إلى غرابة آية ذُكر فيها قصّة موسى وخضر عليهما السلام وقال : "وددنا أنّ موسى لو صبر حتى يُقصّ علينا من أمرهما" فتمنّى النبى ﷺ طول صبر موسى مع خضر ليذكر الله تعالى (له) فى القرآن قصّتهما تفصيلا .

(٣) والغريب فى فنّ التذكير بالموت وما بعده هى آية جامعة لأحوال القيامة، ولهذا جاء فى الحديث من أراد كأنّه يرى القيامة بعينيه فليقرأ سورة ﴿إذا الشّمس كُوّرت﴾ .

(٤) والغريب فى فنّ الأحكام هى آية مشتملة على بيان الحدود وتعيين مقدارها الخاص، كتعيين مائة جلدة فى حدّ الزنا، وتعيين ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار فى عدة المطلقة، وتعيين سهام المواريث.

(٥) والغريب فى فنّ المخاصمة هى (١) آية سيق الجواب فيها على نهج غريب (عجيب) يقطع شبهة الخصم بأبلغ الوجوه (٢) أو كان فيها بيان حال الفريق المخالف مقرونًا بمثل واضح (مثلهم كمثل الذى استوقدوا نارًا﴾ (٣) أو كان فيها بيان شناعة عبادة الأصنام، وذكر الفرق بين مرتبة الخالق والمخلوق والمالك والمملوك بأمثلة عجيبة (٤) أو كان فيها بيان حبط أعمال المرائين والمسمعين بأبلغ الوجوه.

الصور الأخرى لغرابة القرآن وحسن تعبيره

وليس غرابة القرآن وعجوبته محصورًا فى هذه الأنواع، بل قد يكون غرابته لاشتماله على أعلى مرتبة البلاغة فى الكلام، ويكون أسلوبه أعجب الأساليب وأجودها، كما فى سورة الرحمن، ولهذا سمّيت فى الحديث "عروس القرآن" وقديكون غرابته لأجل بيانه أحوال السعيد والشقى.

ظهر الآيات وبطنها، ومطلع الظهر والبطن فى العلوم الخمسة

وقد جاء فى الحديث النبوى «لكلّ آية منها ظهر وبطن، ولكلٍّ حدّ ولكلّ حدّ مطّلع» (رواه الطبرانى فى "الكبير" والبغوى فى "شرح السنّة") فينبغى أن يُعلم أن ظهر العلوم الخمسة (ظاهرها) وما كان مدلول الكلام ومنطوقه.

١- والبطن فى التذكير بآلاء الله هو التفكّر فى آلاء الله تعالى ونعماءه ومراقبة قضاء الله تعالى فى حق عباده.

٢- والبطن فى التذكير بأيّام الله هو معرفة مناط (منشأ) المدح والذمّ والثواب والعتاب من القِصَص الواردة فى القرآن، والعبرة منها (من تلك القِصَص).

٣- والبطن فى التذكير (بالموت) والجنة والنار ظهور الخوف والرجاء، وجعل هذه الأمور أمامه كأنها رأى العين.

٤- والبطن فى آيات الأحكام استنباط الأحكام الخفية بالفحاوى والإيماءات .

٥- والبطن فى آيات المخاصمة والمحاجة مع الفرق الضالّة معرفة أصل قبائحهم وإلحاق مثلها بها .

١- ومطلع الظهر معرفة لغة العرب والآثار المتعلقة بها فى فن التفسير .

٢- ومطلع البطن لطافة الذهن ، واستقامة الفهم مع نور الباطن والسكينة -والله أعلم- .

العلوم الوهبية فى علم التفسير: ومن العلوم الوهبية فى علم التفسير التى أشرنا إليها (١) علم تأويل قِصَص الأنبياء (عليهم السلام) وألّف الفقير (صاحب الفوز) فى هذا الفنّ رسالةً مسمّاةً بـ "تأويل الأحاديث" والمراد بالتأويل أن كلّ قصّة وقعت من أىّ نبىّ لها مبدأ من استعداد ذلك النبىّ واستعداد قومه من أجل التدبير الذى أراد الله فى ذلك الوقت .

وإلى هذا العلم أشير فى قوله تعالى : ﴿ويعلّمك من تأويل الأحاديث﴾

(٢)والثانى : علم تنقيح العلوم الخمسة التى هى منطوق القرآن العظيم ، قدمضت تفصيل هذه العلوم فى أول الرسالة ، فليرجع إليه .

(٣) والثالث : ترجمة القرآن العظيم باللغة الفارسية على أسلوب يكون مشابهًا بالنص العربى فى قدر الكلام ، والتخصيص والتعميم وغيرها ، وأثبتنا الترجمة فى "فتح الرحمن فى ترجمة القرآن" أى سمّينا ترجمتنا بهذا الاسم ، ولكن لمخافة عدم فهم القارئين عند عدم التفصيل تركنا شرط المماثلة بالنصّ العربى فى الإيجاز .

(٤) والرابع : علم خواصّ القرآن ، وتكلّم جماعة من القدماء حول خواص القرآن على وجهين : على وجه يشبه الدعاء ، وعلى وجه يشبه السحر ، استغفر الله تعالى من الوجه الثانى ، وفتح الله لهذا الفقير فى غير الخواص المنقولة (المذكورة) بابًا ووُضعَتِ الأسماء الحسنى والآيات العظمى جميعًا فى كنفى ، وقيل : هذا عطاءنا فى علم التفسير .

ولكن ترتب الأثر من كلّ آية أو اسم أو دعاء مشروط بشرط لا تسعه القاعدة ولا تحيطه، بل القاعدة فيه انتظار عالَم الغيب كما فى الاستخارة، ليظهر بأىّ آيةٍ أو اسم أو دعاء تأتى الإشارة من عالم الغيب، ثم تلاوة تلك الآية أو الاسم أو الدعاء بطريق من الطرق المعتبرة، وتمهيد مقدمة لها عند أهل هذا الفنّ، وهذا ما قصدنا إيراده فى هذه الرسالة، والحمد لله أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

علم معانى الحروف المقطعات الواردة فى القرآن

ومن العلوم التى ألقيت على وهم هذا العبد الضعيف هو حلّ معانى الحروف المقطعات فى القرآن، وهو موقوف على تمهيد مقدمة.

وهى أنه ينبغى أن يُعلم أن حروف الهجاء هى أصول كلمات العرب وعناصرها التى يتركّب كل كلمة منها، وأن لكل واحد من تلك الحروف معنًى بسيطًا لطيفًا غاية اللطافة، حتى لا يمكن التعبير عنها إلا برمز إجمالى، ومن هنا ترى كثيرًا من الحروف المتقاربة متفقةً أو متقاربةً فى المعنى، كما أن الأذكياء من أهل الأدب قالوا فى أى موضع (أية كلمة) جمع (النون) و (الفاء) تدل الكلمة على معنى (الخروج) بوجه من الوجوه، مثل (نفر، ونفث، ونفح، ونفخ، ونفق، ونفد، ونفذ) وكذا كل كلمة جمع فيها (الفاء) و (اللام) تدل على معنى (الشقّ) مثل (فلق، وفلح، وفلج، وفلذ، وفلد) ومن ثمّ يعرف الأذكياء من أهل الأدب أن العرب كثيراً مّا يتلفظ بكلمة بوجوه متعددة لتبديل حروفها بحروف متقاربة، مثل (دق) و (دكّ) و (لجّ) و(لزّ).

والحاصل أن لهذا المعنى (تقارب المعنى لتقارب الحروف) شواهد كثيرة، والمقصود هنا التنبيه فقط دون الاستيعاب، وهذا (أى تغيير المعنى وتقاربه بتبديل الحروف) كله لغة العرب، وإن لم يتوجّه العرب القحّ إلى هذا التنقيح الدقيق، ولم يدركه النحاة أيضًا.

وهذا كما أنكَ إذا سألت العربَ الخالصَ عن مفهوم الجنس وتعريفه، وعن خواص التراكيب لا يقدرون على تنقيح حقيقته، ولا على الجواب عن خواص التراكيب مع أنهم يستعملون الأجناس وتلك التراكيب، ثمّ المتعمّقون فى كلام

العرب ليسوا بطبقة واحدة فى الفهم والفطانة، بل بعضهم ألطف ذهنًا من بعض، وربما وصل فريق منهم إلى تحقيق وتنقيح مفهوم لم يبلغ الآخر إلى هذا المستوى، وهذا العلم (علم بسائط الحروف) أيضًا من لغة العرب، ولكن يد أكثر المتعمّقين قاصرة عن الوصول إلى تنقيح ذلك المفهوم (مفهوم بسائط الحروف).

المعنى الإجمالى للمقطعات الواقعة فى أوائل السور

فالحروف المقطعات فى أوائل السور أسماء لتلك السور بمعنى أن تلك الحروف تدل على معنى إجمالى يدل عليه السورة تفصيلا، وهذا مثل تسمية كتاب باسم يظهر منه حقيقة الكتاب وموضوعه عند السامع، كما أن الإمام البخارى سمّى كتابه "الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيّامه".

المعانى التفصيلية للمقطعات: فمعنى (الم) تعيّن الغيب غير المتعيّن بالنسبة إلى عالم الشهادة المتدنس؛ فإن الهمزة (أ) والهاء (ه) كلتيهما للغيب، إلا أن الهاء تدل على غيب هذا العالم، والهمزة تدل على غيب عالم المجرد (عالم الأرواح) ولأجل دلالة الهمزة على الغيب يستعمل عند الاستفهام (أ) و (أم) وعند العطف (أو) لأنّ الشيء المستفهم عنه أمر منتشر فى ذهن السائل، وهو غيب بالنسبة إلى المتعيّن، وكذلك الأمر المتردّد فيه (زيد فى الدار أو عمرو) غيب (فيستعمل له (أو) فى العطف، ويزيدون فى أول الأمر همزة لتدل (الهمزة) على أنّ فى ذهن المتكلم الأمر حدثت صورةٌ تفصيلها المادة الفلانية، واختاروا فى الضمائر (الهاء) لأن الهاء لغيب هذا العالم، وحصل له إجمال فى الجملة، فيحتاج إلى التعيين، فتناسبه الهاء.

واللام تأتى للتعيين، ولهذا تزاد اللام عند التعريف.

وأمّا الميم فتجتمع الشفتان عند التلفظ بها، وتدل على الهيولى المتدنسة التى اجتمعت فيها حقائق شتى، وتقيّدت بها، وسقطت عن الفضاء المجرد إلى محبس التقيّد والتحيّز.

(١) فـ "الم" كناية عن الفيض المجرّد الذى تقيّد فى عالم التحيّز، وتعيّن حسب عادات الناس وعلومهم، وقابل قساوةَ قلوبهم بالتذكير، وأقوالهم الفاسدة

وأعمالهم الكاسدة بالمحاجة، وصادم تحديد البرّ والإثم، وتمام السورة شرح وبيان لما يدل عليه (الم).

و (الر) مثل (الم) إلا أن الراء تدل على التردد، يعنى على غيب تعيّن بالتدنس مرّة بعد أخرى ثم تعيّن.

(٢) وكذلك الميم مع الراء مثل (المر) إشارة إلى غيب تعيّن وتدنّس مرّة بعد أخرى، وهذا (المر) كناية عن علوم مصادمة بقبائح بنى آدم مصادمة بعد مصادمة، وهذا صادق بقِصَص الأنبياء ومقالاتهم مرّة بعد أخرى، وبالسؤال والجواب المكرر.

(٣) والصاد والطاء عبارتان عن حركة الارتفاع من عالم التدنس إلى العالم المتعالى، إلا أن الطاء تدل على التعظيم والفخامة مع تلوّث ذلك المتحرك وتدنسه، وتدل الصاد على الصفاء واللطافة.

(٤) والسين تدل على سريان ذلك الصفاء وتلاشيه وانتشاره فى جميع الآفاق.

فـ طه عبارة عن منازل الأنبياء التى هى آثار توجههم إلى العالم العلوى، بحيث تتكون لهم صورة غيبية فى هذا العالم بالبيان الإجمالى والذكر فى الكتب وأمثالهما.

(٥) وطسم عبارة عن منازل الأنبياء التى هى آثار حركاتهم الفوقانية فسارت فى العالم المتدنس وتتلاشى فى الآفاق.

(٦) والحاء هى الهاء التى ذُكر معناها إلا أنه إذا كان فى المعنى شعاع وظهور وتمييز يعبّر عنه بالحاء.

فمعنى حم هو الإجمال النورانى المتشعشع الذى اتصل بخصائص عالم متدنس من العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة، فـ(حم) كناية عن ردّ أقوال الكفرة وظهور الحق لأجل شبهاتهم ومنافراتهم وعاداتهم.

(٧) والعين تدل على الظهور النورانى وتعيّنه.

(٨) والقاف مثل الميم فى الدلالة على هذا العالم، ولكن فى القاف الدلالة

لأجل الشدّة والقوّة، وفى الميم لأجل اجتماع الصور وتراكمها.

ف(عسق) معناه صار الحق متشعشعًا ساريًا فى العالم المتدنس.

(٩) والنون عبارة عن نور أضاء فى الظلمة وسرى وانتشر، كحالة تكون عند الصبح الصادق أو قريبًا من غروب الشمس أو نحوه، إلا أن النورانية فى الياء أقلّ من النون، وكذا التعيين فى الياء أقلّ من الهاء.

(١٠) فـ "يس": كناية عن معانٍ تنتشر فى العالم.

(١١) وص: عبارة عن هيئة تتولد عند توجّه الأنبياء إلى ربّهم جبلةً وكسبًا.

(١٢) وق: عبارة عن قوّة وشدّة وكراهية تتعين فى هذا العالم، كما إذا قال: هدفى وقصدى هذه الهيئة التى حدثت لأجل الكسر والمصادمة.

(١٣) وك مثل القاف إلا أن معنى القوّة فى القاف أقل مما يفهم من الكاف.

(١٤) فمعنى كهيعص هو عالم متدنّس ظلمانى تعيّن فيه علوم متنوّرة وغير متنوّرة عند قرب الرجوع إلى الرب الأعلى.

وبالجملة قد أفهمنى الله تعالى معانى هذه الكلمات بطريق ذوقى، ولا يمكن تقرير تلك المعانى الإجمالية بغير هذه الكلمات الموجزة المحرّرة، وإن لم تكن هذه الكلمات وافية بكنه تلك المعانى، بل هى متباينة من وجه دون وجه -والله أعلم بالصواب-.

انتهت الترجمة من الفارسية إلى العربية فى الليلة السابعة من شهر مولد النبى ﷺ سنة ١٤٢٦ للهجرة.

وكتبه محمد أنور البدخشانى

فى منزله بكراتشى

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس فى شرح غريب القرآن وأسباب نزوله

الحمد لله الذى أنزل القرآن شفاءً ورحمةً للمؤمنين، وألهم الصحابة والتابعين وسائر علماء الدين أن يعتنوا بتفسير غرائبه وبيان أسباب نزوله، لتتم النعمة وتكمل الرحمة وتتضح معالم اليقين، وصلى الله تعالى على سيّدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان أجمعين.

أمّا بعد: فيقول العبد الضعيف ولى الله بن عبد الرحيم عاملهما الله بفضله العظيم: هذه جملة من شرح غريب القرآن من حَبر هذه الأمة عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما من طريق ابن أبى طلحة رضى الله عنه، وأكملتها بطريق الضحّاك عنه، كما فعل ذلك شيخ المشايخ الإمام الجليل جلال الدين السيوطى فى كتابه "الإتقان" أعلى الله درجته فى الجنان، ورأيت بعض الغرائب بقى غير مفسّر فى تلك الفريقين، فأكملتها بطريق أسئلة نافع ابن الأزرق عنه (ابن عباس) وبما ذكره البخارى فى "صحيحه" فإنه أصح ما يُروى فى هذا الباب، ثمّ بغير ذلك مما ذكره الثقات من أهل النقل، وقليل ما هم.

وجمعت مع ذلك ما يحتاج إليه المفسّر من أسباب النزول منتخبًا له من أصح تفاسير المحدثين الكرام أعنى تفسير البخارى والترمذى والحاكم أعلى الله منازلهم فى دار السّلام، فجاءت بحمد الله رسالةً مفيدةً فى بابها عُدّةً نافعةً لمن أراد أن يقتحم فى عبابها، وسمّيتها "فتح الخبير فيما لا بد من حفظه فى علم التفسير" الحمد لله أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

سورة الفاتحة وغرائبها

﴿الحمد لله﴾ الشكر لله ﴿رب العالمين﴾ مالك المخلوقات كلّها ﴿الرحمن الرحيم﴾ اسمان من الرحمة ﴿مالك يوم الدين﴾ قاضي يوم الجزاء ﴿إيّاك نعبد﴾ نخصّك ونقصدك (بالعبادة) ﴿وإيّاك نستعين﴾ نسألك بطلب المعونة ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ كتاب الله، وقيل: رسول الله ﷺ وصاحباه (أبو بكر وعمر) ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بالهداية، وهم الأنبياء (والصدّيقون والشهداء) والصلحاء ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالّين﴾ وهم قوم موسى وعيسى بعد أن غيّروا نعم الله عزّ وجلّ، قال رسول الله ﷺ: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال».

غرائب سورة البقرة وسبب نزول بعض آياتها

﴿لا ريب فيه﴾ لا شكّ فيه ﴿للمتقين﴾ للمؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتي ﴿يؤمنون بالغيب﴾ يصدّقون ﴿ويقيمون الصلاة﴾ يتمّون الركوع والسجود، والتلاوة والخشوع، والإقبال عليها فيها، أو يديمونها، ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ طبع الله عليها.

﴿ومن الناس من يقول﴾ نزلت في المنافقين، أظهروا كلمة الإيمان في الكفر، فنفى الله عنهم الإيمان بقوله: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ ﴿يخادعون الله﴾ بإظهار غير ما هم عليه ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان ﴿في قلوبهم مرض﴾ نفاق وشكّ ﴿عذاب أليم﴾ نكال موجع ﴿يكذبون﴾ يبدّلون ويحرّفون ﴿وإذا خلوا﴾ انصرفوا ﴿إلى شياطينهم﴾ كبراءهم ﴿السفهاء﴾ الجهّال ﴿في طغيانهم﴾ كفرهم ﴿يعمهون﴾ يتمادّون، وقيل: يلعبون ويتردّدون.

﴿وقودها الناس والحجارة﴾ حجارة من كبريت خلقها الله عنده كيف شاء ﴿وأوتوا به متشابهًا﴾ يشبه بعضه بعضًا ويختلف في الطعم، وذلك أغلب في باب الإعجاب ﴿خالدون﴾ باقون، لا يخرجون منها ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ قد كان في الأرض قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام بنو الجانّ فأفسدوا في الأرض،

فبعث الله جنوداً من الملائكة ، فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحر ، فقالت الملائكة : ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ كما فعل الجنّ ﴿ونقدّس لك﴾ التقديس التطهير ﴿رغداً﴾ واسعًا ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ لاتخلطوا الحق بالباطل ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يضرّون ﴿وقولوا حِطّة﴾ قيل لبنى إسرائيل : قولو حطة . قالوا : حبّة فى شعرة ﴿وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى﴾ المنّ الصمغة والسلوى الطير ﴿وفى ذلكم بلاء من ربكم﴾ نعمة ﴿إلى بارئكم﴾ خالقكم ﴿خاسئين﴾ ذليلين ﴿فباءوا﴾ انقلبوا ﴿نكالا﴾ عقوبةً ﴿ما بين يديها﴾ من بعدهم ﴿وما خلفها﴾ الذين بقوا معهم ﴿وموعظة﴾ تذكرةً ﴿لا فارض﴾ الهرمة ﴿عوان﴾ النصف بين البكر والهرمة ﴿فاقع﴾ صافٍ ﴿لاذلول﴾ لم يذلّها العمل ﴿تثير الأرض﴾ لا تعمل الحرث ولا تسقيه ﴿مسلّمة﴾ من العيوب ﴿لا شية﴾ لا بياض ﴿فادّارأتم فيها﴾ فاختلفتم ﴿بما فتح الله عليكم﴾ بما أكرمكم به ﴿بروح القدس﴾ الاسم الذى كان عيسى -عليه السلام- يحيى به الموتى .

﴿يستفتحون على الذين كفروا﴾ يستنصرون عليهم ، كانت يهود خيبر تقاتل غطفان ، فانهزمت اليهود ، ثمّ فازوا بهذا الدعاء "اللهم إنا نسألك بحق محمد النبى الأمّى الذى وعدته أن تخرجه لنا فى آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم . فهزموا غطفان" .

﴿إلا أمانىّ﴾ الأحاديث ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ فى غطاء ﴿بئس ما شروا به أنفسهم﴾ باعوا نصيبهم من الآخرة بطمع اليسير من الدنيا ﴿يودّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة﴾ وكان قول الأعاجم إذا عَطِس أحدهم "هزار سال بزى (عش ألف سنة) وعش ألف سنة من النيروز والمهرجان .

﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ من الرعونة ، إذا أرادوا أن يحمّقوا إنسانًا قالوا : راعنا (أحمقنا) ﴿ما ننسخ من آية﴾ نبدلّ ﴿أو ننسِها﴾ نتركها فلانبدّلها ﴿قانتون﴾ مطيعون ، وقيل : مقرّون ﴿فثمّ وجه الله﴾ نزلت فى التطوع على الدابة ، وقيل : فى تحرى القبلة فى الليلة المظلمة ﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات﴾ ابتلاه بطهارة خمس فى الرأس وخمس فى الجسد ، وهى خصال الفطرة

﴿مثابةً وأمنًا﴾ يثوبون إليه أى يرجعون ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾ أساس البيت ﴿قل بل ملة إبراهيم حنيفًا﴾ محاجًا ﴿ومن أحسن من الله صبغةً﴾ دينًا ﴿أتحاجّوننا فى الله﴾ أتخاصموننا ﴿فولّوا وجوهكم شطره﴾ نحوه صلّى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدّس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن يكون قبلته قِبَل البيت، فحوّلت القبلة، وكان رجال ماتوا قبل أن تحوّل القبلة ولم يدروا ما يقولون فيهم، فأنزل الله تعالى ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ صلاتكم ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ قال رسول الله ﷺ: يدعى بنوح فيقال: هل بلّغتَ؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقولون: "ما أتانا من نذير" فيقال (لنوح): من شهودك؟ فيقول: محمد وأمّته، فيؤتى بكم فتشهدون.

﴿من شعائر الله﴾ علامات دين الله، واحدها شعيرة ﴿فلا جناح﴾ فلا حرج، وإنما قيل: فلا جناح لأن قومًا كانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، وإلا فهو واجب ﴿يُنظرون﴾ يؤخّرون ﴿خطوات الشيطان﴾ عمله، وقيل: آثاره ﴿ألفَينا﴾ وجدنا ﴿أهلّ به لغير الله﴾ ذُبح للطاغوت ﴿ابن السبيل﴾ الضيف الذى نزل بالمسلمين ﴿إن ترك خيرًا﴾ مالا ﴿جَنفًا﴾ إثمًا، وقيل: الجور والميل (إلى الظلم) فى الوصية (وهذا المعنى يناسب ذكر (إثمًا) بعد (جنفًا) ﴿البأساء﴾ الفقر ﴿والضرّاء﴾ المرض ﴿عُفِيَ﴾ تُرك ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية﴾ هى منسوخة، وقيل: هى محكمة فى الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، ولمّا نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كلّه، وكان رجال يخونون أنفسهم فنزلت ﴿أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ بياض النهار من سواد الليل، وهو الصبح إذا انفلق، وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿من الفجر﴾.

﴿العاكف﴾ المقيم ﴿التهلكة﴾ والهلاك واحد، قال بعض الأنصار لبعض: إنّ أموالنا قد ضاعت، وإن الله تعالى أعزّ الإسلام وكثُر ناصروه، فلو أقمنا (فى مراقبة) أموالنا، فنزلت ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ وهى الإقامة على

الأموال وترك (الجهاد) والغزو، وقيل: نزلت فى النفقة، يعنى فى الإسراف فيها ﴿ثقفتموهم﴾ وجدتموهم ﴿لا تكون فتنة﴾ شرك، كانوا إذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها، فأنزل الله تعالى ﴿ليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ ﴿فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه﴾ نزلت فى كعب بن عجرة، وكانت عكاظ ومجنّة وذو المجاز أسواقًا فى الجاهلية، فتأثّموا أن يتجروا (فيها) فى المواسم، فنزلت ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ فى مواسم الحج، كانت قريش ومن دان دينها يفيضون بالمزدلفة، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلذلك نزل قوله تعالى: ﴿ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾.

﴿خلاق﴾ نصيب ﴿ألدّ الخصام﴾ الجدّال المخاصم فى الباطل ﴿السلم﴾ الطاعة ﴿كافّة﴾ جيمعًا ﴿قل العفو﴾ أى أنفقوا ما زاد من أموالكم عن الحاجة (وهذا قبل فرضية الزكاة) ﴿لأعنَتَكم﴾ لأحرجكم وضيّق عليكم، وكانت اليهود إذا حاضت امرأة منهم لم يواكلوها، ولم يشاربوها، فسئل النبىﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿قل هو أذًى فاعتزلوا النساء فى المحيض﴾ فأمروا أن يفعلوا كل شيء ما خلا النكاح (الجماع) قال النبى ﷺ: أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة، وكانت اليهود تقول: إذا جامعها من وراءها جاء الولد أحول، فنزلت ﴿نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾ (حدود الله) طاعة الله، وكانت أخت معقل بن يسار تحت رجل فطلّقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها، فأبى معقل فنزلت ﴿لا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهنّ﴾ ﴿لا تواعدوهنّ سرًّا﴾ السرّ الجماع، ﴿ما لم تمسّوهن أو تفرضوا لهنّ﴾ المهر، و﴿الفريضة﴾ الصداق ﴿صلاة الوسطى﴾ صلاة العصر؛ لقوله ﷺ: حبسونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس، قال زيد ابن أرقم: كنّا نتكلم فى الصلاة، يتكلم أحدنا أخاه فى حاجته حتى نزلت ﴿وقوموا الله قانتين﴾ ﴿ألم ترَ إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ كانوا أربعة آلاف خرجوا من ديارهم فرارًا من الطاعون، فقال لهم الله: موتوا فماتوا، فمرّ بهم نبيّهم فسأل الله تعالى أن يحيهم فأحياهم ﴿فيه سكينة﴾ رحمة، ﴿لاتأخذه سِنَة﴾ نعاس ﴿ولا يؤده﴾ لا يثقله حفظهما ﴿أو كالذى مرّ على فرية﴾ عزير نبى الله

﴿لم يتسنّه﴾ لم يغيّره السنون ﴿صفوان﴾ حجر ﴿صلدًا﴾ ليس عليه شيء، وقيل: حجر أملس ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة﴾ قال عمر: ضرب الله مثلا لرجل يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله ﴿إعصار﴾ الريح الشديدة ﴿فأصابه صرّ﴾ برد ﴿فصرهنّ﴾ اقطعهنّ ﴿إلحافًا﴾ يقال: ألحف عليّ وألحّ ﴿يمحق الله الربوا﴾ يُذهبه ﴿ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون﴾ نزلت في رجال كانوا يتصدّقون بالقنو والحشف ﴿فأذنوا﴾ فاعلموا ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾ نسخت بقوله تعالى: ﴿لا يكلّف الله نفسًا إلا وسعها﴾ ﴿غفرانك﴾ نسأل مغفرتك.

غرائب سورة آل عمران وسبب نزول بعض آياتها

نزل النصف الأخير[١] من آل عمران في قصّة واحدة ﴿في قلوبهم زيغ﴾ شكّ ﴿ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ تأويل المتشابه (فيه تقديم وتأخير أي ابتغاء تأويله وابتغاء الفتنة، يعني غرضهم من تأويل المتشابه ابتغاء الفتنة والإضلال وإلقاء الشكوك) ﴿كدأب﴾ كصنيع، وقيل: كحال ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿والخيل المسوّمة﴾ المطهّمة الحسان ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ التقاة: التكلم بكلمة الكفر باللسان، والقلب مطمئنّ بالإيمان ﴿حصورًا﴾ الذي لا يأتي النساء ويمنع نفسه عنهنّ ﴿إلا رمزًا﴾ الإشارة باليد و(الوحي) الإشارة بالرأس ﴿الأكمه﴾ الذي يولد وهو أعمى ﴿إني متوفّيك﴾ مميتك ﴿أيّهم يكفل مريم﴾ يضمّ إليه، ولما نزل قوله تعالى: ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم﴾ دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحُسينًا، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي ﴿سواء بيننا وبينكم﴾ في العدل والقصد.

﴿ربّيون﴾ جمع مثل ربانيّين، علماء فقهاء، قال ابن عباس: كونوا ربّانيّين حكماء، قال الأشعث ابن قيس: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض

---

(١) ولعلّ الصواب (النصف الأول) أي قريبًا منه، والمراد بالقصة قصّة وفد نجران.

فجحدنى، فقدّمته إلى النبىﷺ، فقال لى: ألك بيّنة؟ قلت: لا، فقال اليهودى: أحلف، فقلتُ: يا رسول الله! إذًا يحلف فيذهب بمالى، فأنزل الله تعالى: ﴿إنّ الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنًا قليلا . . .﴾ ﴿لا خلاق لهم﴾ لا خير.

إن إسرائيل (يعقوب) أخذه عِرق النَسَاء، فقال: إن شفاه الله تعالى، لايأكل لحمًا فيه عرق، قال: فحرّمته اليهود، فنزلت ﴿كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه﴾ ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ قيل: ما السبيل يا رسول الله؟ قال: الزاد والراحلة ﴿شفا حفرة من النار﴾ وهو حرفها (طرفها) ﴿تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال﴾ توطّن المؤمنين ﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ هما بنو حارثة وبنو سلمة ﴿ويأتوكم من فورهم﴾ من غضبهم ﴿مسوّمين﴾ المسوّم الذى له سيماء بعلامة، وكان رسول الله ﷺ شجّ وجهه وكُسر رباعيته (فى أحد) فجعل يقول: كيف تفلح أمّة فعلوا هذا بنبيّهم؟ فأنزل الله تعالى ﴿ليس لك من الأمر شىء﴾ وقال ابن عمر: "قال رسول الله ﷺ يوم أحد: اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أميّة" فنزلت ﴿ليس لك من الأمر شىء﴾ ﴿ولا تهنوا﴾ لا تضعفوا ﴿أصابهم القرح﴾ الجراح ﴿إذ تحسّونهم﴾ تستأصلونهم، وقيل: تقتلونهم ﴿أو كانوا غزّا﴾ واحده غازٍ ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنةً منه﴾ قال أبو طلحة: غشينا النعاس ونحن فى مصافّنا ﴿وما كان لنبىّ أن يغلّ﴾ نزلت فى قطيفة افتقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعلّ رسول الله ﷺ أخذها ﴿استجابوا﴾ أجابوا ﴿فقد فاز﴾ سعد ونجا ﴿لا تحسبنّ الذين يفرحون﴾ نزل فى اليهود سألهم رسول الله ﷺ عن شىء فكتموه.

غرائب سورة النساء وسبب نزول بعض آياتها

﴿حوبًا كبيرًا﴾ إثمًا عظيمًا، قالت عائشة: إن رجلا كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق وكان يمسكها عليه، وليس لها من نفسه شىء، فنزلت فيه ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى﴾ ﴿أدنى ألا تعولوا﴾ أجدر أن لا تميلوا ﴿نحلةً﴾ مهرًا (وقيل: بالرضا وطيب النفس) ﴿وابتلوا اليتامى﴾ اختبروا ﴿فإن آنستم منهم

رشداً﴾ عرفتم منهم صلاحًا ﴿قيامًا﴾ قِوامكم من معايشكم ﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ قالت عائشة: مكان قيامه (ومراقبته) عليه بمعروف ﴿الكلالة﴾ من لا يترك والدًا ولا ولدًا، كانوا إذا مات الرجل كان أولياءه أحق بامرأته، فنزلت ﴿لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهًا﴾ ولما كان يوم أوطاس أصبنا نساءً لهن أزواج فى المشركين، فتزوجهنّ بعض المسلمين، ثم قدم أزواجهنّ مهاجرين، فأنزل الله ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾ المحصنات (هنا) كلّ ذات زوج، ﴿طولا﴾ سعةً ﴿محصنات غير مسافحات﴾ عفائف غير الزوانى فى السرّ والعلانية ﴿ولامتخذات أخدان﴾ الأخلاء ﴿فإذا أحصنّ﴾ زوّجن ﴿لمن خشى منكم العنت﴾ الزنا ﴿موالى﴾ عصبة وقيل: ورثة ﴿والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ من النصر والرفادة والوصية، وقد ذهب الميراث (لأجل ذوى الأرحام) ويوصى لهم.

قالت أم سلمة: أيغزو الرجال؟ ولا نغزو ولا نقاتل فنستشهد؟ وإنما لنا نصف الميراث؟ فأنزل الله تعالى ﴿ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض﴾ ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ أمراء ﴿قانتات﴾ مطيعات ﴿والجار ذى القربى﴾ الذى بينك وبينه قرابة ﴿والجار الجنب﴾ الذى ليس بينك وبينه قرابة ﴿والصاحب بالجنب﴾ الرفيق ﴿مثقال ذرّة﴾ زنة ذرّة ﴿نطمس وجوهًا﴾ نسوّيها، طمس الكتابَ محاه ﴿فتيمّموا صعيدًا﴾ وجه الأرض، نزلت آية التيمّم فى قلادة عائشة، ووقّفتهم لها من غير ماء، سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿والله ربّنا ما كنّا مشركين﴾ وقوله تعالى: ﴿لا يكتمون الله حديثًا﴾ قال: إنهم لما رأوا يوم القيامة إنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: (قال بعضهم لبعض): تعالوا فلنجحد، فختم الله على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم، فلا يكتمون الله حديثًا، يعنى يجحدون بألسنتهم وتشهد أيديهم وأرجلهم، قال علىّ: دعا رجل من الأنصار بعض الناس إلى الطعام قبل تحريم الخمر، فحضرت صلاة المغرب، فتقدم رجل (وهو علىّ) فقرأ ﴿قل يا أيّها الكافرون﴾ فالتبس عليه القراءة، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ ﴿فتيلا﴾ الحبل الذى فى شق بطن النواة ﴿واسمع غير مسمع﴾ يقولون: اسمع لا سمعتَ ﴿ليّا بألسنتهم﴾ تحريفًا

بالكذب ﴿بالجبت﴾ الشرك، والشيطان ﴿نقيرًا﴾ النقطة التى فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ﴿أولى الأمر﴾ أهل التفقه والدين ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ نزلت فى عبد الله بن حذافة، والمعنى أن طاعة الله والرسول مقدّمة ﴿أذاعوا به﴾ أفشوه ﴿حسيبًا﴾ كافيًا ﴿فانفروا ثبات﴾ عصابًا سرايا لامتفرقين ﴿على كل شىء مقيتًا﴾ حفيظًا، وقيل: قادرًا مقتدرًا، ولما رجع ناس من أصحاب رسول الله ﷺ (أى المنافقين) من أحد كان الناس فيهم فرقتين: فريق يقول: اقتلهم، وفريق يقول: لا تقتلهم، فنزلت ﴿فما لكم فى المنافقين فئتين﴾ ﴿والله أركسهم﴾ أوقعهم، وقيل: حبسهم، وقيل: بدّدهم ﴿حصرت صدورهم﴾ ضاقت، كان رجل فى غُنَيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا الغُنَيمة، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لستَ مؤمنًا﴾ ﴿أولى الضرر﴾ أهل العذر، ولما نزلت ﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين﴾ دعا رسول الله زيدًا فكتب اسمه، فجاء ابن أمّ مكتوم يشكو ضرارته، فأنزل الله تعالى ﴿غير أولى الضرر﴾.

إن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سوادهم، يأتى سهم يرمى فيصيب أحدهم فيقتله أو يُضرب فيُقتل، فأنزل الله تعالى ﴿إنّ الذين توفّاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾ ﴿مراغمًا﴾ منفسحًا للتحوّل من أرض إلى أرض ﴿وسعة﴾ رزقًا ﴿أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾.

سئل عمر عن هذه الآية فقال: صدقة تصدّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته ﴿كتابًا موقوتًا﴾ مفروضًا وقته عليهم، إن رسول الله ﷺ كان بين أنمار وعسفان، فقال المشركون: إن لهؤلاء صلاةً هى أحبّ إليهم من آباءهم وأبناءهم، فيميلون عليهم ميلة واحدة، فنزلت صلاة الخوف ﴿فإن خفتم أن يفتنكم﴾ أن يصيبكم بالعذاب والجهد ﴿تألمون﴾ توجَعون ﴿ولا تكن للخائنين خصيمًا﴾ نزلت فى بنى أبيرَق سرقوا درعًا لعمّ قتادة بن نعمان، ثمّ أنكروه ﴿إلا إناثًا﴾ يعنى الموات حجرًا ومدرًا ﴿شيطانًا مريدًا﴾ متمردًا ﴿فليبتّكنّ آذان الأنعام﴾ بتكه قطعه فليقطعن ﴿فليغيّرنّ خلق الله﴾ دين الله، لما نزلت ﴿من يعمل سوءً يجز به﴾ شقّ ذلك على

المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «سدّدوا وقاربوا وفى كل ما يصيب المؤمن كفّارة حتى الشوكة تشاكه، وقالت عائشة: وما يصيبكم فى الدنيا (ففيه كفّارة) ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا﴾ بغضًا، الرجل يكون عند المرأة ليس بمستكثر منها، ويريد أن يفارقها، فتقول: أجعلك من شأنى فى حلّ.

﴿وأحضرت الأنفس الشحّ﴾ هواها فى شيءٍ تَحرِصُ عليه ﴿فتذروها كالمعلّقة﴾ لا هى أيم ولا هى ذات زوج ﴿وإن تلووا﴾ ألسنتكم بالشهادة، أو تعرضوا عنها ﴿وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا﴾ يعنى رموها بالزنا وإن ابنها (عيسى) من الزنا ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ بخروج عيسي ابن مريم.

غرائب سورة المائدة وسبب نزول بعض آياتها

قالت عائشة فى المائدة: "إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلّوه، وما وجدتم من حرام فحرّموه" ﴿أوفوا بالعقود﴾ ما أحلّ الله وما حرّم، وما فرض، وما حدّ فى القرآن كلّه (عقود) ﴿لا يجرمنكم﴾ يحملنّكم ﴿شنآن قوم﴾ عداوة قوم ﴿ولا آمّين البيت الحرام﴾ عامدين، أممتُ وتيمّمت واحد ﴿البرّ﴾ ما أمرتَ به ﴿والتقوى﴾ ما نُهيتَ عنه ﴿والمنخنقة﴾ التى تخنق فتموت ﴿والموقوذة﴾ التى تُضرب بالخشبة فتموت ﴿والمتردّية﴾ التى تتردّى من الجبل فتموت ﴿والنطيحة﴾ التى تنطحها شاة فتموت ﴿وما أكل السبع﴾ ما أخذه السبع للأكل ﴿إلا ما ذكيتم﴾ ذبحتم وبه روح ﴿وما ذبح على النصب﴾ أحجار منصوبة يذبحون عليها للأصنام ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ أن يحيل القدح، فإن نهته فانتهى، وإن أمرته فعل ما أمرته "الأزلام" القدح يستقسمون بها فى الأمور ﴿غير متجانف لإثم﴾ غير متعدّ لأجل الإثم ﴿وما علّمتم من الجوارح﴾ الكلاب والفهود والصقور وأشباهها ﴿مكلّبين﴾ ضوارى ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب﴾ ذبائحهم ﴿أجورهنّ﴾ مهورهنّ ﴿أو لامستم النساء﴾ لمستم وتمسّوهن دخلتم بهنّ و "الإفضاء" النكاح (الجماع) ﴿تيمّموا﴾ تعمّدوا ﴿وعزّرتموهم﴾ أعنتموهم ﴿فافرق﴾ افصل ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ الحاجة ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله﴾

نزلت فى قوم من عُرَينة وعكل استوطنوا المدينة فخرجوا إلى إبل النبى ﷺ، فشربوا من أبوالها وألبانها، وصحّوا، فقتلوا الراعى وطردوا الإبل، قال أبو قتادة: جوزوا بذلك لارتدادهم بمحاربة الله والكفر، ﴿ومن يرد الله فتنةً﴾ ضلالةً ﴿سمّاعون للكذب﴾ يسمعون الكذب ﴿أكّالون للسحت﴾ وهو الرشوة ﴿بما استحفظوا﴾ استودعوا ﴿وقفّينا على آثارهم﴾ أتبعنا على آثار الأنبياء أى بعثنا ﴿ومُهيمنًا﴾ أمينًا، والقرآن أمين على كل كتاب قبله ﴿شرعةً ومنهاجًا﴾ سبيلا وسنةً، وقيل: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق.

﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم ويحبّونه﴾ قال رسول الله ﷺ: قومك ياأباموسى (أى هم قومك) ﴿أذلّة على المؤمنين﴾ رحماء بينهم ﴿يد الله مغلولة﴾ يعنون بخيل أمسك ما عنده، تعالى عن ذلك، قال رجل: "يارسول الله إنّى إذا أصبت اللحم انتشرتُ للنساء وأخذتنى شهوة، فحرّمتُ علىّ اللحم"، فأنزل الله تعالى ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم﴾ قال عمر: اللهم بيّن لنا فى الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت ﴿يسئلونك عن الخمر والميسر﴾ ثمّ قال (عمر): اللهمّ بيّن لنا فى الخمر بيان شافيًا، فنزلت ﴿ياأيّها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ ثم قال: اللهم بيّن لنا فى الخمر بيان شافيًا، فأنزلت ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾ ولما نزل تحريم الخمر، قال بعضهم: قُتل قوم وهى فى بطونهم، فأنزل الله تعالى ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ ولما نزلت آية الحج ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ قالوا: يا رسول الله! أفى كل عام؟ قال: لا، ولو قلتُ: نعم لوجب، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبدَ لكم تسؤكم﴾ وقيل: قال رجل: يا رسول الله من أبى؟ قال: أبوك فلان، فنزلت الآية المتقدمة.

قال سعيد بن المسيب: (البحيرة) التى يُمنع درّها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، وقيل: هى الناقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكرًا ذبحوها فأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى جدعوا أذنها.

وأمّا السائبة: فكانوا يسيّبون من الأنعام لآلهتهم، لا يركبون ظهرها، ولايحلبون منها لبنًا، ولا يجزّون لها وبرًا، ولا يحملون عليها شيئًا.

وأمّا (الوصيلة): فهى الشاة التى إذا نتجت سبعة أبطن نظروا إلى السابع، فإن كان ذكرًا أو أنثى وهو ميت اشترك فى أكله الرجال والنساء، وإن كانت أنثى وذكر فى بطن واحد استحيوهما، وقالوا: وصلت أختُه فحرّمته علينا، وقيل: الناقة التى هى بكر تبكر فى أول النتاج الذكر، ثم تثنى بعده بأنثى، وكانوا يسيّبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى (إحدى الأنثى بالأخرى) ليس بينهما ذكر.

وأمّا (الحام): فالفحل من الإبل إذا وُلدَ لولده قالوا: حمى ظهره، فلايحملون عليه شيئًا، ولا يجزّون له وبرًا، ولا يمنعونه من حمًى رعاه، ولامن حوض يشرب منه، وإن كان الحوض لغير صاحبه، وقيل: هو فحل الإبل يضرب ضرابه المعدود، فإذا قضى ضرابه، فيدعونه للطواغيت وأعفوه من الحمل، وسمّوه الحام.

سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضرّكم من ضل إذا اهتديتم﴾ قال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرةً، وإعجاب كلّ ذى رأى برأيه، فعليك بخاصّة نفسك، ودع أمر العوامّ ﴿يا أيّها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ نزلت فى تميم الدارى وعدى بن بدّاء، خانا جاما من فضّة من تركة بُدَيل، فأحلفهما رسول الله ﷺ ثمّ وجدوا الجام بمكة، فقال الذى عنده الجام: اشتراه منهما، فقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا، وقالا: لشهادتنا أحق من شهادتهما وإن الجام لصاحبهم.

غرائب سورة الأنعام وسبب نزول بعض آياتها

﴿يعدلون﴾ يجعلون له عِدلا (شريكًا) ﴿تمترون﴾ تشكّون ﴿مدرارًا﴾ يتبع بعضها بعضًا، متواليًا ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ ولشبّهنا، وخلطنا عليهم ما

يخلطون ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ حجتهم، وقيل: معذرتهم ﴿أساطير﴾ وهى الترهات واحدها أسطورة وأسطارة ﴿وقرًا﴾ صمًا، وأما الوِقر -بكسر الواو- فإنه الحمل ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾ يتباعدون، قال أبو جهل: قد نعلم يامحمد! إنك تصل الرحم، وتصدق الحديث، ولانكذّبك، ولكن نكذب الذى جئتَ به، فأنزل الله تعالى ﴿فإنّهم لايكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ ﴿نفقًا﴾ سربًا ﴿سلّمًا﴾ مصعدًا ﴿البأساء﴾ من البأس وتكون من البؤس وهو شدّة الفقر ﴿والضرّاء﴾ الأمراض والأوجاع.

﴿فلمّا نسوا﴾ تركوا ﴿مبلسون﴾ آئسون ﴿يصدفون﴾ يعدلون، وقيل: يعرضون عن الحق ﴿أو جهرًا﴾ معاينة ﴿تدعون من دون الله﴾ تعبدون ﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ ما كسبتم من الإثم ﴿لا يفرّطون﴾ لا يطيعون ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم﴾ قال رسول الله ﷺ: أما إنها كائنة ولم يأتِ تأويلها بعد ﴿يلبسكم شيعًا﴾ يخلطكم أهواءً مختلطة، وقيل: فِرقًا ﴿لكل نبأ مستقر﴾ حقيقة، وقيل: وقت ومكان ﴿أن تبسل﴾ تفضح، وقيل: أن تُحبس ﴿وإن تعدل﴾ تُقسط ﴿أبسلوا﴾ أفضحوا ﴿استهوته﴾ أضلّته، أسقطته ﴿فلمّا جنَّ عليه الليل﴾ أظلم ﴿أفلت﴾ زالت الشمس عن كبد السماء وغربت، ولما نزلت ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ قالت الصحابة: وأيّنا لم يظلم؟ فنزلت ﴿إنّ الشرك لظلم عظيم﴾ وقال علىّ: هذه فى إبراهيم وأصحابه ليست فى هذه الأمة ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ما عظّموه حق تعظيمه ﴿باسطوا أيديهم﴾ البسط الضرب ﴿عذاب الهون﴾ الذى يقع به الهوان الشديد ﴿خوّلناكم﴾ أعطيناكم ﴿فالق الإصباح﴾ ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل ﴿حسبانًا﴾ عدد الأيام والشهور والسنين ﴿جعل لكم النجوم لتهتدوا بها﴾ مرامى ورجومًا للشياطين ﴿فمستقرّ﴾ فى الصلب ﴿ومستودع﴾ فى الرحم ﴿قنوان دانية﴾ قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض، وقيل: القنو العذق (ويقال) للاثنين والجماعة قنوان وللواحد قنو مثل صنو وصنوان ﴿وينعه﴾ ينضجه ﴿وخرقوا له بنين﴾ تخرّصوا وافتعلوا ذلك كذبًا وكفرًا ﴿درستَ﴾ تعلّمتَ ﴿قُبُلا﴾ معاينةً ومواجهةً

﴿ولتصغى﴾ لتميل ﴿وليقترفوا﴾ ليكتسبوا ﴿زخرف القول﴾ كلُّ شىء حسّنته أنت ووشّيته وهو باطل (فى الحقيقة) فهو زخرف، أتى ناس إلى النبى ﷺ قالوا: يارسول الله نأكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله تعالى ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه﴾ ضالا فهديناه ﴿صغار عند الله﴾ مذلّة وهوان ﴿على مكانتكم﴾ ناحيتكم وحالتكم التى أنتم عليها ﴿هذه أنعام وحرث حجر﴾ حرام ﴿حمولة﴾ الإبل والخيل والبغال والحمير، وكل شىء يُحمل عليه ﴿وفرشًا﴾ الغنم ﴿معروشات﴾ ما يُعرش من الكرم ﴿كل ذى ظُفُر﴾ البعير والنعامة وغير ذلك ﴿مسفوحًا﴾ مهراقًا ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ ما تعلق بظهورهما من الشحم ﴿أو الحوايا﴾ المبعر (الأمعاء) ﴿من إملاق﴾ من فقر ﴿عن دراستهم﴾ عن تلاوتهم (وتعلّمهم) ﴿يصدفون﴾ يعرضون ﴿لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ إذا طلعت الشمس من مغربها.

غرائب سورة الأعراف وسبب نزول بعض آياتها

﴿ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم﴾ خُلقوا فى أصلاب الرجال، وصوّروا فى أرحام النساء ﴿صراط﴾ طريق ﴿مذءومًا﴾ ملومًا ﴿يخصفان﴾ يؤلّفان الورق ﴿سوآتهما﴾ كناية عن فرجيهما ﴿قبيله﴾ جيله الذى هو منهم ﴿ريشًا﴾ المال، والزينة، كانت المرأة فى الجاهلية تطوف وهى عريانة، فنزلت ﴿قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده﴾ قال حذيفة: أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وقَصُرت سيئاتهم عن الجنة، بيناهم فى الأعراف إذ طاع عليهم ربك، فيقول: قوموا وادخلوا الجنة، فإنى قد غفرت لكم ﴿غواشٍ﴾ ما غشوا به ﴿نكدًا﴾ قليلا ﴿حثيثًا﴾ سريعًا ﴿أقلّت﴾ حَمَلتْ ﴿قومًا عمين﴾ كفّارًا عَمِيت قلوبهم ﴿بصطةً﴾ شدّةً (وقوّةً) ﴿تنحتون الجبال﴾ تشقّقونها ﴿الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿جاثمين﴾ ميّتين ﴿لاتبخسوا﴾ لا تظلموا ولا تنقصوا ﴿وتصدّون﴾ تصرفون ﴿عوِجًا﴾ زيغًا ﴿افتح﴾ اقض ﴿كأن لم يغنوا﴾ لم يقيموا ﴿آسى﴾ أحزن ﴿عفوا﴾ كثُروا وكثرت أموالهم ﴿أرجه﴾ أخّر أمره ﴿تلقف﴾ تلقم ﴿ويذرك والهتك﴾ يترك

عبادتك وعبادة آلهتك ﴿الطوفان﴾ السيل ﴿القمّل﴾ الجراد الذى ليس له أجنحة ﴿يطّيروا﴾ يتشاءموا ﴿الرجز﴾ السخط ﴿يعرشون﴾ يبنون ﴿متبّر﴾ هالك، وقيل: خسران ﴿جعله دكّا﴾ مدقوقًا ﴿ميقات ربّه﴾ الوقت الذى قدّره الله تعالى ﴿له خوار﴾ صوت ﴿سُقط فى أيديهم﴾ كل من ندم فقد سقط فى يده ﴿أسفًا﴾ حزينًا ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا﴾.

﴿فخذها بقوة﴾ بجدّ وجزم ﴿إن هى إلا فتنتك﴾ إن هو إلا عذابك ﴿هُدنا﴾ رجعنا ﴿إصرهم﴾ ثقل عهدهم ومواثيقهم ﴿وعزّروه﴾ احموه (وانصروه) ووقّروه ﴿فانبجست﴾ انفجرت ﴿يعدون فى السبت﴾ يتعدّون له ويتجاوزون ﴿نبأ الذى آتيناه آياتنا﴾ هو بلعم بن باعوراء ﴿شُرّعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿بئيس﴾ شديد ﴿وبلوناهم﴾ عاملناهم معاملة المختبر ﴿نتقنا الجبل﴾ رفعناه ﴿الأسباط﴾ قبائل بنى إسرائيل ﴿وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم﴾ خلق الله آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرّيته، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرّيته، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون ﴿ذرأنا﴾ خلقنا ﴿أخلد إلى الأرض﴾ قعد ومال إلى الدنيا ﴿سنستدرجهم﴾ نأتيهم من مأمنهم.

﴿أيّان مرساها﴾ متى وقوعها وخروجها ﴿كأنك حفىّ عنها﴾ عالم بها ﴿خذ العفو﴾ ما أنزل الله فى أخلاق الناس، وقيل: أنفق الفضل ﴿وأمر بالمعروف﴾ المعروف الذى يُعرف حسنه ﴿ينزغنّك﴾ يستخفنّك ﴿طائف﴾ مُلمّ ﴿يمدّونهم﴾ يزيّنون لهم ﴿لولا اجتبيتها﴾ لولا أحدثتها وأنشأتها من قبل نفسك، ولما حملت حواء، طاف بها إبليس، وكان لا تعيش لها ولد، فقال (الشيطان): سمّيته عبدالحارث، يَعِشُ، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره ﴿تضرّعًا وخيفةً﴾ استكانةً وخوفًا.

غرائب سورة الأنفال وسبب نزول بعض آياتها

نزلت الأنفال فى البدر، قال سعد بن أبى وقاص: لما كان يوم بدر، سألت عن النبى ﷺ سيفًا فنزلت ﴿يسئلونك عن الأنفال﴾ نافلة عطية (زائدة) ﴿وجلت

قلوبهم﴾ فَرقَت ﴿ذات الشوكة﴾ الحدّ ﴿مردفين﴾ متتابعين فوجًا بعد فوج ﴿كلّ بنان﴾ أطراف الأصابع ﴿شاقّوا الله ورسوله﴾ باينوهما وخالفوهما ﴿زحفًا﴾ مجتمعين متدانيّن ﴿متحرّفًا﴾ متعطّفًا إلى حرف وناحية للعود إلى القتال ﴿أو متحيّزًا﴾ منضمًا صائرًا إلى فئة .

﴿فقد جاءكم الفتح﴾ المدد (والنصرة) ﴿لما يحيكم﴾ يصلحكم ﴿ليثبتوك﴾ يوثقوك (ويحبسوك) ﴿فرقانًا﴾ نصرًا وفصلا بين الحق والباطل ، قال أبو جهل : ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ فنزلت ﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم﴾ ﴿مكاءً وتصدية﴾ المكاء إدخال الأصابع فى أفواههم ، والتصدية الصفير ﴿فيركُمَه﴾ يجمعه ﴿يوم الفرقان﴾ يوم بدر ، فرّق الله فيه بين الحق والباطل ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعُدوة القصوى﴾ أنتم نازلون بشفير الوادى الأدنى إلى المدينة ، وعدوكم نازلون بشفير الوادى الأقصى من المدينة ﴿والركب﴾ أصحاب الإبل يعنى العير ﴿فتفشلوا﴾ أى تجبُنوا أو تضعفوا ﴿وتذهب ريحكم﴾ دولتكم (قوّتكم وغلبتكم) ﴿بطرًا﴾ طغيانًا وفخرًا ﴿وإنى جار لكم﴾ مجير وحافظ لكم ﴿نكص على عقبيه﴾ رجع مولّيًا (ولّى مدبرًا) ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ باشروا وجرّبوا ، وليس هذا من ذوق الفم ﴿فشرّد بهم من خلفهم﴾ فنكّل بهم من وراءهم من خلفهم يعنى فرّق بهم جمع كل ناقض عهد ﴿خيانة﴾ نقض عهد ﴿وإن جنحوا﴾ أى طلبوا ومالوا إلى الصلح .

﴿حرّض المؤمنين﴾ حضّهم ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ لما نزلت هذه الآية كُتب (فرض) عليهم أن لا يفرّ واحد من عشرة ، ثم نزل قوله تعالى : ﴿الآن خفّف الله عنكم﴾ فكتب أن لا يفرّ مئة من مائتين (ثلاث مرّات) ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة﴾ قال رسول الله ﷺ : ألا إن القوة الرمى ، ولما كان يوم بدر وقعوا فى الغنائم قبل أن تحلّ لهم ، فأنزل الله تعالى ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب أليم﴾ وكان الناس يوم بدر على ثلاث منازل (ثلاث جماعات) ثلث يقاتل العدوّ ، وثلث يجمع المتاع ويأخذ الأسارى ، وثلث عند الخيمة يحرسون رسول الله ﷺ ، فاختصموا (فى تقسيم الغنيمة واستحقاقها)

فانتزع الله الغنيمة من أيديهم وجعلها إلى رسول الله ﷺ، فقسمها على السواء ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله﴾ وأولويتهم فى الميراث.

غرائب سورة البراءة (التوبة) وسبب نزول بعض آياتها

لم يكتبوا البسملة على سورة براءة، قال عثمان: كانت الأنفال من أوائل ما نزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن (نزولا)، وكانت قصة البراءة شبيهة بقصّة الأنفال، فظُنّت أنها منها، فقبض النبى ﷺ، ولم يبيّن أنها منها، فمن أجل ذلك قرنتُ بينهما، ولم أكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" وقال على: البسملة أمان، وهذه السورة براءة (وترك أمان)، لما نزل أولها بعث رسول الله ﷺ عليًا إلى مكة، فنادى بأربع: (١) ذمّة الله ورسوله بريئة من كل مشرك ﴿فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر﴾ (٢) ولا يحجنّ بعد العام مشرك (٣) ولا يطوفنّ بالبيت عريان (٤) ولا يدخل الجنة إلا مؤمن ﴿أذان﴾ إعلام ﴿فسيحوا﴾ فسيروا ﴿مرصد﴾ طريق ﴿لا يرقبوا﴾ لا يحفظوا ﴿إلا ولاذمّةً﴾ الإلّ: القرابة، والذمّة: العهد ﴿وليجة﴾ كل شىء أدخلته فى شىء (أى الأولياء المخصوصون) ﴿سقاية الحاج﴾ سقاهم الشراب فى الموسم ﴿عيلة﴾ فقرًا ﴿يضاهئون﴾ يشابهون.

﴿ذلك الدين القيّم﴾ القيّم هو القائم (أى الدّين الذى يقوّم الناس على صراط مستقيم) ﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يكذّبون، وقيل: كيف يُصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل ﴿يريدون أن يطفئوا نورالله﴾ أن يخمدوا (أى يريدون أن يردّوا القرآن بألسنتهم تكذيبًا) ونور الله هو القرآن.

﴿كافّة﴾ جميعًا ﴿ليواطئوا﴾ ليوافقوا، أو ليشابهوا ﴿انفروا﴾ اخرجوا ﴿اثّاقلتم إلى الأرض﴾ أحببتم المقام (فى بيوتكم) أى تضعون ثقلكم (جسمكم) ولزمتم أرضكم ﴿عرضًا﴾ غنيمةً ومتاعًا ﴿الشقة﴾ السفر والمسافة ﴿فثبّطهم﴾ حبسهم ومنعهم أو خذلهم ﴿خبالا﴾ فسادًا ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ أسرعوا بالنميمة ﴿وقلّبوا لك الأمور﴾ اجتهدوا فى الحيلة عليك والكيد بك (أى غيّروا لأجل إنكارك الأمور وعكسوها) ﴿ولا تفتنّى﴾ لاتوبّخنى (ولا تؤثمنى) ﴿إحدى

الحسنيين﴾ فتح أو شهادة ﴿ملجأ﴾ مهربًا، الملجأ الحرز فى الجبل ﴿مغارات﴾ غيرانًا فى الجبل، واحدها مغارة، وقيل: السراديب (محلّ الماء البارد) أو السراديب المخفية فى الأرض ﴿مدّخلا﴾ موضع دخول فيه، وقيل: السرب المأوى ﴿يجمحون﴾ يُسرعون ﴿يلمزك﴾ يعيبك ويطعن عليك ﴿والعاملين عليها﴾ السعاة ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ الذين يتألفهم الإمام بالعطية ﴿هو أذن﴾ يسمع من كل أحد ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ تركوا طاعة الله، فتركهم من ثوابه وكرامته.

﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾ بذنبهم ونصيبهم ﴿والمؤتفكات﴾ وهى قرية قوم لوط، ائتفكت انقلبت بها الأرض ﴿عدن﴾ خلد عدنتُ بأرض أقمتُ بها ﴿واغلظ عليهم﴾ أذهب الرفق عنهم، لما توفّى عبد الله بن أبىّ، قام رسول الله ﷺ (ليصلّى) عليه، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدًا﴾ ﴿وما نقموا﴾ وما كرهوا ﴿يلمزون﴾ يعيبون ويغتابون ويطعنون ﴿لا يجدون إلا جهدهم﴾ وهو القليل الذى يتعيّش به ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ أخلصوا أعمالهم من الغشّ ﴿المعذّرون﴾ أهل العذر ﴿صلاة الرسول﴾ استغفاره ﴿مردوا على النفاق﴾ لجّوا فيه، وأبوا غيره ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكيهم بها﴾ والزكاة (المفهوم من التزكية) هى الطاعة والإخلاص ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ رحمة لهم ﴿وآخرون مرجَون لأمر الله﴾ مؤخّرون ليقضى الله فيهم، وهو القاضى ﴿ضرارًا﴾ يضارّون به ﴿وإرصادًا﴾ انتظارًا ﴿على شفا جرف هارٍ﴾ على شفير جرف مهواة (بئر ساقط) والشفا هو الشفير، وهو حدّه (الجوف) والجُرُف ما يجرف من الحفرة لأجل السيول، وهى الأودية، هارٍ أى هائر ساقط.

يقال: تهوّرت البئر إذا انهدمت و(انهار مثل هار (بمعنى السقوط) ﴿ريبة﴾ شكّ ﴿إلا أن تقطّع قلوبهم﴾ بالموت.

سئل رسول الله ﷺ عن ﴿السائحين﴾ قال: هم الصائمون، قال علىّ: سمعتُ رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ فذكرته للنبى ﷺ فنزلت ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إيّاه﴾ فقال جابر: لما

مات أبو طالب، قال رسول الله ﷺ: لا أزال أستغفر لك حتى ينهانى الله، فأنزل الله تعالى ﴿ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ ﴿لأوّاه﴾ هو المؤمن التوّاب، وقيل: دعّاء كثير البكاء، وقيل بلسان الحبشة: الرحيم، وقيل: المتأوّه شفقًا وفرقًا (إشفاقًا وخوفًا) ﴿وعلى الثلاثة الّذين خُلّفوا﴾ كعب بن مالك وصاحباه (هلال بن أمية ومرارة بن الرُبيّع).

﴿ومخمصة﴾ مجاعة ﴿نصبٌ﴾ عيّى وتعب ﴿ولا يطئون موطئًا﴾ لا يقفون موقفًا (لا يذهبون أرضًا) ﴿ولا ينالون من عدوّ نيلا﴾ أسرًا وقتلا ﴿طائفة﴾ عصبة، جماعة ﴿غلظة﴾ شدّة ﴿يُفتنون﴾ يُبتلون ﴿عزيز﴾ شديد ﴿ما عنتّم﴾ ما شقّ عليكم.

غرائب سورة يونس

﴿أنّ لهم قدم صدق عند ربّهم﴾ سبق لهم السعادة فى الذكر، وقيل: (هو) محمد ﷺ، وقيل: الأعمال الصالحة، وقيل: خير ﴿دعواهم﴾ دعاءهم ﴿ولا أدراكم به﴾ علّمكم به ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ مطرًا ﴿إذا لهم مكر فى آياتنا﴾ قول بالتكذيب، أى إذا خصبوا بَطِروا ﴿حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم﴾ المعنى بكم أى فى الكلام التفات ﴿أحيط بهم﴾ دنوا (قربوا) من التهلكة ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ فنبت بالماء من كل لون ﴿زخرفها﴾ زينتها وحسنها ﴿حصيدًا﴾ لا شيء فيها (كالزرع المحصود) ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ لم تكن بالأمس.

﴿لا يرهق وجوههم قتر﴾ لا يغشى وجوههم سواد من الكآبة ﴿ترهقهم ذلّة﴾ يصيبهم ذلّ وخزى وهوان ﴿لا عاصم﴾ لا مانع ﴿أغشيت﴾ ألبست ﴿فزيّلنا بينهم﴾ ميّزنا وفرّقنا ﴿هنالك تبلوا كل نفس﴾ تختبر وتمتحن ما قدّم من الأعمال هل تنفعه أم لا؟ ﴿إذ تفيضون فيه﴾ تخوضون وتدخلون فيه، أى إذ تفعلونه ﴿وما يعزب عن ربك﴾ أى ما يغيب.

﴿لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ قال رسول الله ﷺ: «هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له» ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يقولون

(بالخرص) ما لا يكون ﴿والنهار مبصرًا﴾ مضيئًا لتهتدوا به فى حوائجكم ﴿فأجمعوا أمركم﴾ اعزموا على أمرٍ ﴿ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة﴾ مخفيًا غير ظاهر ﴿ثمّ اقضوا إلىّ ولا تنظرون﴾ انهضوا إلىّ ولا تؤخّرونى يعنى امضوا إلىّ بمكر أو فاقضوا علىّ ما أنتم قاضون ولا تمهلونى ﴿لتلفتنا﴾ لتردّنا ﴿الكبرياء﴾ الملك والعزّ ﴿ربّنا اطمس على أموالهم﴾ يعنى امسحها وأذهب عنها صورها (أى أهلكها وامحها).

﴿واشدد على قلوبهم﴾ اطبع عليها حتى لا تلين (أو أقسها) ﴿بغيًا وعدوًا﴾ ظلمًا واعتداءً ﴿فاليوم ننجّيك ببدنك﴾ نلقى بدنك على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع، قال رسول الله ﷺ: كان جبرئيل يدسّ الطين فى فىّ فرعون مخافة أن يقول: لا إله إلا الله[1] ﴿إنّ الذين حقّت عليهم كلمة ربك﴾ سبقت، وقيل: وجبت ﴿ويجعل الرجس﴾ العذاب ﴿على الذين لايعقلون﴾.

غرائب سورة هود وسبب نزول بعض آياتها

﴿ثم فصّلت﴾ بُيّنت ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ يكبّون (يخفضون رؤوسهم أى صدورهم) وقيل: يكون فى صدورهم شكّ وامتراء فى الحق ﴿يستخفوا منه﴾ ليتواروا من الله أن استطاعوا ﴿يستغشون ثيابهم﴾ يتدثّرون بها (أى يجعلونها دثارًا ساترًا) ويغطّون رؤوسهم بثيابهم ﴿ويعلم مستقرّها﴾ المكان الذى تأوى إليه، ويأتيها رزقها حيث كانت ﴿ومستودعها﴾ حيث تموت (المكان الذى تموت فيه) ﴿ما يحبسه﴾ ما يحبس العذاب عنّا؟ ﴿وحاق بهم﴾ نزل بهم وأحاط بهم ﴿لا جرم أنّهم فى الآخرة هم الأخسرون﴾ أى بلى أنهم الأخسرون ﴿وأخبتوا إلى ربّهم﴾ أى خافوا، وقيل: اطمئنّوا، وقيل: تابوا ﴿أراذلنا﴾ سقاطنا (أذلاءنا) ﴿بادى الرأى﴾ ما ظهر لنا (أى فى الظاهر) وقيل: اتّبعوك فى ظاهر الرأى، وباطنهم على خلاف ذلك.

---

(١) هذا من الإسرائيليات فإن قبول الإيمان وعدم قبوله بيد الله، فكيف يبخل جبرئيل بإيمان أحد؟ بل لا بد أن يفرح.

﴿فعميت عليكم﴾ خَفِيَت لعنادكم البيّنة ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ نضطرّكم إلى معرفتها ﴿تزدرى﴾ تستصغر وتستحقر ﴿أن يغويكم﴾ أن يضلّكم ﴿فعليّ إجرامى﴾ هو مصدر أجرمت يعنى عليّ عقوبة جرمى وذنبى ﴿الفلك﴾ وهى السفينة ﴿فلا تبتئس﴾ فلا تحزن ﴿ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا﴾ لا تراجعنى فيهم ؛ لأن الحكم على غرقهم قد صدر ﴿وفار التنّور﴾ نبع الماء منه ﴿مجراها﴾ مسيرها، وهو مصدر أجريتُ ﴿ومرساها﴾ موقفها، أرسيتُ وحبستُ، وبمعناه حسرتُ أى منعتها عن السير ﴿وكان فى معزل﴾ فى ناحية ﴿ابلعى﴾ اشربى (اجذبى) ﴿أقلعى﴾ أمسكى ﴿اعتراك﴾ (افتعال) من عروته أى أصبته يعنى أصابك ومسّك آلهتنا بسوء ﴿آخذ بناصيتها﴾ أى فى ملكه وسلطانه ﴿كلّ جبّار عنيد﴾ عنيد وعنود وعاند واحد، وهو تأكيد التجبّر ﴿واستعمركم فيها﴾ جعلكم عمّاراً، أى أعطاكم الأرض وسخّرها لكم مدة عمركم أو جعلكم عامرى الأرض ﴿غير تخسير﴾ غير تضليل ﴿كأن لم يغنوا﴾ لم يعيشوا، وقيل: كأن لم يكونوا ﴿بعجل حنيذ﴾ نضيج مما يُشوى بالحجارة ﴿نكرهم﴾ وأنكرهم واستنكرهم واحد، أى ما عرفهم ﴿أوجس فى نفسه خيفةً﴾ أضمر وكَتَمَ الخوف فى نفسه ﴿الروع﴾ الفزع ﴿منيب﴾ مقبل إلى طاعة الله تعالى ﴿سىء بهم﴾ ساء ظنّا بقومه ﴿وضاق بهم (بأضيافه) ذرعًا﴾ صدراً ﴿يوم عصيب﴾ يوم شديد ﴿يُهرعون إليه﴾ يسرعون ويُقبلون إليه بالغضب ﴿بقطع من الليل﴾ بسواد منه ﴿ولا يلتفت﴾ لايتخلّف، وقيل: لا ينظر وراءه ﴿من سجّيل﴾ (من سنگ گِل) من طين مطبوخ ﴿منضود﴾ يتلو بعضه بعضًا (متتابع بعضه بعضًا) ﴿ومسوّمة﴾ مُعلمة (بعلامة) ﴿ولا تعثوا﴾ ولا تسعوا ﴿لايجرمنّكم﴾ لايكسبنّكم (لايحملنّكم) ﴿رهطك﴾ عشيرتك ﴿واتّخذتموه وراءكم ظِهريّا﴾ أى لم يلتفتوا إليه وألقيتموه خلف ظهوركم ﴿بئس الورد المورود﴾ بئس الداخل المدخول (فى النار) ﴿بئس الرفد المرفود﴾ بئس اللعنة بعد اللعنة، وقيل: بئس العون المعين (اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل) رفدته أعنتُه (أو بئس المعونة التى أعينوا بها) ﴿تتبيب﴾ بلاء وهلاك وتخسّر ﴿زفير﴾ صوت شديد ﴿شهيق﴾ صوت ضعيف ﴿غير مجذوذ﴾ غير مقطوع

﴿ولا تركنوا﴾ لا تميلوا، إن رجلا أصاب قُبلة حرام من امرأة، فأتى رسول اللهﷺ، فذكر ذلك، فأنزلت ﴿وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل﴾ زلفًا ساعات بعد ساعات ﴿أترفوا﴾ أهلكوا ﴿أولو بقية﴾ دين وفضل وتمييز.

غرائب سورة يوسف

﴿غيابة الجبّ﴾ موضع مظلم من البئر، وقيل: كل شىء غيّب عنك شيئًا فهو غيابة و (الجبّ) الركية التى لم تطوَ ﴿وجاءت سيّارة﴾ مارّة الطريق ﴿سوّلت﴾ زيّنت ﴿أشدّه﴾ قبل أن يأخذ فى النقصان ﴿وراودته﴾ طلبت منه أن يواقعها.

﴿هَيتَ لك﴾ وقيل: هيَاتَ لك أى هلّم، وقيل: تعاله ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ (وهو قوله تعالى: ﴿إنه ربّى﴾ ﴿أحسن مثواى﴾ ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ ﴿قُدّت قميصه﴾ قطعته امرأة العزيز ﴿قد شغفها حبًا﴾ أى دخل حبّه فى شغاف قلبها وغلبها ﴿متّكأ﴾ والمتّكأ ما اتكأت عليه لشراب أو لحديث أو لطعام أى مجلسًا، وقيل: متكأ (بتخفيف التاء وسكونها) وهو طعام يقطع بالسكين، وقيل: هو الأترج ﴿أكبرنه﴾ أعظمنه ﴿فاستعصم﴾ امتنع وأبى لأجل العصمة ﴿أصب﴾ أميل ﴿قضى الأمر الذى فيه تستفتيان﴾ لما حكيا ما رأياه وعبّر يوسف، قال أحدهما ما رأينا شيئًا، فقال يوسف: قضى الأمر الذى فيه تستفتيان ﴿أضغاث أحلام﴾ ما لا تأويل له ﴿بعد أمة﴾ بعد حين ﴿قليلا مما تحصنون﴾ تخزنون وتدخرون ﴿وفيه يعصرون﴾ الأعناب والدهن ﴿الآن حصحص الحق﴾ تبيّن ووضح ﴿ونمير أهلنا﴾ نجلب إليهم الطعام ﴿إلاأن يحاط بكم﴾ أن تموتوا كلكم ﴿إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها﴾ أى لكنّ حاجة، يعنى ذلك الدخول (من أبواب متفرقة) قضاء حاجة يعقوب وهى إرادته (أن لا يدخلون من باب واحد) وأن يكون دخولهم من أبواب متفرقة، شفقةً عليهم ﴿آوى إليه﴾ ضمّ إليه ﴿والعير التى أقبلنا﴾ العير: الرفقة ﴿نفقد صواع الملك﴾ يعنى السقاية، وهو المكّوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه، كانت تشرب به الأعاجم ﴿خلصوا نجيّا﴾ انفردوا متناجين ﴿تفتؤ تذكر يوسف﴾ لاتزال تذكر يوسف ﴿حرضًا﴾ أى تكون الدفن (المدفون) الهالك من

شدّة الوجع، ويذيبك الهمّ.

﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾ لا تعيير عليكم ﴿فصلت﴾ خرجت ﴿تفنّدون﴾ تسفّهونى وتجهّلونى ﴿ببضاعة مزجاة﴾ قليلة ﴿غاشية من عذاب الله﴾ عقوبة عامة مجلّلة تغشاهم ﴿هذه سبيلى﴾ سنّتى ومنهاجى ودعوتى ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنّوا أنهم قد كذبوا﴾ قالت عائشة: (كذّبوا) بالتشديد، وليست بالتخفيف (إذ) لم يكن الرسل تظنّ ذلك بربها، ولكن أتباع الرسل طال عليهم البلاء حتى ظنّ الرسل أنهم (أتباعهم) قد كذّبوهم، وقال ابن عباس: (كذبوا) بالتخفيف هو كقوله تعالى: ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾.

غرائب سورة الرعد

قال رسول الله ﷺ: الرعد ملك من الملائكة موكّل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق السحاب حيث شاء الله ﴿وجعل فيها رواسى﴾ أوتدها بالجبال ﴿قطع متجاورات﴾ متدانيات بعضها قريب من بعض ﴿صنوان﴾ مجتمع، إذا كان أصل النخلات واحدًا فهو صنوان ﴿ونفضّل بعضها على بعض فى الأكل﴾ قال رسول الله ﷺ: الدقل والفارسى والحلو والحامض (يفضل بعضها على بعض) ﴿وقدخلت من قبلهم المثلات﴾ الأمثال والأشباه من عقوبات الأمم السالفة، وقيل: ما أصاب القرون الماضية من العذاب ﴿ولكل قوم هادٍ﴾ أى هادٍ وداعٍ إلى الله ﴿وما تغيض الأرحام﴾ تنقصه من مدة الحمل (أو الحمل) ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ السرّ والعلانية ﴿وسارب بالنهار﴾ السارب الظاهر المارّ على الطريق ﴿له معقّبات﴾ ملائكة ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ أى بإذن الله.

﴿وما لهم من دون الله من والٍ﴾ أى من والٍ يلى أمرهم ﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ أى يخلق ﴿وهو شديد المحال﴾ أى شديد القوّة، وقيل: شديد المكر والعداوة، وقيل: شديد العقوبة ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ أى على طاقتها، وبمقدار ما يملأها ﴿زبدًا﴾ ما يعلو الماء ﴿رابيًا﴾ عاليًا من ربا يربو.

﴿فأمّا الزبد فيذهب جفاء﴾ وهو ما رمى به الوادى يقال: أجفأت القدر إذا

غلت فعلاها الزبد، ثم يسكن، فيذهب الزبد بلا منفعة، فكذلك يميّز الله الحق من الباطل ﴿وبئس المهاد﴾ الفِراش ﴿ويدرؤون﴾ يدفعون ﴿إلا متاع﴾ أى قليل ذاهب يتمتع به ثمّ يفنى ﴿طوبى﴾ فرح وقرّة عين ﴿أفلم ييأس﴾ أفلم يتبيّن أو أفلم يعلم ﴿متاب﴾ توبتى ﴿قارعة﴾ داهية ﴿فأمليت﴾ أمللت لهم من الملىّ ﴿من واقٍ﴾ مانع وحاجز ﴿يمحو الله ما يشاء ويُثبت﴾ يمحو الله بالدعاء ما يشاء من القدر، ويثبت ما يشاء ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بموت علماءها وفقهاءها، وقيل: بالفتوح على المسلمين ﴿لا معقّب لحكمه﴾ أى لامغيّر لحكمه (لا يستطيع أحد أن يحكم خلاف حكمه تعالى).

غرائب سورة إبراهيم

قال رسول الله ﷺ: المسلمُ إذا سئل فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، فذلك (مصداق) قوله تعالى: ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ ﴿وإذ تأذّن ربّكم﴾ أعلمكم ﴿لمن خاف مقامى﴾ حيث يقيمه الله بين يديه ﴿من وراءه﴾ قدّامه ﴿فردّوا أيديهم فى أفواههم﴾ هذا مثل، أى كفّوا عما أرادوا به، وقيل: عضّوا عليها ﴿صديد﴾ قيح ودم ﴿ولايكاد يسيغه﴾ ولا يجيزه فى الحلق إلا بعد إبطاء ﴿فى يوم عاصف﴾ شديد هبوب الريح ﴿إنّا كنا لكم تبعًا﴾ واحدها تابع، ﴿فهل أنتم مغنون﴾ دافعون عنا.

﴿ما أنا بمصرخكم﴾ بمغيثكم، استصرخنى استغاثنى، يستصرخه من الصراخ ﴿اجتثّت﴾ استؤصلت وانتزعت ﴿دار البوار﴾ دار الهلاك، سئل على رضـ من هذه الآية: ﴿ألم ترَ إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار﴾ قال منافقو قريش: ﴿ولا خلال﴾ مخاللة وقرابة، مصدر خاللته خِلالا ﴿دائبين﴾ مقيمين على طاعة الله ﴿مهطعين﴾ ناظرين، وقيل: مقبلين مذعنين خاشعين، وقيل: مسرعين إلى الداعى ﴿مقنعى رؤوسهم﴾ رافعى رؤوسهم إلى السماء ﴿وأفئدتهم هواء﴾ خالية (عن الفهم والإدراك خوفًا من ذلك اليوم) ﴿مقرّنين فى الأصفاد﴾ متصلين بشياطينهم بالوثاق فى الأصفاد، والأصفاد السلاسل والأغلال ﴿سرابيلهم﴾ قمصهم ﴿من قطران﴾ من النحاس المذاب.

غرائب سورة الحجر

﴿يُلهِهم الأمل﴾ يشغلهم الأمل ﴿كتاب معلوم﴾ أجل مكتوب ومعلوم ينتهون إليه ﴿سُكّرت أبصارنا﴾ أى سُدّت وغُشيت ﴿بروجًا﴾ منازل للشمس ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ من الثمار والحبوب ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ حوامل لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب.

﴿من صلصال﴾ طين خُلط برمل، فيصلصل كما يصلصل الفخّار، ويقال: مُنتِن ﴿من حمأ﴾ جماعة حمئة، طين أسود، وقيل: هو الطين المتغيّر ﴿مسنون﴾ مصبوب (فى القالب)، وقيل: متغيّر الرائحة ﴿هذا صراط علىّ مستقيم﴾ أى هذا صراط مستقيم يرجع إلى الله، وعليه طريقه (تعيين طريقه وهدايته إليه) يعنى هذا طريق مرجعه إلىّ.

﴿نصب﴾ إعياء وتعب، وقيل: عناء ﴿وجلون﴾ فزعون ﴿لا توجل﴾ لاتخف ﴿قوم منكرون﴾ أنكرهم لوط ولم يعرفهم ﴿واتبع أدبارهم﴾ اذهب على آثار بناتك وأهلك لئلا يتخلف منهم أحد ﴿لعمرك﴾ بعيشك وبحياتك ﴿فى سكرتهم﴾ فى ضلالتهم ﴿يعمهون﴾ يتمادّون ﴿الصّيحة﴾ الهلكة ﴿مشرقين﴾ داخلين فى وقت شروق الشمس ﴿للمتوسّمين﴾ للناظرين، وقيل: للمتفرّسين المتثبّتين فى النظر حتى يعرفوا حقيقة الشىء من سمته ﴿وإنّها﴾ يعنى مدينة قوم صالح ﴿لبسبيل مقيم﴾ على طريق قومك إلى الشام، وهو طريق لايندرس ولايخفى ﴿لبإمام مبين﴾ والإمام كلّ ما ائتممت واهتديتَ به، يعنى بطريق واضح ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ الصفح الجميل هو الاعراض بغير فحش.

﴿آتيناك سبعًا من المثانى والقرآن العظيم﴾ يعنى الفاتحة، وهى سبع آيات، وتثنّى فى كل صلاة، امتنّ الله على رسوله بهذه السورة، كما امتنّ عليه بجميع القرآن، قال رسول الله ﷺ: هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته ﴿على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين﴾ أى الذين حلفوا، ومنه ﴿لا أقسم﴾ أى أقسم، هم أهل الكتاب الذين جزؤوه (أى كتابهم الذى سمّى قرآنًا، والمراد بالقرآن

الكتاب السماوى) أجزاءً فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، وهو قول ابن عباس ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أى أظهر وأجهر بما أمرك الله، أى بما أمرك الله من الدعوة.

غرائب سورة النحل وسبب نزول بعض آياتها

﴿أتى أمر الله﴾ عذابه ﴿ينزّل الملائكة بالروح﴾ بالوحى ﴿فيها دفء﴾ أى فى الثياب، وقيل: كل ما استدفأت به من الأكسية والأبنية ﴿ولكم فيها جمال﴾ زينة ﴿حين تريحون﴾ تردّونها إلى مراحها بالعشىّ ﴿وحين تسرحون﴾ تُخرجونها إلى المرعى بالغداة ﴿إلا بشقّ الأنفس﴾ يعنى بالمشقّة ﴿قصد السبيل﴾ البيان، وقيل: الإسلام والطريق المستقيم الذى يؤدى إلى رضاء الله تعالى ﴿ومنها جائر﴾ عادل ومائل إلى الأهواء المختلفة ﴿تسيمون﴾ ترعون مواشيكم ﴿لحمًا طريًا﴾ السمك (والطيور البحرية) ﴿مواخر﴾ شاقّة الماء ﴿أن تميد بكم﴾ أى تتحرك بكم وتكفأ ﴿وعلامات﴾ يعنى الجبال وهنّ علامات للطريق بالنهار ﴿أو يأخذهم فى تقلّبهم﴾ اختلافهم للسفر والتجارة ﴿فما هم بمعجزين﴾ بممتنعين على الله ﴿أو يأخذهم على تخوّف﴾ تنقّص من أعمالهم ﴿يتفيّؤ ظلاله﴾ يتميّل ﴿وله الدين واصبًا﴾ لله الطاعة دائمًا ﴿فإليه تجئرون﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة ﴿وهو كظيم﴾ مغموم ﴿أم يدسّه فى التراب﴾ يخفيه بالدفن فى التراب ﴿وأنهم مُفرَطون﴾ منسيّون ومتروكون (أو مُقدّمون إلى النار) ﴿سائغًا للشاربين﴾ جائزًا وذاهبًا فى حلوقهم ﴿تتخذون منه سكرًا﴾ وهو الخمر، والسكر هو ما حرّم الله تعالى (فيما بعد) ﴿ومن ثمراتها رزقًا حسنًا﴾ هو ما أحلّ الله من ثمراتها وهو الخلّ والزبيب والتمر ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ ألهمها وقذف فى أنفسها ﴿ذُللا﴾ منقادة مسخّرة ﴿بنين وحفدةً﴾ يعنى ولد الولد، وقيل: الأصهار وهم الأعوان.

﴿وهو كَلّ على مولاه﴾ ثقيل ووبال ﴿تستخفّونها يوم ظعنكم﴾ يخفّ عليكم حملها فى أسفاركم ﴿أثاثًا ومتاعًا﴾ أثاثًا أى طنافس وأكسية وبُسُطًا ﴿أكنافًا﴾ يعنى الغيران والأسراب ﴿سرابيل﴾ قُمُصًا ﴿تقيكم الحرّ﴾ تمنعكم الحرّ، وأما سرابيلكم التى تقيكم بأسكم فهى الدروع، فإنها تمنعكم شدّة الطعن والضرب

والرمى ﴿ولا هم يُستعتبون﴾ لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى ما يرضى الله عنه ﴿الفحشاء﴾ الزنا ﴿يعظكم﴾ يوصيكم ﴿نقضت غزلها﴾ أى أفسدت، كانت امرأة خرقاء إذا أبرمت غزلها نقضته ﴿من بعد قوّة أنكاثًا﴾ أى من بعد قوة الغزل بإمراره وفتله، أنكاثًا أى قِطعًا وخِرقًا ﴿دخلا بينكم﴾ أى غشّا وخديعة، وكل شىء لم يصح فهو دخل ﴿أن تكون أمّة هى أربى من أمة﴾ أى أكثر وأعلى من قوم ﴿تزلّ قدم بعد ثبوتها﴾ تزلّ عن الإيمان بعد المعرفة بالله ﴿ما عندكم ينفَد﴾ يفنى وينقطع ﴿وما عند الله باقٍ﴾ دائم لا ينقطع ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ فإذا أردت أن تقرأ القرآن، فاسأل الله أن يعيذك، وهذا (بيان القراءة والاستعاذة) مقدّم ومؤخر، وذلك أن الاستعاذة قبل القراءة، ومعنى الاستعاذة الاعتصام بعون الله.

﴿روح القدس﴾ جبرئيل ﴿لسان الذى يلحدون إليه﴾ اللغة التى يُميلون القول إليها ويزعمون أن صاحبها يعلّمك أعجميةٌ، فلا يفصح صاحب تلك اللغة، ولا يتكلم بالعربية، قال الكفّار: إنما يُعلّم محمداً عبد بن الحضرمى وهو صاحب الكتاب، فقال الله تعالى: ﴿لسان الذى يلحدون إليه أعجمىّ وهذا لسان عربىّ مبين﴾ ﴿من بعد ما فُتِنوا﴾ أى عُذّبوا ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله﴾ قال ابن مسعود: "(الأمة) معلّم الخير، والقانت المطيع لله" فأمة قانتًا معلّم الخير ومطيعًا لله، ﴿وآتيناه فى الدنيا حسنة﴾ يعنى الذكر والثناء الحسن فى الناس.

غرائب سورة بنى إسرائيل وسبب نزول بعض آياتها

﴿سبحان الذى﴾ براءة له من السوء ﴿أسرى بعبده﴾ سيّر محمداً ﷺ، إشارة إلى قصّة المعراج ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ كان نوح -عليه السلام- إذا طعم طعامًا، أو لبس ثوبًا حمد الله، فسمّى عبداً شكوراً ﴿وقضينا إلى بنى إسرائيل﴾ أخبرناهم أنهم سيفسدون، أوحينا إليهم وأعلمناهم ﴿ولتعلُنّ﴾ لتَبغنّ ﴿وعد أولاهما﴾ يعنى المرّة الأولى من الفساد ﴿عباداً لنا﴾ يعنى جالوت وقومه ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ فمشوا وتردّدوا أو اسط منازلهم.

﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم﴾ رددنا الدولة لكم عليهم بقتل جالوت ﴿أكثر

نفيرًا﴾ أكثر عددًا من عددكم ﴿ليتبرّوا﴾ ليدمّروا ويخرّبوا ﴿ما علوا﴾ ما غلبوا عليه ﴿حصيرًا﴾ سجنًا ومحبسًا ﴿وكان الإنسان عجولا﴾ يعجل بالدعاء فى الشرّ عجلته بالدعاء فى الخير ﴿مبصرةً﴾ مضيئةً يبصر فيها ﴿وكل شىء فصّلناه تفصيلا﴾ بيّناه تبيينًا.

﴿وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها﴾ أمرناهم على لسان رسولهم بالطاعة، وأعنى بالمترفين الجبّارين والمُسلّطين، وقيل: سلّطنا شرارها (على غيرهم من الضعفاء) ﴿ففسقوا فيها فحقّ عليها القول﴾ فوجب عليها القول بالعذاب ﴿فدمّرناها﴾ أهلكناها ﴿من كان يريد العاجلة﴾ الدنيا ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها﴾ عمل بفرائض الله ﴿كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك﴾ يعنى الدنيا، وهى مقسومة بين البرّ والفاجر ﴿وما كان عطاء ربّك محظورًا﴾ ممنوعًا فى الدنيا من المؤمنين والكافرين ﴿وقضى ربك﴾ قد مرّ معناه (أمر ربك) ﴿ولا تقل لهما أفّ﴾ كلمة تحقير وأذية وسوء أدب، ولاتستثقل شيئًا من أمرهما.

﴿واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة﴾ أى ألِن جانبك لهما ﴿إنّه كان للأوّابين غفورًا﴾ أى للراجعين عن المعاصى ﴿ولا تبذّر تبذيرًا﴾ لا تُنفق فى الباطل ﴿وإمّا تُعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربّك﴾ انتظار رزقٍ من ربك ﴿فقل لهم قولا ميسورًا﴾ ليّنًا سهلا ﴿ملومًا﴾ تلوم نفسك وتلام ﴿محسورًا﴾ ليس عندك شىء، يقال: حسرتُ الرجل بالمسألة إذا أفنيتَ جميع ما عنده ﴿خشية إملاق﴾ مخافة الفقر ﴿إن قتله كان خطأ كبيرًا﴾ إثمًا كبيرًا ﴿فقد جعلنا لوليّه﴾ لوارثه ﴿سلطانًا﴾ دليلا على أخذ القصاص ﴿وأحسن تأويلا﴾ عاقبةً ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم﴾ ولاتقل فى شىء بما لا تعلم، أى لا تذهب خلف ما لا تعلمه ﴿ولا تمشِ فى الأرض مرحًا﴾ فخرًا وتكبّرًا ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ لن تنقبها ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ أى آثر لكم البنين وأخلص لكم ﴿واتخذ﴾ لنفسه ﴿من الملائكة إناثًا﴾.

﴿ولقد صرّفنا فى هذا القرآن﴾ وجّهنا وبيّنا بأساليب مختلفة ﴿من كل مثل﴾ يوجب الاعتبار به والتفكير فيه ﴿حجابًا مستورًا﴾ معناه ساترًا (مصدر بمعنى اسم

الفاعل) ﴿وإذ هم نجوى﴾ مصدر من "ناجيتُ" فوصفهم بها مبالغةً، والمعنى يتناجون بالتكذيب والاستهزاء ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ يحركونها تكذيبًا واستهزاءً بهذا القول، وقيل: يهزءون (برؤوسهم).

﴿فتستجيبون بحمده﴾ يجيبون بحمده حين لا ينفعهم الحمد ﴿إنّ الشيطان ينزغ بينهم﴾ يفسد بينهم ﴿لا يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلا﴾ أى التحويل من السقم إلى الصحة ولا من الفقر إلى الغنى ﴿أولائك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجنّ، فأسلم الجنّ، وتمسّك هؤلاء (المشركون) بدينهم (بشركهم) ﴿أيّهم أقرب﴾ إلى رحمة الله.

﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك﴾ قال ابن عباس: هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ﴿والشجرة الملعونة فى القرآن﴾ وهى الزقّوم ﴿لأحتنكنّ ذريّته﴾ لأستأصلنّهم بالإغواء، ولأستولينّ عليهم ﴿جزاءً موفورًا﴾ وافرًا كثيرًا ﴿واستفزز من استطعت منهم﴾ أزعجه واستخفّه بصوتك وهو الغناء والمزامير.

﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ وصح (ارفع صوتك) عليهم بالفرسان والماشى على رجليه ﴿ربكم الذى يزجى لكم الفلك﴾ يُجرى ويسيّر ﴿حاصبًا﴾ الريح العاصف (ترفع الحصباء) (تجرى من الأرض إلى السماء) ﴿قاصفًا من الريح﴾ ريحًا شديدةً تقصف الفلك وتكسره ﴿تبيعًا﴾ ثائرًا (طالبًا للثأر والانتقام) وناصرًا ﴿فتيلا﴾ وهو القشرة التى تكون فى شق النواة ﴿وأضلّ سبيلا﴾ أبعد حجةً ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ يستزلّونك ﴿ضعف الحياة وضعف الممات﴾ ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة ﴿وإن كادوا ليستفزّونك﴾ ليُزعجونك ﴿وإذًا لايلبثون خلافك إلا قليلا﴾ لم يلبثوا حتى يُستأصلوا خلفك ﴿لدلوك الشمس﴾ من وقت زوالها ﴿إلى غسق الليل﴾ إقباله بظلامه ﴿وقرآن الفجر﴾ صلاة الفجر ﴿إنّ قرآن الفجر كان مشهودًا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ﴿نافلةً لك﴾ زيادةً لك ﴿مقامًا محمودًا﴾ يقيمك ربك فى مقام محمود أى فى مقام تحمد الله فيه بمحامد لم تكن تعرفها فى الدنيا (يعلّم الله فيه رسوله بمحامد لم يكن يعلمها الرسول ﷺ فى الدنيا)، وهو مقام الشفاعة الكبرى يوم القيامة ﴿وزهق الباطل﴾

اضمحلّ الشرك ﴿زهوقًا﴾ زائلا ، يزهق يهلك ، وقيل : ذاهبًا ﴿يؤوسًا﴾ ، قنوطًا ، يئيس من رحمة الله ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾ على نيته وعلى طريقته ، ومذهبه ، وقيل : على ناحيته .

قل الروح من أمر ربى﴾ أى من حكم ربّى ، قالت اليهود : يا أبا القاسم حدّثنا عن الروح ، فنزلت ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ ﴿كِسفًا﴾ قطعًا ﴿قبيلا﴾ عيانًا ﴿كُلّما خبت﴾ طفِئت ﴿ورفاتًا﴾ غبارًا ﴿قتورًا﴾ مقترًا بخيلا ﴿مثبورًا﴾ ملعونًا ، وقيل : محبوسًا من الخير ﴿فرقناه﴾ فصّلناه (أنزلناه فى أوقات متفرقة) ﴿يخرّون للأذقان﴾ للوجوه ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ اطلب بين الجهر والإعلان ، وبين المخافة والخفض طريقًا ، لا جهرًا شديدًا ولا خفضًا لا تُسمع أذنيك ، كان رسول الله ﷺ إذا رفع صوته بالقرآن سبّه المشركون ، ومن أنزله ، ومن جاء به ، فأنزل الله ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ الآية ﴿ولم يكن له ولىّ من الذلّ﴾ لم يحالف أحدًا (لينجيه من الذلّ لأنه غنىّ ومنزّه عن الذلّ) .

غرائب سورة الكهف وسبب نزول بعض آياتها

﴿عوِجًا﴾ ملتبسًا ، واختلافًا ﴿قيّمًا﴾ عدلا (وقيل : مقوّم الحوائج الشرعية) ﴿باخع نفسك﴾ مهلك نفسك ﴿أسفًا﴾ ندمًا (أو حزنًا) ﴿الكهف﴾ الفتح فى الجبل ﴿الرقيم﴾ الكتاب ، وقيل : اللوح من رصاص كتب عاملهم أسماءهم ، ثمّ طرحه فى خزَانَته ﴿فضربنا على آذانهم﴾ فضرب الله على آذانهم فناموا ﴿ثم بعثناهم﴾ أحييناهم وأيقظناهم﴾ ﴿لما لبثوا أمدًا﴾ أى غايةً ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ ألهمناهم صبرًا ﴿لقد قلنا إذًا شططًا﴾ إفراطًا (وكذبًا) ﴿يهيّئ لكم من أمركم مِرفقًا﴾ كلّ ما رفُقتَ به أى رفقًا وسهولةً ﴿تزاور عن كهفهم﴾ تميل ﴿تقرضهم﴾ تتركهم ﴿وهم فى فجوة منه﴾ متّسع منه ﴿بالوصيد﴾ بالفناء ﴿فلينظر أيّها أزكى طعامًا﴾ أى أكثر طعامًا ، وقيل : أحلّ وأطيب ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ (لا تتجاوزعيناك) عنهم إلى غيرهم .

﴿فُرُطًا﴾ ندمًا ﴿نارًا أحاط بهم سرادقها﴾ مثل سرادق الحجرة التى تُطيف

بالفساطيط ﴿كالمهل﴾ عكر الزيت ﴿ولم تظلم﴾ لم تنقص ﴿وكان له ثمر﴾ ذهب وفضّة ﴿يحاوره﴾ يحاور به من المحاورة ﴿لكنّا هو الله ربّى﴾ أى لكن أنا هو الله ربّى، ثم حُذف الألف (همزة "أنا") وأدغم إحدى النونين فى الأخرى (فصار لكنّا) ﴿حسبانًا من السماء﴾ نارًا ﴿زلقًا﴾ لا يثبت فيه قدم ﴿هنالك الولاية﴾ مصدر الولى (ومعناه الربوبية) ﴿وخير عقبًا﴾ عاقبة، وهى الآخرة ﴿والباقيات الصالحات﴾ ذكر الله ﴿موبقًا﴾ مهلكًا ﴿أو يأتيهم العذاب قُبُلا﴾ أى استئنافًا (عذابًا جديدًا لا مثل عذاب الأولين) وقيل: مقابلة ﴿ليدحضوا به الحق﴾ أى ليزلوا به الحق، والدحض الزلق ﴿موئلا﴾ محرزًا وملجأ ﴿أو أمضى حُقُبًا﴾ دهرًا طويلا ﴿سربًا﴾ مذهبًا يُسرُب ويسلك فيه ﴿فارتدّا على آثارهما قصصًا﴾ رجعا يقصّان آثارهما الذى أتياه ﴿فوجدا عبدًا من عبادنا﴾ خضر -عليه السلام-.

﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا﴾ أن يحملهما حبّه على أن يتابعاه على دينه ﴿وأقرب رحمًا﴾ من الرحم، وهى أشدّ مبالغةً من الرحمة ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ ذهب وفضّة ﴿وآتيناه من كل شىء سببًا﴾ أى علمًا ﴿عين حمئة﴾ حارّة ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ بين الجبلين ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ أن يعلوه ﴿جعله دكّاء﴾ متزلزلا، يقال: دكّه زلزله ﴿لا يستطيعون سمعًا﴾ لا يعقلون ﴿ويحسبون أنهم يُحسنون صنعًا﴾ قال على رضـ: منهم الحرورية (الخوارج)، قال سعد: لا، ولكنهم (أهل) الصوامع، والحرورية قوم زاغوا، فأزاغ الله قلوبهم، قال أبىّ: ولكن الخوارج هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه.

غرائب سورة مريم وسبب نزول بعض آياتها

﴿لم نجعل له من قبل سميًّا﴾ مثِلا ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سويًّا﴾ من غير خرس ﴿وحنانًا من لدنا﴾ رحمةً من عندنا ﴿بشرًا سويًّا﴾ هو عيسى (وقيل: هو جبرئيل) ﴿ولم يكن جبّارًا عصيًّا﴾ أى لم يكن شقيًّا عصيًّا، قالت اليهود: ألستم تقرؤون يا أخت هارون؟ وقد كان بين موسى وعيسى ما كان، فأجاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسمّون بأسماء الأنبياء والصالحين قبلهم

﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة﴾ ألجأها وجع الولادة ﴿قد جعل ربك تحتك سريّا﴾ أى نهرًا صغيرًا ﴿رطبًا جنيًا﴾ طريًا ﴿انتبذت﴾ اعتزلت ﴿لقد جئت شيئًا فريًا﴾ عظيمًا ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ الكفّار يومئذٍ أسمع شىء وأبصره ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ إذا نودى يا أهل الجنة خلد ولاموت، ويا أهل النار خلود ولا موت ﴿لأرجمنك﴾ لأشتمنّك ﴿لسان صدق عليًا﴾ الثناء الحسن ﴿واهجرنى﴾ واجتنبنى ﴿إنه كان بى حفيّا﴾ لطيفًا ﴿سجّدًا وبكيّا﴾ جمع باكٍ ﴿غيّا﴾ خسرانًا ﴿لا يسمعون فيها لغوًا﴾ باطلا، قال رسول الله ﷺ لجبرئيل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت ﴿ومانتنزّل إلا بأمر ربك﴾ ﴿وما كان ربك نسيًا﴾ الخبر، ليس تأخيرى وقلّة زيارتى من نسيان ربك ﴿هل تعلم له سميًا﴾ لم يسمّ أحد بـ(الرحمن) غيره تعالى ﴿عتيّا﴾ عصيّا ﴿أولى بها صليّا﴾ (من) صَلِيَ يَصلى يعنى دخولا واحتراقًا ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ يردونها ثمّ يَصدرُونَ بأعمالهم ﴿حتمًا مقضيّا﴾ الحتم الواجب ﴿أحسن نديّا﴾ النادى المجلس ﴿أثاثًا ورءيًا﴾ متاعًا ومنظرًا، وقيل: الرءى الشراب، قال خبّاب: جئتُ العاص بن وائل أتقاضاه حقّا لى عنده، قال: لا، والله لاأعطيك حتى تكفّر بمحمد، فقلت: لا، حتى تموت وتُبعث، قال: وإنّى لميّت ثمّ مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إنّ لى هنالك مالا وولدًا فأقضيك، فنزلت ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالا وولدًا﴾ ﴿إدّا﴾ قولا عظيمًا ﴿تؤزّهم أزّا﴾ تغويهم إغواءً، وقيل: تزعجهم إزعاجًا من الطاعة إلى المعصية ﴿نعدّ لهم عدّا﴾ نعدّ أنفاسهم التى يتنفّسون بها فى الدنيا (أو نعدّ لهم أعمالهم عدّا) ﴿وردًا﴾ عطاشًا ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾ شهادة أن لا إله إلا الله ﴿وتخرّ الجبال هدّا﴾ هدمًا، وقيل: كسرًا ﴿قومًا لدّا﴾ شديدًا فى الخصومة جمع الألدّ، وقيل: عوجًا ﴿أو تسمع لهم ركزًا﴾ صوتًا.

غرائب سورة طـه

﴿الوادى المقدّس﴾ المبارك، واسمه طوىٰ ﴿أكاد أخفيها﴾ لا أظهر عليها أحدًا غيرى ﴿سيرتها الأولى﴾ حالتها الأولى ﴿واحلل عقدةً من لسانى﴾ كل ما لم ينطق لأجله بحرف أو فيه تمتمة، أو فأفأة فهى عقدة ﴿اشدد به أزرى﴾ ظهرى ﴿إنا نخاف أن يفرط علينا﴾ أن يعجّل علينا بالعقوبة ﴿أو أن يطغى﴾ أو يتعدّى ﴿فأوجس فى نفسه خيفة موسى﴾ أضمر موسى فى نفسه خوفًا ﴿وفتنّاك فتونًا﴾ اختبرناك اختبارًا ﴿ولا تنيا فى ذكرى﴾ ولا تضعفا فى ذكرى ﴿ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه﴾ أى خلق لكل شىء زوجًا، ثم هداه إلى منافعه من المنكح والمطعم والمشرب ﴿لا يضلّ ربّى﴾ لا يخطئ ﴿فى جذوع النخل﴾ أى على جذوع النخل ﴿لأولى النهى﴾ أولى التقى، وقيل: لذوى العقول ﴿تارة أخرى﴾ مرةً ثانيةً يوم القيامة ﴿فيسحتكم﴾ فيهلككم ﴿ونزّلنا عليكم المنّ والسلوى﴾ طائر يشبه بالسمانى.

﴿ولا تطغوا فيه﴾ لا تضلوا فيه ﴿فقد هوى﴾ فقد شقى ﴿بملكنا﴾ بأمرنا واختيارنا ﴿ظلتَ عليه عاكفًا﴾ أقمت عليه ﴿لننسفنّه فى اليمّ﴾ لنستنذرينّه فى البحر ﴿وساء لهم﴾ بئس لهم ﴿يتخافتون بينهم﴾ يتشاورون ﴿فيذرها قاعًا﴾ مستويًا، وقيل: أرضًا ملساء، وقيل: يعلوه السماء ﴿صفصفًا﴾ الصفصف ما لانبات فيه، وقيل: المستوى من الأرض ﴿لا ترى فيها عوجًا﴾ منخفضًا ﴿ولاأمتًا﴾ ما ارتفع من الروابى ﴿مكانًا سُوى﴾ منصفًا بينهم ﴿يبسًا﴾ يابسًا ﴿على قدر﴾ موعِد ﴿خطبك﴾ بالك (أى ما كان فى بالك وقلبك؟ أو ما هو الأمر المهمّ الذى حملك على هذا؟) ﴿أن لامساس﴾ مصدر ماسّه مساسًا ﴿معيشة ضنكًا﴾ الضنك الشديد، وقيل: الشقاء، قال رسول الله ﷺ: هو عذاب القبر (وهذا روى عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى موقوفًا لا مرفوعًا، كذا فى معالم التنزيل ¨) ﴿خشعت الأصوات﴾ سكنت ﴿همسًا﴾ الصوت الخفى، وقيل: حسّ الأقدام، وصوت وطء الأقدام الخفى، والكلام الخفى.

﴿وعنت الوجوه﴾ ذلّت ﴿ولا يخاف ظلمًا﴾ أن يُظلم ويزاد فى سيئاته ﴿من زينة القوم﴾ الحليّ الذى استعاروه مَن آل فرعون ﴿فقذفناها﴾ ألقيناها (صنعناها) ﴿ألقى السامرى﴾ صنعه ﴿بطريقتكم المثلى﴾ تأنيث الأمثل، يقول: يذهبا بدينكم الأفضل ﴿أمثلهم طريقةً﴾ أعدلهم ﴿فلا يخاف ظلمًا﴾ بزيادة السيئات ﴿ولاهضمًا﴾ بنقص الحسنات ﴿له خوار﴾ صياح ﴿لم حشرتنى أعمى﴾ عن حجّتى ﴿وقد كنت بصيرًا﴾ فى الدنيا ﴿لاتظمؤا﴾ لا تَعطش ﴿ولا تضحى﴾ لايصيبك حرّ.

غرائب سورة الأنبياء وسبب نزول بعض آياتها

﴿فلمّا أحسّوا بأسنا﴾ توقّعوا من أحسستُ ﴿خامدين﴾ ميّتين، وقيل: هامدين (من الهدم) ﴿لعلكم تسئلون﴾ تُفهّمون (بعد السؤال) ﴿الويل﴾ وادٍ فى جهنّم ﴿لا يستحسرون﴾ لا يَعيَون (لا يُتعبون) ﴿إلا لمن ارتضى﴾ لمن رضى (أى قال: لا إله إلا الله) ﴿كلّ فى فلك يسبحون﴾ كلّ فى مداره يجرون، وقيل: يدورون (معالم التنزيل).

﴿ولا هم منّا يُصحبون﴾ يجارون، وقيل: يُمنعون ﴿ننقصها من أطرافها﴾ ننقص أهلها وبركتها ﴿التماثيل﴾ الأصنام ﴿فجعلهم جذاذًا﴾ حطامًا (قطعةً قطعةً) ﴿ثمّ نكسوا﴾ رُدّوا إلى الكفر بعد ما أقرّوا على أنفسهم بالظلم ﴿إذ نفشت فيه غنم القوم﴾ رعت فيه، النفش الرعى بالليل ﴿صنعة لبوس لكم﴾ صنعة الدروع لكم ﴿فظنّ أن لن نقدر عليه﴾ لن نأخذه بالعذاب الذى أصابه ﴿إنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة﴾ دينكم دين واحد ﴿وتقطّعوا أمرهم بينهم﴾ اختلفوا ﴿من كُلّ حَدَبٍ﴾ شرف (موضع مرتفع) ﴿ينسلون﴾ يُقبلون ويسرعون ﴿حصب جهنّم﴾ حطب جهنم ووقودها، وقيل: شجرها.

ولما نزلت ﴿إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم أنتم لها واردون﴾ قال المشركون: الملائكة وعيسى وعزير يُعبَدون من دون الله (فكيف يكونون حصب جهنم؟) فنزلت ﴿إن الذين سبقت منا الحسنى أولائك عنها مبعدون﴾ ﴿لايسمعون حسيسها﴾ الحسيس والحسّ واحد، وهو من الصوت الخفىّ ﴿كطىّ السجلّ

للكتب﴾ السجلّ الصحيفة كطيّ الصحيفة على الكتاب، قال رسول الله ﷺ: ياأيّها الناس إنّكم محشورون إلى الله عراةً غرلا، ثم قرأ ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ ﴿آذنتكم﴾ أعلمتكم.

غرائب سورة الحج وسبب نزول بعض آياتها

﴿إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ قال رسول الله ﷺ: ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم: ابعث بعث النار، (قيل: كم بعث النار قال) تسع مائة وتسعة وتسعون فى النار، وواحد فى الجنة ﴿تذهل﴾ تشغل ﴿بهيج﴾ حسن ﴿ثانى عطفه﴾ مستكبرًا فى نفسه ﴿لا يصهر﴾ يذاب ﴿من يعبد الله على حرف﴾ على شكّ، وقيل: يقدم الرجل المدينة، فإن ولدت امرأته غلامًا، ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربّهم﴾ نزلت فى الذين بارزوا يوم بدر: حمزة، وعليّ، وعبيدة، وعتبة، وشيبة، والوليد ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ بحبل إلى سقف البيت ﴿وهُدوا إلى الطيّب من القول﴾ ألهموا القرآن.

﴿وهُدوا إلى صراط الحميد﴾ الإسلام ﴿من كلّ فجّ عميق﴾ طريق بعيد ﴿البائس الفقير﴾ الذى لا يجد شيئًا من شدة الحال ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ بعد وضع إحرامهم من حلق الرأس، ولبس الثياب، وقصّ الأظفار ونحو ذلك.

﴿وليطوّفوا بالبيت العتيق﴾ قال رسول الله ﷺ: إنما سمّى البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبّار ﴿ولكلّ أمّة جعلنا منسكًا﴾ عيدًا ﴿وبشّر المخبتين﴾ المطمئنّين ﴿وأطعموا القانع﴾ المتعفّف الذى يقنع بما أعطى ﴿والمعترّ﴾ السائل (غير القانع) ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ هى أول آية نزلت فى القتال ﴿وقصر مشيد﴾ بالجصّ والآجرّ ﴿إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان فى أمنيته﴾ إذا حدّث ألقى (فى نفسه هداية الأمّة) الشيطان فى حديثه، فيبطل الله ما يلقى الشيطان ويحكم الله آيته ﴿يكادون يسطون﴾ يفرطون من السطوة.

غرائب سورة المؤمنون وسبب نزول بعض آياتها

﴿قد أفلح المؤمنون﴾ فازوا وسعدوا ﴿خاشعون﴾ ساكتون خائفون ﴿من سلالة﴾ من نطفة ﴿سبع طرائق﴾ سبع سموات ﴿تنبت بالدهن﴾ هو الزيت ﴿وأترفناهم﴾ وسّعناهم ﴿هيهات هيهات﴾ بعيد بعيد ﴿فجعلناهم غثاء﴾ الزبد وما ارتفع عن الماء، وما لا ينتفع به ﴿ربوة ذات قرار ومعين﴾ الربوة المكان المرتفع، قال رسول الله ﷺ: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا﴾ يتبع بعضهم بعضًا ﴿ذات قرار﴾ خصب ﴿ومعين﴾ ماء طاهر ﴿أمتكم﴾ دينكم ﴿وقلوبهم وجلة﴾ خائفون، سألت عائشة النبى ﷺ عن هذه الآية ﴿والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة﴾ أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم.

﴿أولائك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون﴾ أى سبقت لهم السعادة ﴿إذا هم يجئرون﴾ يستغيثون ﴿سامرًا تهجرون﴾ حول البيت ويقولون هجرًا ﴿تنكصون﴾ تُدبِرون ﴿عن الصراط لناكبون﴾ عن الحق عادلون (متجاوزون) ﴿تسحرون﴾ تكذبون، جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: يا ابن عباس! إن فى نفسى من القرآن شيئًا، أسمع الله يقول: ﴿وكان الله على كل شىء قديرًا﴾ أهذا أمر قد كان؟ وقال: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾ وقال فى آية أخرى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ قال ابن عباس: أمّا قوله: ﴿وكان الله على كل شىء قديرًا﴾ فإنه لم يزل ولايزال، وأمّا قوله: ﴿فلا يتساءلون﴾ ففى النفخة الأولى، وأمّا قوله: ﴿يتساءلون﴾ فإذا دخلوا الجنة ﴿كالحون﴾ عابسون، قال رسول الله ﷺ: هم فيها كالحون، تشويه النار، فتقلص شفته العليا، حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرّته.

غرائب سورة النور وسبب نزول بعض آياتها

﴿أنزلناها وفرضناها﴾ بيّنّاها وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم ﴿وفرّضناها﴾ أنزلنا فيها فرائض مختلفة، قال مرثد: يا رسول الله أنكح عناقًا،

وكانت من البغايا، فنزلت ﴿الزانى لا ينكح إلا زانيةً أو مشركةً والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك﴾ ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ الحرائر العفيفات ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ نزلت فى هلال بن أميّة (فإنه) قذف امرأته عند النبى ﷺ بشريك ابن سحماء، وقيل: نزلت فى عُوَيمر العجلانى ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك﴾ نزلت فى قصّة عائشة رضى الله عنها ﴿إذ تلقّونه﴾ تقولونه برواية بعضكم عن بعض ﴿ما زكى منكم من أحد﴾ ما اهتدى منكم من أحد ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم﴾ لا يُقسم (أنه لا ينفق على الفقراء) ﴿يُوفّيهم الله دينهم الحقّ﴾ أى حسابهم الحق ﴿حتى تستأنسوا﴾ تستأذنوا ﴿ولا يبدين زينتهنّ إلا لبعولتهنّ﴾ لا تبدى خلاخلها، وعضديها، ونحرها، وشعرها إلا لزوجها، وقال ابن مسعود: لا تبدى الخلخال ولا القرط والقلادة ﴿إلا ما ظهر منها﴾ أى الثياب ﴿غير أولى الإربة﴾ المغفّل الذى لا يشتهى النساء ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ لم يدروا لما بهم من الصِغر.

﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ إن علمتم لهم حيلة (لحصول المال وأداء بدل الكتابة) ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ إماءكم ﴿على البغاء﴾ على الزنا ﴿الله نور السموات والأرض﴾ هادى أهل السموات والأرض ﴿مثل نوره﴾ هداه فى قلب المؤمن ﴿كمشكاة﴾ موضع الفتيلة، وقيل: الكوّة ﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع﴾ يعنى المساجد (أن ترفع) تُكرم (وتعظّم) ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ يُتلى فيها كتابه ﴿يسبّح له﴾ يصلّى ﴿بالغدوّ﴾ صلاة الغداة ﴿والآصال﴾ صلاة العصر ﴿رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ قال ابن عباس: كان أصحاب رسول الله أتجر الناس وأبيعهم، ولكن لم تكن تلهيهم تجارتهم، ولا بيعهم عن ذكر الله ﴿بقيعة﴾ أرض مستوية ﴿يكاد سنا برقه﴾ أى ضوء برقه ﴿يخرج من خلاله﴾ من بين أضعاف السحاب ﴿مذعنين﴾ مطيعين ﴿تحية من عند الله﴾ أى سلاماً من عند الله.

غرائب سورة الفرقان وسبب نزول بعض آياتها

﴿تبارك﴾ (على وزن) تفاعل من البركة ﴿فهى تملى عليه﴾ تقرأ ﴿ثبوراً﴾

ويلا ﴿قومًا بورًا﴾ هالكين ﴿عتوا﴾ طغوا ﴿هباء منثورًا﴾ ما تسفى به الريح ﴿الذين يحشرون على وجوههم﴾ قيل: يا نبى الله كيف يمشى الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا بقادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ﴿وأصحاب الرسّ﴾ أصحاب المعدن، وقيل: الرسّ البئر، وقيل: القرية ﴿كيف مدّ الظلّ﴾ ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (وقيل: المراد ظلّ الأرض وهو الليل كذا فى "الكبير").

﴿ولو شاء لجعله ساكنًا﴾ دائمًا ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾ (أى جعلنا طلوع الشمس دليلا على الظلّ) ﴿ثم قبضناه إلينا قبضًا يسيرًا﴾ أى سريعًا (وقيل: قليلا قليلا أى تدريجًا) ﴿جعل الليل والنهار خلفةً﴾ من فاته شىء من الليل أن يعمله، أدركه بالنهار، ومن فاته شىء من النهار، أدركه بالليل، ﴿وعباد الرحمن﴾ المؤمنون ﴿يمشون على الأرض هونًا﴾ بالطاعة والعفاف والتواضع ﴿غرامًا﴾ لازمًا لزومًا شديدًا كلزوم الغريم (مدينه) وقيل: هلاكًا.

﴿ولا يقتلون النفس التى حرّم الله إلا بالحق﴾ لما نزلت قال أهل مكة: فقدعدلنا بالله (أشركنا بالله) وقتلنا النفس التى حرّم الله، وآتينا الفواحش، فأنزل الله تعالى ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحًا﴾ ﴿يلقَ آثامًا﴾ العقوبة ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعين﴾ فى طاعة الله، وما شىء أقرّ لعين المؤمن إلا أن يرى حبيبه فى طاعة الله ﴿ما يعبؤ بكم ربّى﴾ لا يعتدّ به، يقال: ما عبأتُ به شيئًا ﴿لزامًا﴾ هلاكًا.

غرائب سورة الشعراء

﴿كالطود العظيم﴾ كالجبل العظيم ﴿وأزلفنا ثَمّ الآخرين﴾ جمعناهم، ﴿لشرذمة قليلون﴾ طائفة قليلة ﴿فكبكبوا﴾ فجُمعوا ﴿فيها هم والغاوون﴾ الشياطين الضالّون ﴿أتبنون بكل ريع﴾ شرف (موضع مرتفع) وقيل: بكل طريق ﴿تعبثون﴾ تبنون، وقيل: تلعبون ﴿وتتخذون مصانع﴾ كل بناء فهو مصنع، (وقيل: أماكن صنع المأكولات والملبوسات والأوانى) ﴿لعلكم﴾ كأنّكم تخلدون ﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾ دين الأولين ﴿فارهين﴾ حاذقين (مظهرين حذقكم)

وقيل: مرحين.

﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ لا تعثوا لا تفسدوا أشدّ الفساد ﴿هضيم﴾ يتفتّت إذا مُسّ، وقيل: منضمّ بعضه إلى بعض ﴿مسحّرين﴾ مسحورين ﴿الأيكة﴾ الغيظة، وقيل: هى مجموعة الأشجار ﴿الجِبِلّة﴾ الخلق ﴿يوم الظلّة﴾ يوم إظلال العذاب ﴿واخفض جناحك﴾ ألِن جانبك ﴿فى كل وادٍ يهيمون﴾ فى كل لغو يخوضون.

غرائب سورة النمل

﴿يُخرج الخبأ﴾ الخبأ ما خبأتَ (أخفيتَ) ﴿أن بورك من فى النار﴾ قُدّس ﴿بشهاب قبس﴾ شعلة من النار تقتبسون منها ﴿أوزعنى﴾ اجعلنى، وقيل: وفّقنى ﴿يخرج الخبأ﴾ يعلم كل خفية فى السماء والأرض ﴿بجنود لا قبل لهم بها﴾ لا طاقة لهم بها ﴿ادخلى الصرح﴾ بركة ماء ضرب عليها سليمان قواريرَ، وقيل: كل ملاط اتخذ من القوارير، و (كذا) صرح القصر، وجمعه صروح ﴿ولها عرش عظيم﴾ سرير كريم ﴿وأتونى مسلمين﴾ طائعين ﴿نكّروا لها عرشها﴾ غيّروا لها سريرها ﴿طائركم عند الله﴾ مصائبكم (وأسباب عذابكم) عند الله ﴿بل ادّارك علمهم فى الآخرة﴾ غاب علمهم، وقيل: تلاحق علمهم فى إنكار الآخرة ﴿عسى أن يكون ردف لكم﴾ قرُب لكم ﴿فهم يوزعون﴾ يحبسون، وقيل: يدفعون، وقيل: يُحبس أوّلهم على آخرهم، حتى تنام الطير ﴿داخرين﴾ صاغرين ﴿تحسبها جامدةً﴾ قائمة (غير متحركة) ﴿صنع الله الذى أتقن كل شىء﴾ أحكم كل شىء.

غرائب سورة القصص وسبب نزول بعض آياتها

﴿قصّيه﴾ ابتغى أثره ﴿عن جنُب﴾ عن بُعد ﴿يأتمرون﴾ يتشاورون ﴿آنستُ﴾ أبصرت ﴿جذوة﴾ قطعة غليظة من الخشب ليس فيها لهب، والشهاب فيه لهب ﴿ردءً﴾ معينًا ﴿سنشدّ عضُدك﴾ سنعينك، والعضُد المعين، قال رسول الله ﷺ لعمّه (أبى طالب): قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرونى قريش، إنما يحمل عليه الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى ﴿إنك

لا تهدى من أحببت﴾ ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ خفيت عليهم الحجج ﴿سرمدًا﴾ دائمًا .

﴿لتنوء بالعصبة أولى القوة﴾ لتثقل بالجماعة القوية ﴿لرادّك إلى معاد﴾ إلى مكة ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ إلا ملكه تعالى ، ويقال : إلا ما أريد به وجه الله .

غرائب سورة العنكبوت وسبب نزول بعض آياتها

﴿تخلقون إفكًا﴾ تصنعون كذبًا ﴿وليحملُنّ أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم﴾ أوزارًا مع أوزارهم .

قالت أم سعد بن أبى وقّاص لسعد : أليس الله قد أمر بالبرّ؟ والله لاأطعم طعامًا ، ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر (بمحمد ﷺ) فنزلت ﴿ووصّينا الإنسان بوالديه حُسنًا وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلاتطعهما﴾ ﴿وتأتون فى ناديكم المنكر﴾ كانوا يحدقون أهل الأرض ويسخرون منهم .

غرائب سورة الروم وسبب نزول بعض آياتها

كانت فارس يوم نزلت هذه الآية ﴿الم غلبت الروم﴾ قاهرين على الروم ، وكان المسلمون يحبّون ظهور الروم ، وكانت قريش تحب ظهور فارس ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فظهرت غلبة الروم على فارس فى السنة السابعة ﴿فى أدنى الأرض﴾ طرف الشام ﴿أهون﴾ أيسر ﴿يصدّعون﴾ يتفرقون ﴿فلا يربوا عند الله﴾ من أعطى يبتغى أفضل منه ، فلا أجر له فيه ﴿يحبرون﴾ يُنعمون ﴿فلأنفسهم يمهدون﴾ يفرشون المضاجع ﴿الودقَ﴾ المطر ﴿السُوآى﴾ الإساءة ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ لدين الله ﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها﴾ الفطرة هى الإسلام .

غرائب سورة لقمان

﴿ولا تصعّر خدّك للناس﴾ لا تتكبّر فتحقّر عباد الله ، تُعرض عنهم بوجهك إذا كلّموك ، التصعير (هو) الإعراض بالوجه ﴿الغَرور﴾ الشيطان ﴿إلا كلّ

ختّار﴾غدّار .

غرائب سورة الم السجدة وسبب نزول بعض آياتها

﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ نزلت فى انتظار الصلاة ﴿نسيناكم﴾ تركناكم ﴿ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى﴾ مصائب الدنيا وأسقامها وبلاءها .

﴿من ماء مهين﴾ ضعيف نطفة الرجل (والمرأة) ﴿إلى الأرض الجرز﴾ التى لاتُمطر إلا مطرًا لا يغنى عنها شيئًا ﴿أو لم يهدِ﴾ أى لم يبيّن .

غرائب سورة الأحزاب وسبب نزول بعض آياتها

كان الناس يدعون زيدَ بن حارث زيدَ بنَ محمد ، حتى نزل القرآن ﴿ادعوهم لآباءهم﴾ قام النبى ﷺ يصلّى ، فخطرت منه خطرةً ، وفى رواية : "صلّى النبى ﷺ صلاةً فسها فيها فخطرت منه كلمة ، أى خطر على لسانه كلمة (سهوًا) فسمعها المنافقون ، فقالوا : إنّ له قلبين : قلبًا معهم ، وقلبًا معكم"[1] ، فأنزل الله ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه﴾ ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أجله الذى قدّر له ، قال رسول الله ﷺ : طلحة ممن قضى نحبه ﴿من صياصيهم﴾ من قصورهم ﴿سلقوكم﴾ استقبلوكم ﴿بألسنة حداد﴾ بالطعن باللسان ﴿فيطمع الذى فى قلبه مرض﴾ الفجور والزنا ، قالت امرأة : ما أرى كل شىء إلا للرجال ، وما أرى النساء يُذكرن بشىء ، فنزلت ﴿إن المسلمين والمسلمات . . .﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ . . . أجرًا عظيمًا﴾ ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه﴾ نزلت فى شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة ﴿يصلّون على النبى﴾ يبرّكون ﴿ترجى﴾ تؤخّر .

خطب رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش فدعا قومًا إلى الطعام ، فلما أكلوا خرجوا ، وبقى رجلان يتحدثان ، فأنزل الله ﴿يا أيّها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى﴾ الآية ﴿لنغرينّك بهم﴾ لنُسلّطنّك عليهم .

قال رسول الله ﷺ : إنّ موسى كان رجلا حيّيًا ستّيرًا ما يرى من جلده شىء ،

---

(١) راجع تحفة الأحوذى (٩ :٥٩) .

فقال بنو إسرائيل : لا يستر موسى إلا من عيب ، وإنه خلا يومًا وحده ، فوضع ثيابه على حجر واغتسل ، وإن الحجر فرّ بثوبه ، فطلب موسى الحجر ، ويقول : ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر ، حتى انتهى إلى ملأ بنى إسرائيل ، فرأوه عريانًا أحسن الناس خَلْقًا ، فذلك قوله تعالى : ﴿فبرّأه الله ممّا قالوا﴾ ﴿قولا سديدًا﴾ قولا عدلا حقًا ﴿إنّا عرضنا الأمانة﴾ الفرائض ﴿جهولا﴾ غِرًا بأمر الله .

غرائب سورة السبأ

قال رسول الله ﷺ : هو (سبأ) رجل من العرب ولد (منه) عشرة ، فتيامن منهم ستة ، وتشاءم منهم أربعة ﴿منسأته﴾ عصاه ﴿سيل العرِم﴾ الشديد ﴿خمط﴾ شجر الإراك ﴿هل نجازى﴾ نعاقب ﴿وأثل﴾ الطرفاء ﴿أوّبى معه﴾ سبّحى معه ﴿وقدّر فى السرد﴾ المسامير والحلق ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أذبنا له الحديد ، وقيل : عين الصفر ﴿من محاريب﴾ بنيان ما دون القصور ﴿وجفانٍ كالجواب﴾ كحياض الإبل (لشرب الماء) والجواب الحياض الواسعة ﴿حتى إذا فزّع عن قلوبهم﴾ جُلّى (وأخرج الفزع عن قلوبهم) ﴿هو الفتّاح﴾ القاضى ﴿والذين يسعون فى آياتنا معاجزين﴾ مغالبين ، ومعنى (معاجزين) مغالبين يريد كل واحد منهما (من الطرفين) أن يُظهِرَ عجز صاحبه ﴿وما بلغوا معشار ما آتيناهم﴾ عشر ما آتيناهم ﴿أعظكم بواحدة﴾ بطاعة الله ﴿وحُيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ من المال والولد وزهرة الحياة الدنيا ﴿كما فعل بأشياعهم﴾ بأمثالهم ﴿فلا فوت﴾ فلا نجاة (بل أخذوا من مكان بعيد) ﴿أنّى لهم التناوش﴾ فكيف لهم بالردّ من الآخرة إلى الدنيا .

غرائب سورة الفاطر

﴿يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ الكلم الطيّب ذكر الله ، والعمل الصالح أداء الفرائض .

﴿ما يملكون من قطمير﴾ لفافة النواة (القشر الرقيق الذى يكون على ظهر النواة ومحيطًا بها) ﴿ولا يمسّنا فيها لغوب﴾ إعياء وتعب ﴿ومن الجبال جُدد﴾

الطرائق (وقيل: القِطَع) ﴿ولا الظلّ ولا الحرور﴾ الحرور بالنهار مع الشمس، وقال ابن عباس: الحرور بالليل والسموم بالنهار ﴿وإن تدع مثقلة﴾ (بتخفيف القاف بمعنى مثقّلة بتشديد القاف) ﴿غرابيب سود﴾ شديد السواد ﴿ثمّ أورثنا الكتاب الّذين اصطفيناهم﴾ (ثمّ قسم الله تعالى وارثى الكتاب على ثلاثة أقسام، ومن هنا) قال رسول الله ﷺ: كلهم فى الجنة.

غرائب سورة يس وسبب نزول بعض آياتها

كانت بيوت بنى سلمة فى ناحية المدينة، فأرادوا النقل إلى قرب المسجد، فنزلت ﴿إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم﴾ ﴿فهم مقمحون﴾ المقمح الذى غُلّت يده إلى عنقه، وقيل: هو الطامح ببصره الذى لا يبصر موضع قدمه، وفى "الفوز" المقمح: الشامخ بأنفه والمنكس رأسه ﴿طائركم معكم﴾ مصائبكم معكم ﴿أحصيناه﴾ حفظناه ﴿فعزّزنا بثالث﴾ شددنا.

﴿يا حسرة على العباد﴾ استهزاءهم بالرسل كان حسرةً عليهم ﴿كالعرجون القديم﴾ أصل العذق العتيق ﴿فى الفلك المشحون﴾ فى الفلك الممتلئ ﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر﴾ لا يَستُرُ ضوء أحدهما ضوء الآخر، ولا ينبغى لهما ذلك.

﴿ولا الليل سابق النهار﴾ يتطالبان حثيثين (سريعين) ﴿نسلخ منه النهار﴾ نخرج أحدهما من الآخر، ويجرى كل واحد منهما ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ من الأنعام، وقيل: من مثل الفلك من المركوبات غير ذوى الروح ﴿جند مُحضرون﴾ عند الحساب ﴿فإذا هم من الأجداث﴾ من القبور ﴿إلى ربّهم يَنسلون﴾ يخرجون ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ من مخرجنا.

غرائب سورة الصافّات

﴿واصب﴾ دائم ﴿من طين لازب﴾ ملتزق ﴿يستسخرون﴾ يسخرون ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ وجّهوهم إلى النار ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾

احبسوهم إنهم محاسبون ﴿ما لكم لا تناصرون﴾ لا تمانعون ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ مسخّرون ومنقادون ﴿لا فيها غول﴾ صداع (وجع الرأس)، وقيل: لا نتن ولا كراهة كخمر الدنيا ﴿بيض مكنون﴾ اللؤلؤ المكنون ﴿سواء الجحيم﴾ وسط الجحيم ﴿لشوبًا من حميم﴾ يخلط طعامهم بالحميم ﴿ألفوا آباءهم﴾ وجدوهم ﴿وجعلنا ذرّيته هم الباقين﴾ قال رسول الله ﷺ: سام ويافث ﴿وتركنا عليه فى الآخرين﴾ لسان صدق (وهذا) للأنبياء كلهم ﴿وإن من شيعته﴾ أهل دينه (ودعوته) ﴿يزفّون﴾ انسلان (وسرعة) فى المشى ﴿فلما بلغ معه السعى﴾ العمل ﴿وتلّه للجبين﴾ أى صرعه للجبين ﴿إلا عجوزًا فى الغابرين﴾ فى الباقين ﴿إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾ السفينة المُوقَرة الممتلئة ﴿وهو مُليم﴾ المسىء المذنب ﴿فنبذناه بالعراء﴾ ألقيناه بالساحل، وقيل: وجه الأرض ﴿شجرة من يقطين﴾ من غير ذات أصل كالدباء ونحوه ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾ مضِلّين ﴿وإنا لنحن الصافّون﴾ أى الملائكة.

غرائب سورة ص

﴿فى عزّة﴾ معازّين داعين العزّة ﴿فى الملّة الآخرة﴾ وهى ملّة قريش ﴿ولات حين مناص﴾ ليس حين قرار، ﴿إن هذا لشىء عجاب﴾ لشىء عجيب ﴿إلا اختلاق﴾ الكذب والتخريص ﴿فليرتقوا فى الأسباب﴾ فى طرق السماء فى أبوابها ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ يعنى قريشًا ﴿أولائك الأحزاب﴾ القرون الماضية ﴿فواق﴾ رجوع وترداد، وقيل: هو التوقف بقدر الفواق (الفصل بين الحَلبتين) ﴿عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب﴾ عذابنا، وقيل: القطّ: الصحيفة، وهو ههنا صحيفة الحسنات، وقيل: القطّ الجزاء ﴿لا تشطط﴾ لا تُسرف ﴿وعزّنى فى الخطاب﴾ غلبنى ﴿وإنّ كثيرًا من الخلطاء﴾ الشركاء ﴿الصافنات الجياد﴾ الصافن الفرس يرفع إحدى يديه أو رجليه حتى يكون على طرف الحافر ﴿الجياد﴾ السراع ﴿فطفق مسحًا بالسوق والأعناق﴾ فجعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها (لمحبته إيّاها حبّ الخير لأجل ذكر ربّه) ﴿وألقينا على كرسيّه جسدًا﴾ شيطانًا (أخذه (صاحب الفوز) من البخارى) ﴿رُخاءً﴾ طيّبة مطيعة ﴿حيث أصاب﴾ حيث أراد

﴿الأصفاد﴾ الوثاق ﴿فامنن﴾ أعطِ ﴿أو أمسك بغير حساب﴾ لا يؤخذ عنك الحساب.

﴿اركض برجلك﴾ اضرب ﴿يركضون﴾ يعدون (بضرب الأرجل بالسرعة) ﴿وخذ بيدك ضغثًا﴾ حُزمة (دقيق الأغصان) ﴿أولى الأيدى﴾ أولى القوّة فى العبادة ﴿والأبصار﴾ وأولي الفطنة في الدين، وقيل: أولى الأبصار فى أمر الله ﴿قاصرات الطرف﴾ من غير أزواجهنّ ﴿أتراب﴾ مستويات (فى العمر) وقيل: أمثال ﴿غسّاق﴾ الزمهرير ﴿من شكله أزواج﴾ أنواع من العذاب ﴿اتخذناهم سِخريا﴾ أحطنا بهم (أى جعلناهم ضعفاء، وقيل: فأخطأنا فى أمرهم).

غرائب سورة الزمر وسبب نزول بعض آياتها

﴿يكوّر الليل على النهار﴾ يحمل ﴿إلى الله زلفى﴾ مصدر يعني قربى ﴿كتابًا متشابهًا﴾ ليس من الاشتباه (كما في آل عمران) ولكن يشبه بعضه بعضًا فى التصديق ﴿أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب﴾ يُجَرّ على وجهه في النار ﴿غير ذى عِوج﴾ ذى لبس ﴿فيه شركاء متشاكسون﴾ الشكِس العَسِر (الذى) لا يرضى بالإنصاف ﴿رجلا سَلَمًا لرجل﴾ خالصًا له يقال: سالم أى صالح ﴿والذى جاء بالصدق﴾ القرآن ﴿وصدّق به﴾ المؤمن يجىء يوم القيامة يقول: هذا الذى أعطيتنى وعملت بما فيه.

﴿ويخوّفونك بالذين من دونه﴾ الأوثان ﴿اشمأزّت﴾ نفرت ﴿ثم إذا خوّلناه﴾ أعطيناه، إنّ ناسًا من أهل الشرك قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ، فقالوا: إن الذى تقول، وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفّارة فنزل ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا﴾ ﴿وإن كنتُ لمن الساخرين﴾ بالنبى والمؤمنين، وقيل: من المنحرفين ﴿لو أن لى كرّة﴾ رجعةً إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ من المهتدين ﴿بمفازتهم﴾ من الفوز (مصدر ميمى) ﴿والأرض جميعًا قبضته﴾ قال رسول الله ﷺ: يقبض الله الأرض ويطوى السموات بيمينه، ثمّ يقول: أنا الملِك أين ملوك

الأرض؟ ﴿ونفخ فى الصور﴾ قال أعرابىّ: يا رسول الله! ما الصور؟ قال: قرن يُنفخ فيه ﴿وترى الملائكة حافّين﴾ أطافوا به مطيفين بحفافيه بجوانبه .

غرائب سورة المؤمن

﴿ذى الطول﴾ السعة والغناء، وقيل: التفضّل ﴿دأب﴾ حال ﴿فى تباب﴾ فى خسران ﴿ادعونى﴾ وَحِّدونى، وقيل: اعبدونى، قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ﴿داخرين﴾ خاضعين ﴿إلى النجاة﴾ إلى الإيمان ﴿ليس له دعوة﴾ يعنى للوثن ﴿يُسجرون﴾ يوقد بهم النار ﴿تمرحون﴾ تبطرون .

غرائب سورة حم السجدة وسبب نزول بعض آياتها

﴿فُصّلت﴾ بيّنت ﴿غير ممنون﴾ غير محسوب ﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ أرزاقها ﴿ائتيا طوعًا أو كرهًا﴾ أعطيا ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ أعطينا طائعين ﴿فى كل سماء أمرها﴾ مما أمر به فيها ﴿فى أيّام نحسات﴾ مشائم ﴿فهديناهم﴾ فبيّناهم .

اختصم عند البيت ثلاثة نفر: قال أحدهم: أسرّوا فإن الله يسمع ما نقول، فقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر (الثالث): إن كان يسمع إذا جهرنا، فهو يسمع إن أخفينا، فأنزل الله تعالى ﴿وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرًا مما تعملون﴾ ﴿والغوا فيه﴾ عيّبوه، قرأ رسول الله ﷺ ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ ثم قال: قد قال الناس: ربنا الله، ولكن ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها (على هذه الكلمة) فقد استقام .

﴿ادفع بالتى هى أحسن﴾ الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة ﴿لا يسأمون﴾ لا يفترون ﴿ولى حميم﴾ قريب ﴿اعملوا ما شئتم﴾ يعنى المطلوب منه الوعيد ﴿ما لهم من محيص﴾ حاص عنه أى حاد (ومال) عنه ﴿مِرية﴾ امتراء .

غرائب سورة الشورى

﴿يذرؤكم فيه﴾ نسلا بعد نسل ﴿لا حجة﴾ لا خصومة ﴿شرعوا﴾ ابتدعوا ﴿إلا المودّة فى القربى﴾ قال سعيد بن جبير: قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلتَ (فى تفسيرك) إن النبى ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ قال رسول الله ﷺ: لا تصيب عبداً نكبة فما فوقها إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ لا يتحركن فلا يجرين فى البحر ﴿أو يوبقهنّ﴾ يهلكهنّ ﴿من طرف خفىّ﴾ ذليل ﴿عقيمًا﴾ التى لاتلد ﴿أوحينا إليك روحًا من أمرنا﴾ القرآن.

غرائب سورة الزخرف

﴿أمّ الكتاب﴾ أصل الكتاب ﴿مضى مثل الأولين﴾ عقوبة الأوّلين (أى حالة عقوبتهم) وقيل: سنة الله فى الأوّلين ﴿مقرنين﴾ مطيقين وضابطين، يقال: فلان مقرن لفلان ضابط له (ومحيط به ومدير له) ﴿وجعلو له من عباده جزءً﴾ عدلا (شريكًا) ﴿كظيم﴾ ممتلئ غمّا ﴿أو من يُنشّؤ فى الحلية﴾ يعنى الجوارى جعلتموهن للرحمن ولدًا ﴿لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ يعنون الأوثان ﴿على أمّة﴾ على إمام (وقيل: على دين) ﴿ومعارج عليها يظهرون﴾ والمعارج الدُرُج ﴿وزُخرُفًا﴾ الذهب ﴿ومن يعشُ عن ذكر الرحمن﴾ ومن يَعمَ ﴿وإنه لذكر لك﴾ لشرف لك ﴿آسفونا﴾ أسخطونا ﴿يصِدّون﴾ يضجّون ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ تُكرمُون ﴿ملائكة فى الأرض يخلفون﴾ يخلف بعضهم بعضًا ﴿وأكواب﴾ الأباريق التى لا خراطيم لها ﴿فإنّا مبرمون﴾ مجمعون (عازمون) ﴿وقيله يا ربّ إن هؤلاء قوم لايؤمنون﴾ تفسيره أم يحسبون أنا لا نسمع سرّهم ونجواهم ولا نسمع قيلهم، والحال أنا نسمع ونعلم قيل الرسول: ﴿يا ربّ إنّ هؤلاء﴾ الآية.

غرائب سورة الدخان وسبب نزول بعض آياتها

﴿واترك البحر رهواً﴾ ساكنًا، وقيل: طريقًا يابسًا ﴿فاعتلوه﴾ ادفعوه ﴿زوّجناهم بحور عين﴾ أنكحناهم (حورًا) عينًا يحار فيها الطرف ﴿قوم تبَع﴾ ملوك اليمن، كل واحد منهم يسمّى تُبّعًا لأنه (كان) يتبع صاحبه (فى السياسة) ﴿فارتقب﴾ فانتظر.

قال عبد الله بن مسعود: إن قريشًا لما استعصوا على النبى ﷺ دعا عليهم عليهم بسنين كسنى يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين﴾ فقيل: يا رسول الله! استسق الله لمضر، فاستسقى فسقوا، فعادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فنزلت ﴿إنكم عائدون﴾ ثمّ أنزل: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ أعنى يوم بدر.

غرائب سورة الجاثية

﴿وأضلّه الله على علم﴾ فى سابق علمه ﴿وترى كلّ أمّة جاثية﴾ مستوفزين على الركب (من أجل الخوف) ﴿نستنسخ﴾ نكتب.

غرائب سورة الأحقاف

﴿ولقد مكنّاهم فيما إن مكنّاكم فيه﴾ فيما لم نمكّن لكم فيه ﴿أو أثارة من علم﴾ بقيّة من علم ﴿ما كنتُ بدعًا من الرسل﴾ ما كنتُ بأوّل الرسل ﴿قل أرأيتم﴾ أتعلمون؟ ﴿عارضًا﴾ سحابًا ﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجنّ﴾ قال ابن مسعود: افتقدنا النبى ﷺ ذات ليلة وهو بمكة، فقلنا: اغتيل أو استطير، ما فُعل به؟ فبتنا بشرّ ليلة بات بها، حتى إذا أصبحنا إذا نحن به يجىء من حراء، فقال: جاء داعى الجنّ، فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن.

غرائب سورة محمد

﴿من ماء غير آسن﴾ غير متغيّر ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ (أى أهل الحرب) آثامها ﴿عرّفها لهم﴾ بيّنها لهم ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا﴾ أى بأنه وليهم ﴿يستبدل قومًا غيركم﴾ ضرب رسول الله ﷺ منكب سلمان (الفارسى)، ثمّ قال: هذا وقومه ﴿فإذا عزم الأمر﴾ جدّ الأمر ﴿أضغانهم﴾ حسدهم ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ لن ينقصكم أعمالكم.

غرائب سورة الفتح وسبب نزول بعض آياتها

﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك﴾ قال رسول الله ﷺ: نزلت علىّ آية أحبّ إلىّ مما على الأرض، ثمّ قرأها، فقالوا: هنيئًا لك يا رسول الله فما ذا يُفعل بنا؟ فنزلت ﴿ليُدخل المؤمنين والمؤمنات جنّات تجرى﴾ ﴿عليهم دائرة السوء﴾ العذاب ﴿وتُعزّروه﴾ وتنصروه، إن ثمانين رجلا هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة، وهم يريدون أن يقتلوه، فأخذوا فأعتقهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى ﴿هو الذى كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾ ﴿والزمهم كلمة التقوى﴾ قال رسول الله ﷺ: (هى) لا إله إلا الله ﴿سيماهم فى وجوههم﴾ وهو التواضع ﴿شطأه﴾ فِراخه (مثل فراخ النخل والزرع) شطؤ السنبل (أن) تُنبت الحبّة عشرًا (من السنابل) وثمانيًا وسبعًا، فيقوى بعضه ببعض، فذلك قوله تعالى: ﴿فآزره﴾ قوّاه، ولو كانت واحدة لم تقم على ساق ﴿فاستغلظ﴾ أى غلظ ﴿على سوقه﴾ الساق حاملة الشجر.

غرائب سورة الحجرات وسبب نزول بعض آياتها

﴿لا تقدموا بين يدى الله ورسوله﴾ لا تقولوا: خلاف الكتاب والسنة، ولما جاء أقرع بن حابس إلى رسول الله ﷺ، قال أبو بكر: يا رسول الله استعمله على قومه، وقال عمر: لا تستعمله يارسول الله، فتكلما عند رسول الله ﷺ حتى

ارتفعت أصواتهما، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبىّ﴾ ﴿ولا تجسّسوا﴾ هو أن يتبع عورات المؤمن ﴿أولائك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ أى أخلص قلوبهم ﴿ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أى لا تنابزوا بالدعاء بالكفر بعد الإسلام بأن تقولوا: يا مشرك أو يا يهودى، وهو قد أسلم، كان الرجل يكون له اسمان، والثلاثة، فيدعى ببعضها فعسى أن يكره ﴿وجعلناكم شعوبًا﴾ الشعب النسب البعيد، والقبائل دون ذلك.

غرائب سورة ق

﴿والقرآن المجيد﴾ الكريم ﴿فهم فى أمر مريج﴾ مختلف، ملتبس، وقيل: الباطل، ﴿باسقات﴾ طوال ﴿فى لبس﴾ شكّ ﴿حبل الوريد﴾ عرق العنق ﴿ذلك رجع بعيد﴾ ردّ بعيد ﴿وما لها من فروج﴾ من فتوق (وشقوق) ﴿ما تنقص الأرض﴾ من عظامهم ﴿وحبّ الحصيد﴾ الحنطة ﴿وقال قرينه ربنا ما أطغيته﴾ قرينه الشيطان الذى قُيّض له ﴿تبصرة﴾ بصيرة ﴿فنقّبوا فى البلاد﴾ هربوا فى البلاد، وقيل: ضربوا فيها ﴿أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ لايحدّث نفسه بغيره ﴿وما مسّنا من لغوب﴾ من نصب ﴿لها طلع نضيد﴾ الكُفّرى ما دام فى أكمامه، ومعناه منضود بعضه على بعض، فإذا خرج من أكمامه، فليس بنضيد.

غرائب سورة الذاريات

﴿والذاريات﴾ الرياح ﴿تذروه﴾ تفرّقه ﴿فالحاملات وقرًا﴾ السحاب ﴿والسماء ذات الحُبُك﴾ ذات الطرق، وقيل: استواءها وحُسنها ﴿محسنين﴾ أولى الخلق الحسن ﴿قتل الخرّاصون﴾ لُعِن المرتابون ﴿فى غمرة ساهون﴾ فى ضلالتهم يتمادّون ﴿يُفتنون﴾ يُعذّبون ﴿قليلا من الليل ما يهجعون﴾ ما ينامون ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ تأكل وتشرب فى مدخل واحد، ويخرج من موضعين (ومن الأعضاء التى خلقها الله تعالى لأعمال مختلفة ومقاصد متنوعة) ﴿فراغ إلى أهله﴾ فرجع ﴿فى صرّة﴾ فى صيحة ﴿فصكّت وجهها﴾ لطمت ﴿فتولى بركنه﴾

بقوّته .

﴿إلا جعلته كالرميم﴾ الرميم نبات الأرض إذا يبس وديس (أصله دُوِس من الدوس، وهو الوطء بالأقدام حتى يتفتّت) ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ﴾ بقوّة ﴿وإنا لموسعون﴾ لذو سعة ﴿خلقنا زوجين﴾ الذكر والأنثى، واختلاف الألوان حلو وحامض، فهما زوجان ﴿ففرّوا إلى الله﴾ معناه : من الله إليه (أى من معصيته إلى طاعته) ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾ ما خلقتُ أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليوحّدونِ ﴿أتواصوا به﴾ أتواطئوا به ﴿ذو القوّة المتين﴾ الشديد ﴿ذَنوبًا﴾ دلوًا .

غرائب سورة الطور

﴿الطور﴾ الجبل ﴿وكتاب مسطور﴾ مكتوب ﴿فى رقّ منشور﴾ فى صحيفة ﴿والبحر المسجور﴾ المحبوس، وقيل : الموقد، تُسجر حتى يذهب ماءها، فلا يبقى فيها قطرة ﴿يوم تمور السماء مورًا﴾ تمور : تتحرك وتدور ﴿يدّعون﴾ يُدفعون ﴿فاكهين﴾ معجبين ﴿وما ألتناهم من عملهم من شىء﴾ أى ما أنقصناهم .

﴿يتنازعون﴾ يتعاطون ﴿تأثيم﴾ كَذِبٌ ﴿ريب المنون﴾ المنون الموت ﴿أم هم المسيطرون﴾ أم هم الغالبون على العالم ومتصرفوه، فيفعلون فيه ما يشاؤون؟ ﴿كسفًا﴾ قِطعًا .

غرائب سورة النجم

﴿إذا هوى﴾ إذا غاب (غرب) ﴿ذو مرّة﴾ ذو منظر حسن، وقيل : ذو شدّة وقوّة فى أمر الله ﴿قاب قوسين﴾ حيث الوتر من القوس (وقال أبوعبيدة : أى قدر قوسين أو أدنى أى أو أقرب) ﴿أفتمارونه﴾ أفتجادلونه؟

قال ابن عباس : رأى محمد ربّه، فأورد عليه ﴿لا تدركه الأبصار﴾ فقال : (للسائل) : ويحك ذلك إذا تجلّى بنوره الذى هو نوره، وقالت عائشة : لم يرَ (محمد ﷺ) جبريل فى صورته إلا مرّتين : مرّة عند سدرة المنتهى، ومرّة عند أجياد، وله ست مائة جناح ﴿ما زاغ البصر﴾ بصر محمد ﷺ ﴿وما طغى﴾ وما جاوز ما رأى ﴿قسمة ضيزى﴾ قسمة جائرة، وقيل : قسمة عوجاء ﴿وأكدى﴾ كدّر

عطاءه بمنّه، وقيل: قطع عطاءه ﴿وإبراهيم الذى وفّى﴾ أى وفّى ما فُرض عليه ﴿أغنى﴾ أعطاه (وجعله غنيّا) ﴿وأقنى﴾ فأرضاه.

﴿ربّ الشعرى﴾ هو مرزم الجوزاء، المرزم بكسر الميم وسكون الراء وفتح الزاى يقابل الشعرى من جانب القبلة ولا يفارقها، ولذا قيل: الشعرى الكوكب الذى يتبع الجوزاء فمرزم الجوزاء هو الشعرى ﴿أزفت الآزفة﴾ اقتربت الساعة، الآزفة من أسماء القيامة ﴿وأنتم سامدون﴾ لاهون السمود اللهو، وقيل: هو التغنّى بالحميرية.

غرائب سورة القمر وسبب نزول بعض آياتها

انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا» ﴿سحر مستمرّ﴾ أى سحر ذاهب (من المرور) ﴿عذاب مستقرّ﴾ عذاب حق (لا يزول عن محلّه).

﴿مجنون وازدُجر﴾ متناهى فى الزجر وازدجر أُفتعِل من زجرتُ ﴿ذات ألواح ودُسُر﴾ الحبل الذى تربط به السفينة، وقيل: أضلاع السفينة، وقيل: مسامرها ﴿الأشرُ﴾ المرح والتجبّر ﴿كل شرب محتضر﴾ يحضرون الماء ﴿فتعاطى﴾ تعاطاها بيده فعقرها ﴿كهشيم المُحتَظِر﴾ كحظار من الشجر محترق.

﴿ولقد يسّرنا القرآن﴾ هونّا قراءته ﴿فتماروا﴾ فكذّبوا (وقيل: فتجادلوا) ﴿سيهزم الجمع ويولّون الدبر﴾ تلاها رسول الله ﷺ يوم بدر، يعنى هذا مصداق هذا الوعد.

جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ فى القَدَر، فنزلت ﴿يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذو قوا مسّ سقر إنّا كل شىء خلقناه بقدر﴾.

غرائب سورة الرحمن

﴿النجم﴾ ما يبسط على الأرض ﴿والشجر﴾ ما يقوم على ساق ﴿الوزن﴾ يريد لسان الميزان (الخشبة التى تكون فوق الكفّتين) ﴿الأنام﴾ الخلق ﴿ذو العصف﴾ هو التبن، وقيل: بقل الزرع، وقيل: ورق الحنطة ﴿والريحان﴾ خضرة الزرع،

وقيل: الريحان الرزق الحاصل من الحبّ، وقيل: الذى يؤكل من الحبّ ﴿فبأىّ آلاء ربكما﴾ فبأىّ نعم الله تعالى ﴿من صلصال﴾ طين خُلط برمل ﴿كالفخّار﴾ كما يُصنع الفخار ﴿من مارج من نار﴾ أى من اللهب الأصفر، وقيل: من خالص النار.

﴿مرج البحرين﴾ أرسلهما ﴿بينهما برزخ﴾ حاجز (ومانع) ﴿لايبغيان﴾ لايختلفان (ولا يبغى أحدهما على الآخر) ﴿وله الجوار المنشآت﴾ ما رُفع قِلَعُه (شراعه) من السفن ﴿ذو الجلال﴾ ذو العظمة والكبرياء ﴿سنفرغ لكم﴾ هذا وعيد من الله لعباده، وليس بالله شغل، يعنى سنحاسبكم ﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾ لاتخرجون إلا من سلطان وقوّة، وليس عندكم سلطان ﴿﴾شواظ﴾ لهب النار، وقيل: اللهب الذى لا دخان له ﴿ونحاس﴾ دخان النار، وقيل: الدخان الذى لالهب له، وقيل: الصفر يُصبّ على رؤوسهم ويُعذّبون به ﴿ولمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾ يهتمّ بالمعصية، فيذكر الله فيتركها ﴿ذواتا أفنان﴾ أغصان ﴿وجنى الجنتين دانٍ﴾ ما يُجتنى منهما قريب ﴿قاصرات الطرف﴾ لا يلتفتن إلى غير أزواجهنّ ﴿لم يطمثهنّ﴾ لم يدنُ منهنّ إنس ولا جانّ ﴿مدهامّتان﴾ سوداوان من الرىّ وشدّة الخضرة ﴿نضّاختان﴾ فائضتان ﴿حور مقصورات﴾ محبوسات فى الخيام قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن ﴿رفرف خضر﴾ المجالس.

غرائب سورة الواقعة

﴿خافضة﴾ لقوم إلى النار ﴿رافعة﴾ لآخرين إلى الجنة ﴿إذا رجّت الأرض﴾ زلزلت ﴿وبسّت الجبال﴾ فُتّت ﴿ثُلّة﴾ أمة ﴿على سُرر موضونة﴾ منسوجة ﴿بأكواب وأباريق﴾ والكوب لا آذان له، ولا عروة، والأباريق ذوات الآذان والعرى ﴿ولا يُنزفون﴾ لا يقيئون ولا يسكرون ﴿لغوًا﴾ باطلا ﴿تأثيمًا﴾ كذبًا ﴿فى سدر مخضود﴾ المخضود الذى لا شوكة له، ويقال: المخضود الموقر حملا ﴿وطلح منضود﴾ الموز (المتصل بعض حبّاتها ببعض) ﴿وماء مسكوب﴾ جارٍ ﴿مترفين﴾ متمتّعين ومتنعّمين ﴿يحموم﴾ دخان أسود ﴿إنا أنشأناهنّ إنشاءً﴾ قال

رسول الله ﷺ: هنّ العجائز اللاتى كنّ فى الدنيا عمشًا رمصًا ﴿يصرّون﴾ يديمون ﴿على الحنث العظيم﴾ على الشرك ﴿شرب الهيم﴾ الإبل الظماء ﴿ما تُمنون﴾ من النطف يعنى فى أرحام النساء ﴿إنا لمغرمون﴾ لملزمون ﴿تورون﴾ تسجرون، أوريت أوقدتُ ﴿للمقوين﴾ للمسافرين.

﴿بمواقع النجوم﴾ بمحكم القرآن (الذى ينزل نجمًا نجمًا) ﴿مدهنون﴾ مكذّبون ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون﴾ قال رسول الله ﷺ: (تجعلون) شكركم (أنكم) تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا ﴿غير مدينين﴾ غير محاسبين ﴿فروح﴾ راحة وجنّة ورخاء ﴿وريحان﴾ رزق ﴿فسلام لك﴾ أى مُسَلّمٌ لك إنك من أصحاب اليمين (وألغيت (إنّ) (المقدّرة واعتُبِر معناها هو التعليل) فلا اعتبار للفظها.

غرائب سورة الحديد

﴿من قبل أن نبرأها﴾ نخلقها ﴿مستخلفين فيه﴾ مُعمّرين فيه ﴿فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ جُنّة وسلاح ﴿هى مولاكم﴾ النار أولى بكم.

غرائب سورة المجادلة وسبب نزول بعض آياتها

قالت عائشة: تبارك الذى وسع سمعه كل شىء، إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا فى ناحية البيت أسمع بعض كلامها، ويخفى علىّ بعضه، وهى تشتكى من زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله! أكل شبابى، ونشرتُ له بطنى، حتى إذا كبِرت سنّى وانقطع له ولدى ظاهر منى، اللهم إنى أشكو إليك. قالت عائشة: فما برحت حتى نزل جبرئيل بهؤلاء الآيات ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله﴾ ﴿يحادّون الله ورسوله﴾ يشاقّون الله ورسوله ﴿كبتوا﴾ أخزوا من الخزى، قال على رضـ: لما نزلت ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول﴾ دعانى النبى ﷺ وقال لى: أما ترى دينارًا؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار، قلت: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت: حبّة أو شعيرة (أى قدر حبّة أو شعيرة من الذهب) قال: إنك لزهيد، فنزلت ﴿أأشفقتم أن تقدّموا بين يدى

نجواكم صدقات﴾ قال: قال النبى ﷺ: خفّف الله عن هذه الأمة ﴿استحوذ﴾ غلب.

غرائب سورة الحشر وسبب نزول بعض آياتها

﴿الجلاء﴾ الإخراج من أرض إلى أرض، قال ابن عباس: نزلت سورة الحشر فى بنى النضير، أمر المسلمون بقطع النخل فحاك فى صدورهم، فقال المسلمون: قد قطعنا بعضًا، وتركنا بعضًا، فلنسألنّ رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها﴾ الآيات.

﴿لينة﴾ نخلة ما لم تكن عجوة أو برنية ﴿ولا يجدون فى صدورهم حاجة﴾ حسدًا ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ أى فاقة، إن رجلا من الأنصار بات عنده ضيف، فلم يكن عنده إلا قوت صبيانه، فقال لامرأته: نوّمى الصبية، وأطفئى السراج، وقرّبى الضيف ما عندك، فنزلت ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ ﴿المفلحون﴾ الفائزون بالخلود، والفلاح البقاء ﴿المهيمن﴾ الشاهد ﴿العزيز﴾ المقتدر على ما يشاء ﴿الحكيم﴾ المحكم لما أراد.

غرائب سورة الممتحنة وسبب نزول بعض آياتها

نزلت فى كتاب حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين يخبرهم ببعض أمر النبى ﷺ ﴿لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا﴾ لا تسلّطهم علينا فيفتنونا، وقيل: لاتعذّبنا بأيديهم، قدمت أم أسماء بنت أبى بكر الصديق بهدايا، فأبت أسماء أن تسلّم الهدايا، وتدخل أمها فى البيت، فأنزل الله تعالى ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم﴾ الآية ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه﴾ لا يُلحقن بأزواجهن غير أولادهن.

غرائب سورة الصف وسبب نزول بعض آياتها

قال عبد الله بن سلام: قعدنا نفرًا من أصحاب النبى ﷺ تذاكرنا، فقلنا: لانعلم أىّ الأعمال أحبّ إلى الله لنعمل به، فأنزل الله تعالى ﴿سبّح لله ما فى السموات وما فى الأرض . . . ﴾ إلى آخر السورة ﴿بنيان مرصوص﴾ ملصق بعضه

ببعض ﴿من أنصارى إلى الله﴾ من يتبعنى؟

غرائب سورة الجمعة وسبب نزول بعض آياتها

﴿وآخرين منهم لم يلحقوا بهم﴾ قيل: من هم يا رسول الله؟ فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء.

أقبلت عير يوم الجمعة، وهم مع رسول الله ﷺ، فثار الناس (إلى العير) إلا اثنى عشر رجلا، فأنزل الله تعالى ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضّوا إليها﴾.

غرائب سورة المنافقين وسبب نزول بعض آياتها

نزلت فى الردّ على عبد الله بن أبىّ المنافق فيما قال، ولتصديق زيد بن أرقم فيما حكاه عنه ﴿قاتلهم الله﴾ لعنهم الله، وكل شىء فى القرآن قاتل أو قُتِل فهو لعن ﴿كأنّهم خُشُبٌ مسنّدة﴾ نخل ممالة إلى الجدار، وقيل: كانوا رجالا أجمل شىء ﴿لوّوا رؤوسهم﴾ حرّكوا رؤوسهم استهزاءً بالنبى ﷺ ﴿حتى ينفضّوا﴾ يتفرقوا

غرائب سورة التغابن

﴿يوم التغابن﴾ يوم غبن أهل الجنة أهل النار (أى لكون أهل الجنة بايعوا على الإسلام بالجنة فربحوا، وأهل النار امتنعوا من الإسلام فخسروا، فشبّهوا بالمتبائعين يغبن أحدهما الآخر فى بيعه (فتح البارى ج٨ صـ٥٣).

﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ هو الذى إذا أصابته مصيبة رضى وعرف أنها من عند الله ﴿إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّا لكم﴾ قال ابن عباس: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبى ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم ﴿وأنفقوا خيرًا لأنفسكم﴾ تصدّقوا.

غرائب سورة الطلاق

﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجًا﴾ ينجيه من كل كرب فى الدنيا والآخرة ﴿إن ارتبتم﴾ إن لم تعلموا ﴿وبال أمرها﴾ جزاء أمرها ﴿وأولات الأحمال﴾ واحدتها

ذات حمل، بيّن النبى ﷺ أن الحبلى إذا وضعت حملها بعد وفاة زوجها بقريب، فقد انقضت عدّتها، فحكم أولات الأحمال مخصّص من حكم المتوفى عنها زوجها ﴿عتت عن أمر ربها﴾ أى أبت.

غرائب سورة التحريم وسبب نزول بعض آياتها

كان رسول الله ﷺ يشرب عسلا عند زينب، ويمكث عندها، فتواطأت أزواجه وقلن: نجد منك ريح المغافر، فحلف أن لا يعود، فنزلت سورة التحريم، واللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ هما عائشة وحفصة، قيل: وكانت لرسول الله ﷺ أمة يطؤها، فلم تزل به حفصة حتى جعلها على نفسه حرامًا، فأنزل الله تعالى ﴿يا أيّها النبىّ لم تحرّم ما أحلّ الله لك﴾ ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ لتصغى لتميل ﴿والملائكة بعد ذلك ظهيرًا﴾ عون (معاون) ﴿قوا أنفسكم وأهليكم﴾ أوصوا أهليكم بتقوى الله وأدّبوهم.

غرائب سورة الملك

﴿من فطور﴾ تشقق ﴿وهو حسير﴾ كليل وضعيف ﴿فسحقًا﴾ بعدًا ﴿إن الكافرون إلا فى غرور﴾ فى باطل ﴿من تفاوت﴾ من اختلاف فى خلق الصّغر والكبر لأن خلق الكلّ بكلمة (كن) ﴿تكاد تميّز﴾ تقطّع ﴿فامشوا فى مناكبها﴾ فى جوانبها ﴿فى عتوّ ونفور﴾ أى كفور، وقيل: فى نفرة وإعراض.

غرائب سورة القلم

﴿لو تدهن فيدهنون﴾ لو ترخّص فيرخّصون ﴿عتلّ﴾ متكبّر ﴿زنيم﴾ ولد الزنا، ويقال: ظلوم ﴿كالصريم﴾ كالصبح انصرم من الليل، والليل انصرم من النهار، الصريم الذاهب ﴿يتخافتون﴾ يتناجون ﴿على حرد﴾ على جدٍّ فى أنفسهم ﴿قال أوسطهم﴾ أعدلهم ﴿يوم يكشف عن ساقٍ﴾ هو الأمر الشديد والمفظع من الهول يوم القيامة، قال ابن مسعود: هذا يوم كرب، وقال رسول الله ﷺ: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياءً

وسمعةً، فذهب يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا ﴿وهو مكظوم﴾ مغموم ﴿وهو مذموم﴾ ملوم ﴿ليُزلقونك بأبصارهم﴾ يصيبونك بعيونهم، وقيل: يُنفِذونك.

غرائب سورة الحاقة

﴿بريح صرصر) شديدة ﴿عاتية﴾ عَتَت على الخُزّان ﴿حسومًا﴾ متتابعة ﴿خاوية﴾ سقط أعلاها على أسفلها ﴿طغى الماء﴾ كثُر ﴿وتعيها أذن واعية﴾ حافظة ﴿إني ظننت﴾ أيقنتُ ﴿قطوفها دانية﴾ قريبة ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾ الموتة الأولى التي مُتّها لم أحي بعدها ﴿إلا من غسلين﴾ ما يسيل من صديد أهل النار ﴿الوتين﴾ نياط القلب (حبل الوريد).

غرائب سورة المعارج

﴿سأل سائل﴾ هو نضر بن الحارث، قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ ﴿المعارج﴾ العلو، والفواضل والنعم ﴿كالمهل﴾ قال رسول الله ﷺ: كعكر الزيت، فإذا قرّبه إلى وجهه، سقطت فروة وجهه ﴿الفصيلة﴾ أصغر آباءه القربى، إليه ينتمي من انتمى ﴿نزّاعة للشوى﴾ اليدان والرجلان والأطراف، وجلدة الرأس، يقال لها: شواة ﴿عزين﴾ حِلَق وجماعات، واحدتها عِزَةٌ.

غرائب سورة نوح

﴿مدرارًا﴾ يتبع بعضها بعضًا (أي متوالية) ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارًا﴾ لا تخشون الله عظمةً ﴿سبلا﴾ طُرقًا ﴿فجاجًا﴾ مختلفة ﴿ومكروا مكرًا كُبّارًا﴾ أشدّ من الكبار ﴿ولا تذرنّ ودًا ولا سواعًا﴾ الآية، قال ابن عباس: (هذه) أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومه أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسمّوا بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد حتى إذا هلك أولائك، وتنسخّ العلم عُبِدت ﴿تبارًا﴾ هلاكًا.

غرائب سورة الجنّ وسبب نزول بعض آياتها

انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلق الذين توجّهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: ﴿إنّا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشد فآمنّا به﴾ وأنزل الله على نبيّه ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجنّ﴾ ﴿تعالى جدّ ربنا﴾ فعله وأمره وعظمته وقدرته ﴿فلا يخاف بخسًا﴾ نقصًا من حسناته ﴿ولا رهقًا﴾ زيادةً في سيئاته ﴿طرائق قِددًا﴾ قطعًا مختلفة وأصنافًا شتّى في كل جهة ﴿كادوا يكونون عليه لِبدًا﴾ أعوانًا مزدحمين.

غرائب سورة المزّمّل وسبب نزولها

لمّا نزلت ﴿يا أيّها المزّمّل﴾ قاموا سنة حتى تورّمت أقدامهم، فأنزل الله تعالى ﴿فاقرءوا ما تيسّر منه﴾ ﴿وتبتّل إليه﴾ أخلص إليه ﴿أنكالا﴾ قيودًا ﴿كثيبًا مهيلا﴾ الرمل السائل ﴿أخذًا وبيلا﴾ أخذًا شديدًا ليس له ملجأ ﴿منفطر به﴾ مثقلة به يقال: متصدّع من خوف يوم القيامة (أي بالسماء ثقل بسبب يوم القيامة فتنشقّ).

غرائب سورة المدّثّر

﴿الرجز﴾ الأوثان ﴿يوم عسير﴾ يوم شديد ﴿صعودًا﴾ قال رسول الله ﷺ: الصعود جبل يتصعّد فيه سبعين خريفًا ثم يهوى به كذلك يُفعَلُ به أبدًا.

﴿لوّاحة للبشر﴾ محرّقة له ﴿أتانا اليقين﴾ الموت ﴿مستنفرة﴾ نافرة ﴿فرّت من قسورة﴾ القسورة الركز وأصوات الناس، وكل شديد قسورة، وقال أبو هريرة: القسورة الأسد.

غرائب سورة القيامة

﴿ليفجر أمامه﴾ سوف أتوب وسوف أعمل ﴿لا وزر﴾ لا ملجأ. كان النبيﷺ إذا نزل عليه الوحى حرّك به لسانه، فأنزل الله تعالى ﴿لا تحرّك به لسانك لتعجل به﴾.

﴿فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه﴾ اعمل به ﴿باسرة﴾ كالحة ﴿والتفّت الساق بالساق﴾ آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، فيلقى الشدة ﴿يتمطّى﴾ يختال ﴿أولى لك فأولى﴾ توعّد (أى ويل لك فويل لك) ﴿أن يترك سُدًى﴾ مهملا.

غرائب سورة الدهر

﴿من نطفة أمشاج﴾ مختلفة الألوان، ويقال: اختلط ماء الرجل والمرأة إذا وقعا فى الرحم ﴿يومًا كان شرّه مستطيرًا﴾ فاشيًا شرّه ضيّقًا، وقيل: ممتد البلاء.

﴿عبوسًا قمطريرًا﴾ الذى ينقبض وجهه من شدّة الوجع، وقيل: قمطريرًا طويلا، وقيل: شديدًا ﴿تسمّى سلسبيلا﴾ حديدة الجرى (تجرى بالسرعة) ﴿وشددنا أسرهم﴾ شدّة الخلق (أى شددنا وقوّينا أجسامهم).

غرائب سورة المرسلات

﴿كفاتًا أحياءً وأمواتًا﴾ جامعةً فوقها وتحتها أحياءً وأمواتًا ﴿رواسى شامخات﴾ جبال مشرفات (عاليات) ﴿ماءً فراتًا﴾ عذبًا ﴿جِمَالةٌ﴾ جمالات صفر، حبالِ السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال.

غرائب سورة النبأ

﴿سراجًا وهّاجًا﴾ مضيئًا ﴿من المعصرات﴾ السحاب يعصر بعضها بعضًا،

فيخرج الماء من بين السحاب ﴿ثجّاجًا﴾ منصبّا ﴿جنات ألفافًا﴾ مجتمعة ﴿غسّاقًا﴾ غسقت عينه، ويغسق الجرح يسيل ﴿جزاءً وفاقًا﴾ لموافقة أعمالهم ﴿لا يرجون حسابًا﴾ لا يخافونه ﴿مفازًا﴾ منتزهًا ﴿كواعب﴾ نواهد مرتفعة الثدى ﴿أترابًا﴾ فى سنّ واحد ثلاث وثلاثين سنةً ﴿وكأسًا دِهاقًا﴾ ممتلئةً يُعطون عطاءً ﴿حسابًا﴾ كافيًا (جزاءً كافيًا) ﴿لا يملكون منه خطابًا﴾ لايتكلّمونه إلا أن يأذن لهم ﴿يوم يقوم الروح﴾ ملك من أعظم الملائكة خلقًا ﴿وقال صوابًا﴾ حقًا (لا يشفع لمشرك) وقيل: لا إله إلا الله.

غرائب سورة النازعات

﴿الرادفة﴾ النفخة الثانية ﴿قلوب يومئذٍ واجفة﴾ خائفة ﴿أإنّا لمردودون فى الحافرة﴾ إلى أمرنا الأول، إلى الحياة الأولى ﴿النخِرة﴾ البالية ﴿بالساهرة﴾ على وجه الأرض ﴿متاعًا لكم﴾ منفعةً لكم ﴿رفع سمكها﴾ بناءها ﴿وأغطش ليلها﴾ أظلم ليلها ﴿أيّان مرساها﴾ متى منتهاها؟

غرائب سورة عبس وسبب نزول بعض آياتها

نزلت فى ابن أمّ مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يارسول الله أرشدنى، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر ﴿فأنت له تصدّى﴾ تغافل عنه؟ ﴿فأنت عنه تلهّى﴾ تشاغل عنه؟

﴿بأيدى سفرة﴾ كتبة ﴿لمّا يقضِ ما أمره﴾ لا يقضى أحد ما أمِرَ به ﴿وقضبًا﴾ النبات الرطب مما يقطع، ويؤكل رطبًا أخضر، ويسمّى القتّ عند أهل مكة ﴿وحدائق﴾ بساتين ﴿غلبًا﴾ الأشجار الملتفّة بعضها فى بعض، قاله مجاهد، وقال ابن عباس: أشجارًا طوالا ﴿وفاكهة﴾ الثمار الرطبة ﴿وأبّا﴾ ما يعلف منه الدوابّ ﴿مسفِرة﴾ مُشرقة ﴿ترهقها قترة﴾ تغشاها شدّة وذلّة.

غرائب سورة التكوير

﴿إذا الشمس كوّرت﴾ أظلمت ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ تغيّرت وانتثرت ﴿سُجّرت﴾ يذهب ماءها (لأجل الحرارة بالتسجير)، وقيل: المسجور المملوء ﴿وإذا النفوس زُوّجت﴾ زوّج (كل أحد) نظيره من أهل الجنة أو من أهل النار أو زوّجت الأرواح بالأجساد ﴿الخنّس﴾ تخنس فى مجراها أى ترجع وتكنس أى تستر فى بيوتها كما تكنس (تستر) الظبى فى المغاير (جمع الغار) وهى الكناس، والمراد بالخُنّس النجوم الخمسة (المريخ (بهرام) وزحل، وعطارد، والزهرة، والمشترى ﴿إذا عسعس﴾ أدبر ﴿والصبح إذا تنفّس﴾ ارتفع النهار ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ لا يبخل فى تبليغ الغيب، والظنين المتهم.

غرائب سورة الانفطار

﴿وإذا البحار فُجّرت﴾ فجّرت بعضها فى بعض، وقيل: فاضت ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ أخرج من فيها من الموتى، وقيل: بُحثت ﴿فعدلك﴾ أراد معتدل الخلق (أى جعل جسدك معتدلا).

غرائب سورة المطففين

المطفّف من لا يوفّى (حق) غيره ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ قال رسول الله ﷺ: يقوم أحدهم فى رشحه (عرقه) إلى أنصاف أذنيه ﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾ ثبت على قلوبهم الخطايا حتى غمرتها ﴿لفى علّيين﴾ فى الجنة ﴿على الأرائك ينظرون﴾ على السرر ﴿الرحيق﴾ الخمر (من رحيق من خمر) ﴿ختامه مسك﴾ طينه (وما يغطّى به) ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ شراب ينصبّ عليهم من علو فى غرفهم ومنازلهم، وقيل: يعلو شراب أهل الجنة أى يُمزج ويُخلط بشرابهم، ويكون فوقه ﴿هل ثوّب الكفّار﴾ هل جُوزى الكفار، وأعطى لهم جزاء كفرهم.

غرائب سورة انشقّت

﴿وأذنت لربها﴾ سمعت وأطاعت ﴿وألقت ما فيها﴾ أخرجت ما فيها من الموتى ﴿وتخلّت﴾ عنها ﴿فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا﴾ قال رسول الله ﷺ: ذلك العرض، يعني بغير مناقشة فمن نوقش فقد هلك ﴿إنه ظنّ ألن يحور﴾ لن يرجع إلى ربّه ولن يُبعث ﴿والليل وما وسق﴾ ما جمع من دابّة ﴿والقمر إذا اتّسق﴾ اتساقه اجتماعه ﴿لتركبنّ طبقًا عن طبق﴾ حالا بعد حال ﴿أجر غير ممنون﴾ غير منقوص وغير منقطع.

غرائب سورة البروج

﴿أصحاب الأخدود﴾ الأخدود شق في الأرض (شقّ بنجران كانوا يعذّبون الناس فيه).

أسلم غلام كانوا أمروه بتعلّم السحر على يد راهب، فعلموا بذلك (علم السلطان ووزراءه) فأخذوه فظهرت على يده الكرامة، فآمن الناس، فقتلوه، وحفروا له أخدودًا، فمن لم يرجع عن دينه ألقوه فيها ﴿فتنوا المؤمنين﴾ عذّبوهم ﴿وهو الغفور الودود﴾ الحبيب (يحبّه عباده أو يحبّ عباده).

غرائب سورة الطارق

﴿والترائب﴾ هو موضع القلادة من المرأة ﴿والسماء ذات الرجع﴾ سحاب يرجع بالمطر ﴿والأرض ذات الصدع﴾ يتصدّع بالنبات ﴿لقول فصل﴾ حق (يفصل بين الحق والباطل) ﴿وما هو بالهزل﴾ بباطل.

غرائب سورة الأعلى

﴿فجعله غُثاءً أحوى﴾ هشيمًا متغيّرًا، قاله ابن عباس ﴿قد أفلح من تزكّى﴾ من الشرك ﴿وذكر اسم ربّه﴾ وحّد الله تعالى ﴿فصلّى﴾ الصلوات الخمس.

غرائب سورة الغاشية

الغاشية، والطامّة، والصاخّة، والحاقّة، والقارعة من أسماء يوم القيامة ﴿عاملة ناصبة﴾ (هم) النصارى ﴿عين آنية﴾ بلغ إناها وحان شربها (جاء حين شربها) ﴿من ضريع﴾ نبت يقال له: الشبِرق، ويسمّيه أهل الحجاز الضريع إذا يبس فهو سمّ، وقيل: شجر من نار ﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ شتمًا ﴿ونمارق مصفوفة﴾ وهى الوسائد والمرافق ﴿بمصيطر﴾ بجبّار ومسلّط.

غرائب سورة الفجر

سُئل رسول الله ﷺ عن الشفع والوتر، فقال: هى الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر، وقيل: كل ما خلقه الله فهو شفع، فالسماء شفع، والوتر هو الله تعالى ﴿بعاد إرم ذات العماد﴾ أهل عمود (أهل خيام) لا يقيمون (فى موضع واحد) ﴿جابوا الصخر﴾ نقبوا الحجارة فى الجبال (وقطعوها) فاتخذوها بيوتًا ﴿سوط عذاب﴾ كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب، فيشمل العذاب بالسوط أيضًا ﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾ يسمع ويرى، وقيل: إليه المصير.

﴿ولا تحاضّون على طعام المسكين﴾ لا تأمرون ولا ترغّبون الناس بإطعامه ﴿وتأكلون التراث أكلا لمًّا﴾ يقال: لممته أجمع أتيت على آخره، أى فعلته كاملا، أى يأكل نصيبه ونصيب غيره ﴿وتحبّون المال حبًّا جمًّا﴾ كثيرًا شديدًا ﴿وأنّى له الذكرى﴾ وكيف له الذكرى والعبرة ﴿النفس المطمئنّة﴾ المصدّقة بالثواب.

غرائب سورة البلد

﴿لقد خلقنا الإنسان فى كبد﴾ فى شدّة، وقيل: فى اعتدال واستقامة ﴿يقول أهلكت مالا لبدًا﴾ مالا كثيرًا ﴿وهديناه النجدين﴾ الخير والشرّ، وقيل: الهدى والضلالة ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ فلم يقتحم العقبة فى الدنيا، ثمّ فسّرها ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ الآية ﴿فى يوم فى ذى مسغبة﴾ ذى مجاعة ﴿أو مسكينًا ذا متربة﴾

الساقط فى التراب، وقيل: ذا حاجة وجهد ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ مطبقة.

غرائب سورة الشمس

﴿والشمس وضحاها﴾ وضوءها ﴿والأرض وما طحاها﴾ دحاها ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ بيّن لها الخير والشرّ، والسعادة والشقاء ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ بمعاصيها ﴿إذا انبعث أشقاها﴾ رجل عزيز (قليل المثل) عارم (بالراء المهملة) أي صعب، منيع (قوى) فى رهطه ﴿ولا يخاف عقباها﴾ لايخاف عاقبة عقوبته ولا يخاف من أحد تابعه.

غرائب سورة الليل

﴿إذا تردّى﴾ إذا مات وتردّى فى النار ﴿وكذّب بالحسنى﴾ بالخصلة الحسنى وهو إعطاء الخلف بعد الإنفاق أي يوقن به ﴿ناراً تلظّى﴾ توهّج.

غرائب سورة الضحى وسورة ألم نشرح وسبب نزول بعض آيات سورة الضحى

﴿والليل إذا سجى﴾ أظلم وسكن، وقيل: ذهب ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ ما تركك وما أبغضك، أبطأ جبرئيل، فقال المشركون: قد ودّع محمداً ربّه، فأنزل الله ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾ ﴿عائلا﴾ ذا عيال ﴿أنقض ظهرك﴾ أثقل ظهرك ﴿فانصب﴾ فى الدعاء.

غرائب سورة التين واقرأ باسم ربك وسبب نزول بعض آيات سورة اقرأ

﴿فى أحسن تقويم﴾ أحسن خَلقٍ (وصورة) ﴿إنّ إلى ربك الرجعى﴾ المرجع (والرجوع إنما يكون إلى ربك) ﴿لنسفعًا﴾ لنأخذن ﴿فليدع ناديه﴾ عشيرته، قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلّى لاطأنّ على عنقه، فقال النبىّ ﷺ: لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا، وفى رواية: قال أبو جهل: إنّك تعلم ما بمكة من نادٍ أكثر منّى، فأنزل الله تعالى ﴿فليدعُ ناديه﴾ ﴿سندع الزبانية﴾ الملَك.

غرائب سورة إنا أنزلناه

﴿يقال: المطلع (بفتح اللام) هو الطلوع، والمطلع (بكسر اللام) الموضع الذى يطلع منه، أنزلناه الهاء كناية عن القرآن، إنا أنزلناه خرج مخرج الجمع، والمنزل هو الله تعالى والعرب تؤكد فعل الواحد، فتجعله بلفظ الجمع؛ ليكون أثبت وأوكد. (فتح البارى)

غرائب سورة لم يكن وسورة الزلزال

﴿منفكّين﴾ زائلين ﴿تحدّث أخبارها﴾ قال رسول الله ﷺ: أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها.

غرائب سورة العاديٰت وسورة القارعة

﴿فأثرن به نقعًا﴾ رفعن به غبارًا ﴿لربّه لكنود﴾ لكفور ﴿إنّه لحبّ الخير لشديد﴾ لبخيل (لا ينفق الخير يعنى المال) ﴿وحُصّل ما فى الصدور﴾ مُيّز وأظهر ﴿كالفراش المبثوث﴾ كغوغاء جراد يركب بعضه بعضًا، كذلك الناس يجول بعضهم فى بعض ﴿كالعهن﴾ كألوان العهن، وقرأ عبد الله بن مسعود كالصوف.

غرائب سورة التكاثر والعصر والهمزة والفيل

١- ﴿ألهاكم التكاثر﴾ من الأموال والأولاد.

٢- ﴿والعصر﴾ الدهر، أقسم به ﴿لفى خسر﴾ ضلال.

٣- ﴿ما الحطمة﴾ اسم النار مثل سقر ولظى.

٤- ﴿ألم ترَ﴾ ألم يعلم؟ ﴿طيرًا أبابيل﴾ متتابعة مجتمعة، وقيل: ذاهبة وجائية بنقل الحجارة بمناقيرها وأرجلها، فتبلبل عليهم فوق رؤوسهم ﴿من سجّيل﴾ من سنگ وگِل.

غرائب سورة قريش والماعون والكوثر والنصر

١- ﴿لإيلاف قريش﴾ لنعمتى على قريش، إيلافهم لزومهم، وقيل: ألفوا

ذلك، فلا يشقّ عليهم فى الشتاء والصيف ﴿وآمنهم من خوف﴾ آمنهم من كلّ عدوّهم فى خوفهم.

٢- ﴿يدعّ اليتيم﴾ يدفعه عن حقّه ﴿عن صلاتهم ساهون﴾ لاهون و(غافلون) ﴿الماعون﴾ المعروف كلّه، وقال بعض العرب: الماعون الماء، وقيل: أعلاها الزكاة المفروضة، وأدناها عارية المتاع.

٣- ﴿الكوثر﴾ قال رسول الله ﷺ: هو نهر فى الجنة ﴿إنّ شانئك﴾ عدوّك.

٤- قال ابن عباس: إنما هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه إيّاه، فصدّقه عمر.

غرائب سورة لهب والإخلاص والفلق والناس

١- صعد رسول الله ﷺ الصفا، فنادى يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: إنّى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبّا لك، فأنزل الله تعالى ﴿تبّت يدا أبى لهب﴾ ﴿فى جيدها حبلٌ من مسد﴾ ليف المقل، وهى السلسلة التى فى النار.

٢- قال المشركون: صف لنا ربك، فأنزل الله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾ ﴿الله الصمد﴾ الصمد: هو الذى كَمُلَ سودده.

٣- ﴿بربّ الفلق﴾ وهو الصبح إذا انفلق من ظلمة الليل، وقيل: الخلق ﴿ومن شرّ غاسق﴾ الظلمة، وقيل: الغاسق الليل إذا وقب (دخل) غروب الشمس ﴿إذا وقب﴾ إذا دخل فى كلّ شىء وأظلم، نظر رسول الله ﷺ إلى القمر، فقال: يا عائشة! استعيذى بالله من شرّ هذا الغاسق إذا وقب.

٤- ﴿من شرّ الوسواس﴾ إذا وُلد ولد خنسه الشيطان، فإذا ذكر الله ذهب، وإذا لم يذكر الله، ثبت (خنسه) على قلبه ﴿من الجنّة والناس﴾ بيان الشيطان الموسوس أنه جنّى وإنسىّ، كقوله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجنّ﴾ أو من الجنّة بيان له (والناس) عطف على الوسواس (أى ومن شرّ الناس) فيشمل كلّ شرّ، مثل شرّ الوليد وبناته، واعترض بأن الناس لا يوسوسون فى صدور الناس، إنما يوسوس فى صدورهم الجنّ؟ وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضًا بمعنى يليق بهم

فى الظاهر، ثمّ يتصل وسوستهم إلى القلب، ويثبت فيه بالطريق المؤدى إلى ذلك (إلى وسوسة الشيطان).

والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وهذا آخر ما أوردناه فى الرسالة المسمّاة بـ "فتح الخبير فيما لا بد من حفظه فى علم التفسير"، والحمد لله أولا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فرغت من تصحيحها وتبييضها فى تاريخ ١٤٢٦/٥/١٩ للهجرة النبوية عليه ألف تحيات ورحمات.

محمد أنور البدخشانى غفر الله له ولوالديه وأهل بيته

فهرست الموضوعات

تلخيص

شرح العقيدة الطحاوية

لابن أبي العز صدر الدين علي بن علي بن محمد المتوفى ٧٩٢هـ

التلخيص والتقديم واستدراك بعض المباحث المهمة لـ

محمد أنور البدخشاني

استاذ الحديث بجامعة العلوم الاسلامية

علامه بنوري تاؤن كراتشي

بيت العلم كراتشي

المؤلّفات الأخر
للأستاذ محمد انور البدخشانی

تسهیل أصول الشاشی	تسهیل مختصر المعانی	تسهیل شرح الجامی
تسهیل شرح نخبة الفکر	تسهیل کنز الدقائق	تیسیر أصول الفقه
أصول الفقه للمبتدئین	طریق الوصول إلی البلاغة	تلخیص شرح العقیدة الطحاویة
توضیح الفرائض السراجیه	تسهیل مقدمه صحیح مسلم	تفهیم مصطلح الحدیث
تسهیل الضریری	تسهیل القطبی	تسهیل المنطق

أصول الحدیث للإمام السرخسی
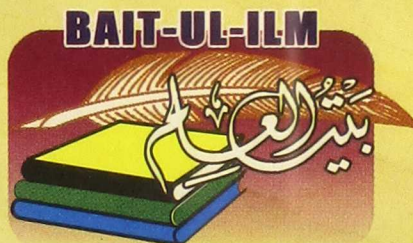
0300-2273620

Designed by Luminar Graphics Tel: 021-2727728